G_225_19/01

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie
جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم: اللغة والأدب العربي

شعبة: القرآن الكريم والدراسات الأدبية

سجل تحت رقم
بتاريخ
الرقم

شواهد القراءات القرآنية في معجم تهذيب اللغة للأزهري

دراسة دلالية

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالب:

بن عبد الله واسيني

تحت إشراف الأستاذ:

د. خير الدين سيب

لجنة المناقشة:

أ.د/ محمد عباس ـــــــ أستاذ التعليم العالي ـــــــ جامعة تلمسان- رئيسا.

د/ خير الدين سيب ـــــــ أستاذ محاضر ـــــــ جامعة تلمسان- مشرفا.

أ.د/ محمد طول ـــــــ أستاذ التعليم العالي ـــــــ جامعة تلمسان- عضوا.

أ.د/ محمد موسوني ـــــــ أستاذ التعليم العالي ـــــــ جامعة تلمسان- عضوا.

د/ محمد مذبوحي ـــــــ أستاذ محاضر ـــــــ جامعة بلعباس- عضوا.

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

السنة الجامعية: 1429هـ / 1430 هـ - 2008م / 2009 م

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعين به ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ) آل عمران 102

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) النساء 01

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) الأحزاب 07

إهـــــداء

إليك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى مَنْ لهما الفضل بعد الله علي.

إلى والدىّ اللذين سَهِرا اللَّيالِىَ حَامِلَيْنِ لِهَمّي.

إلى كل أفراد أسرتي وعائلتي ومن يحمل لقبي بن عبد الله و بلعربي كبيرهم وصغيرهم وذكرهم وأنثاهم وحاضرهم وغائبهم.

إلى روح شيخي الأزهري أبى منصور.

إلى الأسرة التربوية التي درّست معها سنين إدارة وعمّالا ومعلمين.

إلى كل من خدم القرآن الكريم و عشق العربية والحرف العربي

إلى كل الإخوة الكرام الذين عرفناهم والتقينا بهم وأحببناهم.

إلى كل هؤلاء وغيرهم أهدي هذا العمل.

واسيني

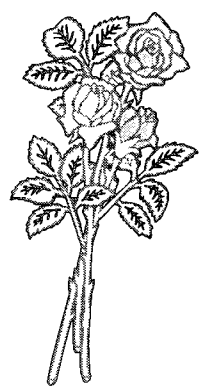

كلمة شكر

أشكر الله عز وجل الذي عليه توكلت وهو خير المتوكلين.

ثم الشكر إلى الوالدين اللذين لهما الفضل الكبير في إنجاز هذا العمل بعد الله تعالى

إلى أستاذي الفاضل، وشيخي الجليل، الدكتور/ خير الدين سيب جزاء ما قدم لي

من نصح وتوجيه، وإرشاد وتنبيه، حتى خرج هذا البحث إلى النور.

إلى أستاذي الفاضل، وشيخنا الجليل، الأستاذ الدكتور/ محمد طول صاحب اليد الأولى،

واللبنة الأساس في هذا العمل.

إلى أساتذتي من معلمي الطور الابتدائي إلى أساتذتي في جامعة تلمسان الذين تعبوا من أجل

تربيتي وتعليمي وتوجيهي.

إلى كل من أشار عليّ بفكرة صائبة، أو رأي سديد، أو توجيه نير.

إلى كل من ساعدني بكتاب أو دلني عليه.

إلى كل من دعا الله لي بالتوفيق وسأله لي النجاح

إلى أغلى صديق وأحب رفيق وأعظم زميل، مكي

واسيني

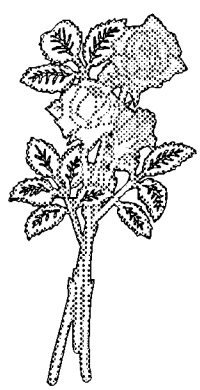

مقدمة

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد

فقد تعدّدت الدّراسات القرآنية، والبحوث اللّغوية، التي جعلت من نصوص آيات القرآن مرجعاً لها وأزهارا تقطف منها ثمارها وميزاناً تقيس به علامات تقدمها وازدهارها وشاهدا على مكانتها، وتنوعت تبعاً لذلك الأساليب العلمية والمناهج اللّغوية التي سخّرت نفسها لخدمة هذا القرآن الكريم، فجاءت الدراسات القرآنية في بطون الكتب إما تفسيرا لموضوعاته أو شرحا لألفاظه أو تهذيبا وتبيينا لشواهد أحرفه وقراءاته القرآنية أو إفصاحا عما أُعجم من مكنوناته ودُرَرِه، أو استعماله شاهدا على صدق ما جاء به العلماء من مسائل لغوية وبلاغية. . .

وإن أهمية العلوم إنما تكون بمنبعها وأصلها، وأهمُها ما تعلق بكتاب الله عز وجل، وعلم القراءات القرآنية مـن أقرب العلوم صلة بالقرآن الكريم، لأنها تتضمن أوجه أدائه– قراءته – التي يُفسَّر بها القرآن الكريم، إضافة لما تحويه من إثراء للمعاني القرآنية الكريمة، وللدلالات اللغوية، وهذا أمر لم يغفله العلماء المتقدمون وحاولوا الإفادة منه في شتّى الميادين، فعلماء التفسير استشهدوا بالقراءات القرآنية في تفسيرهم للآيات القرآنية، وعلماء الفقه استشهدوا ببعض أوجه القراءة القرآنية دليلا لما تبنوه من أحكام فقهية، وعلماء اللغة والمعاجم استشهدوا بها للاستدلال على صحة المادة اللغوية التي حوتها معاجمهم، أو للتقعيد والتأصيل للظواهر اللغوية والنحوية والصرفية التي رووها في مصنفاتهم.

وسأحاول في هذا البحث المتواضع– إن شاء الله–أن أقف على "شواهد القراءات القرآنية" التي ذكرها "الأزهري" في معجمه متناولا دلالاتها ومعانيها، ومقارنا في الوقت نفسه بين المعنى اللغوي المذكور في المعجم، وبين المعنى التفسيري الذي ذكره المفسرون.

دوافع اختيار الموضوع

ولقد توافرت في اختياري لهذا الموضوع دوافع ذاتية وأخرى موضوعية.

فأما الدوافع الذاتية فتتمثل في تأثري بالشخصية التفسيرية التي يملكها الأزهري؛ حيث رأيته، بعد قراءتي السريعة لمعجمه، أنه يلبس لباس المفسّر في كثير من الأحيان لا اللغوي. كما أني شغفت بحب هذه القراءات القرآنية التي كثيرا ما كنا نتعجّب منها أيام الصبا ونحن نرتاد المدرسة القرآنية، ونعجب كذلك عندما نسمع قراءة القرآن في المسجد أمام معلم القرآن وقراءته في الإذاعة أو التلفزة.

ولما أشار إليّ أستاذي الدكتور خير الدين سيب بهذا الموضوع، صادف قلبا خاليا فتمكن.

ومن بين الحوافز الموضوعية التي دفعتني لاختيار هذا المعجم ما يلي :

1 . كثرة الآيات القرآنية و شواهد القراءات التي اعتمدها الأزهري في معجمه لشرح المادة اللغوية.

2 . الكم الهائل من المادة الغوية التي حاول بها تفسير ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب شعرا ونثرا.

3 . ذكره للعلماء الذين سبقوه في علوم القرآن واللغة والقراءات أمثال الفراء و الزجاج و الزبيدي وأبي عمرو بن العلاء و غيرهم.

4 . اعتماده على القرّاء في تحليله لشواهد القراءات القرآنية من الصحابة والتابعين أمثال أبي بن كعب وعبد الله بن عباس و عبد الله بن مسعود، ومن القراء السبعة أمثال نافع وعاصم وابن كثير. . .

5. أن في هذا البحث جمعاً لتفسير متفرق فيه الكثير من الفوائد واللطائف والنفائس مما لا يوجد في كثير من المعجمات .

أهمية الموضوع

لعلّ هذا الموضوع يمثل دعامة مهمة في الاستشهاد بالقراءات القرآنية وفق المنهج الأمثل الذي اعتمد عليه حذاق أصحاب المعاجم أمثال الأزهري.

وتشمل هذه الدعامة الجوانب اللغوية والأدبية وجميع المسائل التي تنبني على هذا العلم في التفسير واللغة وغيرهما .

والحق أن هذا الموضوع يُعمل الفكر ويذكي جذوته في البحث عن ضبط حروف القرآن الكريم وقراءاته مع دلالاتها ومعانيها، وفي ذلك فوائد جليلة.

ويمكنني أن ألخص أهداف هذا البحث التي أسعى لتحقيقها في الاطّلاع على طريقة الأزهري في التعامل مع الآيات القرآنية والقراءات. و إظهار مواطن الشاهد القرآني في كتب التراث عامة، وفي المعاجم خاصة، وكذلك دراسة شواهد القراءات القرآنية التي ذكرها الأزهري في معجمه، محاولا الوقوف على أثر بعض القراءات القرآنية في التفسير وفي اللغة والمعاجم.

الدراسات السابقة

وعند شروعي في هذا البحث وجدت بعض الدراسات التي كانت لها علاقة مباشرة بالموضوع وبعضها تخدمه، أذكر منها:

أولا: الفروق الصرفية والنحوية بين القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الأحكام.

رسالة ماجستير. إعداد الطالب: خير الدين سيب . إشراف: أ. د محمد عباس. نوقشت في: ديسمبر 1979 بقسم اللغة العربية جامعة تلمسان.

ثانيا: الشـــــواهد الشعرية ومناسباتها في تفسير التـــحرير والتنوير- رسالة ماجستير.

إعداد الطالبة: فوزية هاشمية. إشراف: أ.د محمد طول. نوقشت في: 2007 بقسم اللغة العربية جامعة تلمسان.

ونظراً لطبيعة الدراسة، فقد تنوعت الكتب التي اعتمدتها في هذه الرسالة، أهمها: كتب التفسير؛ وخاصة «جامع البيان في تأويل آي القرآن» للإمام محمد بن جرير الطبري، وتفسير «الكشاف» للزمخشري، و«الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي، و«تفسير البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي، لاعتمادهم على القراءات في الكثير من الأحيان عند شرحهم آيات القرآن الكريم.

كما اطّلعت على بعض المعاجم المشهورة؛ منها: «العين لأحمد الفراهيدي»، و«لسان العرب» لابن منظور.

أمّا من حيث القراءات وتوجيهها وبيان دلالاتها، فقد استعنت بـ«حجة القراءات لابن زنجلة» و«إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي»، و«معجم القراءات» للدكتور عبد اللطيف خطيب.

إشكالية البحث:

تمثلت إشكالية البحث في الإجابة على الأسئلة التالية:

ما مدى إعمال الأزهري للقراءات واعتنائه بها في معجم؟

هل يؤيد تعدد القراءات واختلافها أم يردها ويخطئها ؟

هل استطاع الإفادة منها في الدلالات اللغوية، وإلى أي حد تم ذلك؟

هذه الأسئلة وغيرها أحاول الوقوف عليها في كتابة موضوع الدراسة.

منهجية البحث:

اعتمدت في بَحثي على المنهجِ الوصفيِّ والتحليليّ معاً في البحث العلمي، مع اللجوءِ للمقارنة، خاصةً في دراسة أوجه الاختلافات في القراءات القرآنية التي اعتمدَ عليها الأزهري في الاستشهاد، وما ذكره المفسرون في هذه القراءات، فكان المنهجُ التوفيقيُّ الذي يَجمعُ بين مناهجِ البحث العلميِّ المتبعةِ في الدراسات العلميَّةِ المعاصرة هو المنهجَ الذي سِرتُ عليهِ في هذا البحث.

خطة البحث

إن لكل بحث خطة معينة تجمع موضوعاته وتوحّد هدفه ضمن نقاط دقيقة وعناوين محددة، ولعل بحثنا هذا يمكن تقسيمه على النحو التالي:

قَسّمتُ خطةَ البحث إلى مقدمةٍ ومدخل، وثلاثة فصول وخاتمةٍ.

أما المدخل، فترجمت فيه للأزهري، ووقفت فيه على معجمه؛ حيث عرّفت الإمام وتحدثت عن اسمه ونسبه وعلمه ومؤلفاته وشيوخه وتلامذته وفاته، ثم عرّجت على معجم التهذيب، فشرحت سبب التسمية وسبب التأليف، ثم تطرّقت لأهميته ضمن كتب التراث والكتب الحديثة.

ثم جاء الفصل الأول بعنوان: الشواهد وأنواعها، ففي هذا الفصل عرّفت الشاهد في اللغة والاصطلاح، وذكرت أربعة تعريفات اصطلاحية للشاهد؛ في الفقه والحديث وعند الصوفية وفي اصطلاح اللغويين، ثم ذكرت أنواعه، والمتمثلة في القرآن الكريم بقراءاته المختلفة وفي الحديث وفي كلام العرب شعرا ونثرا ثم بيّنت أثره في المدارس اللغوية.

انتقلت بعده إلى الفصل الثاني، وهو بعنوان: شاهد القراءات القرآنية في معجم تهذيب اللغة، قُسّم إلى مبحثين، تضمن الأول: تعريف المعجم ومناهجه وأهميته، وأهمية القراءات في المعاجم عموما وفي معجم التهذيب خصوصا .أمّا المبحث الثاني فهو دراسة لمنهج الأزهري في الاستشهاد بالآيات القرآنية والقراءات، وتضمّن المنهج العام في عرض القراءات بالنسبة للمطلب الأول، وطريقة إسناد القراءات لأصحابها في المطلب الثاني، أما المطلب الثالث، فعالج منهج الأزهري في الاستشهاد بالقراءات وذكره الدلالات.

ثم جاء الفصل الثالث بعنوان: دلالات شواهد القراءات القرآنية في التهذيب. الذي خصّصتُه للدراسة التطبيقية، حيث عالجت فيه الدلالات الجديدة للقراءات القرآنية المذكورة في المعجم.

ثم أنهيت الرسالة بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج المتوصل إليها في البحث

الخاتمة.

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث.

ثبت المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات

وبعدُ، فهذا جهد علمي متواضع، في موضوعٍ فيه قدرٌ من الصعوبةِ لاتصاله بعِلمين من أكْبَرِ علومِ الإسلام، وهُما التفسير والقراءات القرآنية، وقد عانيت في بداية البحث من الغموض الشديد الذي أحـاط بي، ثُمَّ ما لبث أنْ تَبدَّدَ شيئاً فشيئًا، بفضل الله سبحانه وتعالى ثُمَّ بتوجيهاتِ المُشرف على هذا البحث وفقه الله؛ وذلك لكثرة المسائل التي ينبغي التطرّق له، ودراستها في عدد كبير من المصادر وتفرقِ جُزئياتِها في كتب كثيرة متباعدة.

وإنَّ ما تضمنه هـذا البحث، في تفسير ظـواهر الاستشهاد بشاهد القراءات القرآنية في المـعاجم، والمناهج التي اتبعت في ذلك، والأثر الذي تركته فيها، إنَّما هو حصيلة ما تيسر من معلومات في كتب محددة من كتب القراءات والتفسير والمعاجم. أظن أنها صحيحةً في أكثرها، ولذا فإني مدين سلفاً لكل من يصحح رأياً في هذا البحث، أو يقوم خطأً، أو يوضح غامضاً، فإن الأمر يتعلق بكتاب الله العزيز، وإذا كان هذا مطلباً في سائر البحوث، فإنه في بحث يتصل بالقرآن وتفسيره أولى.

ولا يسعني في الأخير، بعد شكر الله، إلا أن أتقدم بالشكر والتقدير والدعاء للأستاذ الكريم المشرف على هذا البحث الدكتور خير الدين سيب. الذي لم يبخل عليَّ بأَيِّ توجيهٍ وتعليمٍ وتقويمٍ طيلة

إعدادي لهذا البحث، والحق أنني أفدت منه أدباً وعلماً وأخلاقا، فقد كان مثالا يحتذى في الحرص على الوقت وحسن استغلاله،. فأسأل الله أن يجعلَ ما قَدَّمه لي في موازين حسناته، وأن يكتب له أجزل الأجر والثواب. وأن يبارك له في عمره وولده وماله.

كما أشكر أصحاب الفضيلة الذين تفضلوا بقبول قراءة هذا البحث وتقويمه، سائلاً الله تعالى أن يكتب لهم الأجر والثواب على حسن صنيعهم.

وأختم بشكر زميلي وأخي مكي غازي الذي كان لي خير أخ ومعين طيلة إعداد هذه الرسالة بدعمه المتواصل، وتشجيعه المستمر، وآرائه المفيدة، فشكر الله له، وجزاه عني خيراً.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

مغنية في 18 ربيع الأول 1430 هـ.

الموافق لـ 15 مارس 2009 م.

واســـــــــيني بن عبد الله

المدخل

الأزهري وكتابه التهذيب

الأزهري.

اسمه وكنيته ونسبه.

حياته.

علمه.

شيوخه وتلامذته.

مؤلفاته.

وفاته.

تهذيب اللغة.

سبب التسمية.

سبب التأليف.

أهمية التهذيب.

الأئمة الذين اعتمد عليهم في التهذيب.

المبحث الأول: الأزهري.

بحكم أن الأزهري[1] -رحمه الله- من مشاهير العلماء البارزين في اللغة والفقه وبحكم أنه قدم في مجال الدراسات اللغوية عملا متميزا عُدّ من أمهات كتب اللغة العربية ومن أوثق معاجمها ومن أغزرها مادة وأكثرها استيعابا، فلا غرابة أن نجد الأقلام تتهافت على الكتابة عن حياته والترجمة له[2].

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه.

وقد اختلفت الكتب التي ترجمت لأبي منصور الأزهري بين المطول فيه والمقصر، وسأقتصر على الأبسط منها.

هو أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة بن نوح بن الأزهر الأزهري الهروي الشافعي أحد الأئمة الكبار في لغة العرب وآدابهم"[3].

والأزهري نسبة إلى جده الأزهري، والهروي نسبة إلى هراة[4] حيث ولد بها والشافعي نسبة إلى مذهبه الفقهي.[5].

[1] – رجعت في ترجمته إلى الكتب التالية: ابن خلكان – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تحقيق: د. إحسان عباس- لبنان- بيروت – دار صادر-ط:1-1390هـ/1971- د.ت-ج:4 - ص:335. وياقوت الحموي- معجم البلدان – لبنان- بيروت – دار صادر- ط:2-1316هـ1895م -ج:5- ص:397/396. وابن كثير- البداية و النهاية- لبنان- بيروت- دار المعارف- ط:2-1426هـ1995م-ج:11- ص:159/149. وتاج الدين عبد الوهاب السبكي- طبقات الشافعية الكبرى- تحقيق: محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو- مصر- القاهرة- مطبعة عيسى البابي الحلبي- ط:1- 1384هـ/1965م- ج:3 - ج:63. و السيوطي- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- لبنان- بيروت- المكتبة العصرية- د.ط- د.ت- ج:1- ص:19. وشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي- سير أعلام النبلاء- لبنان- بيروت – مؤسسة الرسالة – ط:2- 1405هـ/1985م- ج:16- ص:317/315.

[2] – أبو منصور الأزهري- تهذيب اللغة- تقديم عبد السلام هارون-ج:1- ص:16/5.

[3] – المصدر نفسه -ج:1- ص:5.

4 – هراة – بالفتح- مدينة عظيمة مشهورة، من أمهات مدن خراسان، يقول ياقوت الحموي: "ولم أر بخراسان عند كوني بها في سنة 607 مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخر ولا أكثر أهلاً منها وقد أصابتها عين الزمان، ونكبتها طوارق الحدثان، وجاءها الكفار من التتر فخربوها وذلك في سنة 618 ونسب إليها خلق من الأئمة والعلماء، منهم الحسين بن إدريس بن المبارك أحد مشهوري المحدثين بهراة وكان من الثقات"- ياقوت الحموي- معجم البلدان – ج:5- ص:397/396.

[5] – تاج الدين عبد الوهاب السبكي- طبقات الشافعية الكبرى- ج:3 – ص:63.

ولد الأزهري سنةَ اثنتين وثمانين ومائتين من الهجرة (282هـ/895م)، إحدى مدن خراسان التي شهدت قدرا من النشاط العلمي في القرن الرابع، ولا بد أن هدا الجوَّ ترك الأثر على شخصية أبي منصور الأزهري وعلى أمثاله من أهل هذه المدينة ممن عُرفوا بالجد والمثابرة في التحصيل العلمي[1].

[1] - ابن خلكان – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- ج:4 - ص:335.

المطلب الثاني: حياته

أقام الأزهري صدر حياته في مدينة هراة، وسمع بها من الحسين بن إدريس (ت301هـ) وطائفة من علمائها، ويبدو أنه تخصص في بادئ الأمر في دراسة فقه الشافعي، وبرز فيه إلا أنه تحول بعد ذلك إلى دراسة اللغة، وساعده على ذلك أنه اختلط ببعض القبائل العربية الفصيحة فترة طويلة؛ حيث وقع في الأسر لديهم، فقد حدث أيام فتنة القرامطة سنة 312هـ في أيام المقتدر بالله المعتضد أن كان الأزهري مسافراً إلى الحج وعند عودته أسرته الأعرابُ، وعاش فترة طويلة بين عرب هوازن وقد اختلط بهم تميم وأسد، وهؤلاء جميعاً من فصحاء العرب[1].

يحكي ذلك الأزهري بنفسه في معجمه التهذيب فيقول:" وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضتِ القرامطة الحجاج بالهبير* وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً عامتهم من هوازن واختلط بهم أصرام من تميم وأسد بالهبير، نشأوا بالبادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النُّجَع، ويرجعون إلى أعداد المياه، ويرعون النَّعم، ويعيشون بألبانها، ويتكلمون بطباعهم البدوية، وقرائحهم التي اعتادوها، ولا يكاد يوجد في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في إسارهم دهراً طويلاً، وكنا نتشتى الدهناء، ونرتبع الصُّمَّان، ونتقيظ السِّتارَين. واستفدت من مخاطباتهم، ومحاورة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمة، ونوادر كثيرة، أوقعت أكثرها في مواقعها من الكتاب، سترتها في مواضعها إذا أتت قراءتك إن شاء الله"[2].

ونلاحظه دائما عندما يأتي على ذكر القرامطة الذين أسروه في مواضع كثيرة من كتابه، يدعو عليهم بـ الإبادة، فهو كثير الترديد لكلمة: أبادهم الله[3].

---

[1] - ينظر: ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ج:8 – ص:147. وابن كثير- البداية و النهاية- ج:11- ص:159/149. والأزهري- تهذيب اللغة- تقديم: د.أحمد عبد الرحمن مخيمر-لبنان- بيروت – دار الكتب العلمية- ط:1-1425هـ/2004م- ج:1 – ص: 5.

* - الهبير: رمل في طريق مكة.

[2] - أبو منصور الأزهري- تهذيب اللغة- ج:1 – ص: 7.

[3] - المصدر نفسه- ج: 2- ص: 219.

وإذا وقفنا مع هذا النص المذكور آنفا الذي حدثنا فيه الأزهري عن أسره، نجده يعطينا بعض المقررات الخاصة بالأزهري وبعض الصفات التي اتصف بها، وهي:

- ✓ –كان لوجود الأزهري دهراً طويلاً بين هؤلاء العرب الفصحاء، وتنقله معهم من مكان لآخر، ومعايشته لهم، وسماعه لمخاطباتهم أكبر الأثر في تكوُّن الشخصية اللغوية ونضوجها عنده، مما ساعده في جمع ثروة لغوية هائلة، قوامها السماع والمشافهة والمشاهدة، وهذه من أهم المميزات التي امتاز بها الأزهري على أقرانه.

- ✓ –الأسر يجعل الإنسان نكرة خامل الذكر، مما ربَّى في داخله حب الظهور والسطوع والتميز وذلك من خلال علمه وأدبه وفقهه، فأراد للتهذيب أن يكون درة فريدة في عقد المعجمات، وشمساً ساطعة في سماء العربية، وذلك بما جمع فيه من معارف في شتى العلوم، ونوادر في اللغة لم يُسبق إليها.

- ✓ الأسر يربي في قلب الإنسان روح التمرد وعدم الإذعان والتسليم،مما جعله يتمرد على مرويات اللغويين، فلا يقبلها إلا بعد وضعها على الميزان، فإن صحت له سماعاً أو رواية عن ثقة قبلها، وإلا ردّها.

هذه الأمور كانت دعائم ومدداً ورافداً لأبي منصور الأزهري للتحليل اللغوي والمعجمي الدقيق لكلام العرب و حفظ شواهدها بأنواعها المتعددة.

بعد الأسر الذي أقام فيه دهرا طويلا، كما يقول هو بنفسه، رجع إلى بغداد وكلهُ شوقٌ إلى دراسة اللغة– وقد استفاد من الألفاظ العربية ما شوقه إلى استيفائها– وولوع بالبحث عن معاني الألفاظ والاستقصاء فيها، وأخْذِها من مظانها، وإحكام الكتب التي تأتّى له سماعها من أهل الثبت والأمانة للأئمة المشهورين وأهل العربية المعروفين،وحضر مجالس أهل العربية في بغداد، ويبدو أنه لم يمكث في بغداد طويلاً، ثم رجع إلى هراة، واشتغل بالفقه على المذهب الشافعي، وأخذ اللغة عن مشايخ هراة، وأقام بها إلى أن حضرته الوفاة[1].

---

[1] – السيوطي– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة –ج:1– ص:19. الأزهري– تهذيب اللغة –تقديم: عبد السلام هارون– ج:1– ص: 8.

المطلب الثالث: علمه.

للأزهري قدم راسخة في علوم الدين واللغة، وكان فقيهاً شافعي المذهب- كما أشرت في البداية، لكنه غلب عليه الاشتهار باللغة بسبب معجمه الكبير تهذيب اللغة، فقد كان "جامعاً لشتات اللغة، مطلعاً على أسرارها ودقائقها"[1].

قال عنه تاج الدين السبكي:" كان إماماً في اللغة، بصيراً بالفقه، عرافاً بالمذهب الشافعي، عالي الإسناد، ثخين الورع، كثير العبادة والمراقبة، شديد الانتصار لألفاظ الشافعي، متحرياً في دينه"[2].

ووصف الذهبي بالعلامة، ثم قال عنه:" وكان رأسا في اللغة والفقه ثقة ثبتا دينا"[3].

وهذا يدلنا على مكانة الرجل وفضله وعلمه، وكيف كان عالماً مدققاً، وفقيهاً ملتزماً يتحرّ الحقّ والصدق في كل ما يسمعه أو يكتبه. فقد كان الأزهري أميناً في نقله، ينسب الأقوال – في الكثير الغالب – لأصحابها، ويبدو أن أفاد ذلك من رجال الفقه والحديث، وهذا الأسلوب يدل على أمانته العلمية، التي يشدد عليها أساتذتنا وعلماء العربية اليوم.

والأزهري أيضا عالم في التفسير؛ إذ ألّف كتابا في التفسير سمّاه التقريب في التفسير، كما أنه ضمّن معجمه العديد من أقوال المفسرين عند ذكره شواهد القرآن الكريم وقراءاته المختلفة أو عند شرحه لمادة معجمه الغزيرة، وهذا يشهد برسوخه في علوم الشريعة والدين واللغة بل يصرح بذلك في المقدمة بقوله:" وكتابي هذا وإن لم يكن جامعاً لمعاني التنزيل وألفاظ السنن كلّها فإنه يَحُوز جملاً من فوائدها ونُكتاً من غريبها ومعانيها غير خارج فيها عن مذاهب المفسِّرين ومسالك الأئمة المأمونين من أهل العلم وأعلام اللغويّين المعروفين بالمعرفة الثاقبة والدّين والاستقامة"[4].

---

[1] – ابن خلكان – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- ج:4 – ص:335.
[2] – تاج الدين عبد الوهاب السبكي- طبقات الشافعية الكبرى- ج: 3- ص: 64.
[3] – شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي- سير أعلام النبلاء- ج:16- ص:316.
[4] – الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 1- ص: 7.

بهذا العلم الذي امتلك ناصيته هرع إليه الطلاب والأصحاب وحتى الشيوخ والأساتذة للتقرب أليه، حتى قال فيه ابن كثير في الكامل فإن من يصحب مثل الأزهري ويقرأ كتابه التهذيب يكون فاضلا"[1].

المطلب الرابع: شيوخه وتلامذته.

المسألة الأولى:شيوخه

لقد تتلمذ الأزهري على عدد لا بأس به من علماء عصره، سواء في مسقط رأسه هراة أم في العراق، والشاهد على كثرتهم اعتمادُه عليهم في جلّ أبواب معجمه، كما أنه بدأ كتابه بباب سماه: "ذكر الأئمة الذين اعتمادي عليهم في ما جمعت في هذا الكتاب" وباب آخر سماه"طبقات أخرى أدركناهم في عصرنا" حيث ذكر الذين أخذ عنهم مشافهة أو سماعا وعلى حسب الطبقات التي أوردها[2].

وقد جمع الأزهري من شيوخه أصحابَ اللغة والتفسير والفقه، أذكر منهم:[3]

1- الحسين بن إدريس بن المبارك (ت301هـ).

2- أبو إسحاق الزجاج (ت311هـ).

قال فيه الأزهري:" حضرته ببغداد بعد فراغه من إملاء الكتاب – يعني كتاب المعاني- فألفيت جماعة عنده يسمعونه منه وكان متقدما في صناعته بارعا صدوقا... وما وقع في كتابي له من تفسير القرآن من كتابه"[4].

3- أبو بكر بن السراج (ت312هـ).

4- أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوى (ت317هـ).

---

[1] – ابن الكثير- الكامل في التاريخ- ج: 8- ص: 5.

[2] – الأزهري- تهذيب اللغة – ج:1 – ص:27/8.

[3] – ينظر: تاج الدين عبد الوهاب السبكي – طبقات الشافعية-ج:2 ص: 106. والأزهري- تهذيب اللغة- تقدم عبد السلام هارون- ج:1-ص:16/5.-ج: 1- ص: 10/7

[4] – الأزهري – تهذيب اللغة- ج:1- ص: 28.

5- إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه (ت323هـ).

6- أبو بكر بن الأنباري (ت328هـ).

يقول فيه الأزهري عند الكلام على ابن قتيبة:" ورأيت أبا بكر بن الأنباري ينسبه على الغفلة والغباوة وقلة المعرفة"[1].

7- أبو الفضل محمد بن أبي جعفر المنذري الهروي (ت329هـ).وهو أكبر شيوخه

8- أبو محمد المزني (ت361هـ).

والحق أن إحصاء شيوخ الأزهري يحتاج إلى دراسة طويلة مصدرها الأول مقدمة التهذيب[2].

المسألة الثانية:تلامذته

ما إن عرف الناس الأزهري وذاع صيته في أنحاء المشرق حتى ضُربت إليه أكباد الإبل وهرع الطلاب إلى مجلسه ينهلون من علمه ويأخذون فقهه وفتواه، وقد حفظ لنا التاريخ أسماء عديدة لطلابه، منهم[3]:

1. أبو عبيدة أحمد بن محمد الهروي.
2. الشار أبو نصر.
3. أبو أسامة جنادة بن محمد بن الحسين الأزدي الهروي.
4. أبو يعقوب القراب لإسحاق بن إبراهيم بن محمد بن أحمد السرخصي.
5. أبو ذر عبد بن أحمد الهروي.
6. أبو عثمان سعيد القرشي.

---

[1] - الأزهري – تهذيب اللغة - ج:1- ص: 31.

[2] - المصدر نفسه- ج:1 – ص:38/8.

[3] - ينظر: ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ج:8 – ص:5.و ياقوت الحموي- معجم البلدان – ج:3- ص:309. و السيوطي- بغية الوعاة- ج:1- ص:213.

7. الحسين الباشاني.

8. علي بن أحمد بن خرمويه.

المطلب الرابع: مؤلفاته

ترك الأزهري كتباً ومؤلفات علمية كثيرة تشهد بتفوقه وعلمه ورسوخه في العلم، منها[1]:

1. تهذيب اللغة وهو محل هذه الدراسة.
2. كتاب الأدوات.
3. التقريب في التفسير.
4. تفسير أسماء الله – عز وجل-.
5. تفسير إصلاح المنطق لابن السكيت.
6. تفسير السبع الطوال.
7. تفسير شعر أبي تمام.
8. الحيض.
9. تفسير شواهد غريب الحديث لأبي عبيد.
10. الرد على الليث.
11. علل القراءات.
12. كتاب الروح وما ورد فيها من القرآن والسنة.

ولا أريد أن أطيل الحديث عن حياة الأزهري وفضله وغير ذلك من الأمور المتصلة به، فقد تحدثت عن ذلك كتب التراجم بما فيه الكفاية.

[1] – ينظر: تهذيب اللغة – الأزهري- تقديم عبد السلام هارون – ج:1- ص: 15/13.

المطلب الخامس: وفاته

يكاد المؤرخون يجتمعون على أن وافته كانت بهراة سنة سبعين وثلاثمائة (370هـ) في ربيع الآخر منها، وقيل في أواخرها، وقيل سنة إحدى وسبعين(371هـ)حيث يذكرون أنه توفي فجأة دون مرض[1].

[1] - ينظر: عبد الحي بن أحمد الحنبلي- شذرات الذهب- تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط و محمد الأرنؤوط- سوريا – دمشق- دار بن كثير- ط:1- 1406هـ/1985-ج:3 - ص:72. و الذهبي- سير أعلام النبلاء – ج: 16-ص:316.

المبحث الثاني: تهذيب اللغة

معجم تهذيب اللغة للإمام أبي منصور الأزهري من أهم معجمات اللغة، إذ لم يقتصر على اللغة وعلومها فقط، لكنه يعد موسوعة ثقافية في شتى المعارف والعلوم التي كانت على عصر الأزهري، فقد جمع فيه معارفه وثقافاته اللغوية والتفسيرية ومعارف عن القراءات القرآنية والسنة والفقه وعن كلام العرب، إلى غير ذلك من المعارف المبثوثة في صفحات معجمه.

المطلب الأول: سبب التسمية

يحدثنا الأزهري عن سبب تسميته له بهذا الاسم، فيقول: "وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة، لأني قصدت بما جمعت فيه نفيَ ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها، وغيرها الغُتْم عن سننها، فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي، و لم أحصر على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله، والغريب الذي لم يسنده الثقات إلى العرب"[1].

يظهر من كلام الأزهري هذا أنه كان صاحب شخصية بارزة، فلم يكن بَبَّغاء يردد كلام الآخرين، لكنه كان يحاور ويناقش ويضيف من ثروته اللغوية ومطالعاته – الكثير الذي لم يسبق إليه فيما تقدمه من معجمات، كما أنه كان يتثبت ، فلا يأخذ إلى ما صح عنده.

كما أن عنوان كتابه نفسه يبين هدفه من تأليفه؛ فقد قصد من ذلك أن يهذّب اللغة، ويخلصها مما علق بها من شوائب.

[1] – الأزهري- تهذيب اللغة –ج:1- ص: 54.

المطلب الثانية: سبب التأليف

يذكر الأزهري السبب المباشر من تأليفه في المقدمة بقوله:" وقد دعاني إلى ما جمعتُ في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها واستقصيتُ في تتبُّعٍ ما حصَّلت منها والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها التي احتجَّ بها أهل المعرفة المؤتمنون عليها خلالٌ ثلاثٌ:

منها تقييد نكت حفظتُها ووعيتُها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقمت بين ظهرانيهم سنيَّات إذ كان ما أثبتَه كثيرٌ من أئمةِ أهل اللغة في الكتب التي ألّفوها والنوادر التي جمعوها لا ينوبُ منابَ المشاهدة ولا يقوم مقام الدُّربة والعادة.

ومنها النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين في إفادتهم ما لعلَّهم يحتاجون إليه.

والخلة الثالثة هي التي أكثر القصد أني قرأت كتباً تصدَّى مؤلفوها لتحصيل لغات العرب فيها مثل كتاب العين المنسوب إلى الخليل ثم كتب من احتذى حَذْوَه في عصرنا هذا وقد أخلَّ بها ما أنا ذاكره من دَخَلها وعَوارها بعقب ذكرى الأئمةِ المتقنين وعلماء اللغة المأمونين على ما دوّنوه من الكتب وأفادوا وحصَّلوا من اللغات الصحيحة التي روَوها عن العرب واستخرجوها من دواوين الشعراء المعروفين وحفظوها عن فصحاء الأعراب"[1].

الملاحظ من هذا الكلام أن سبب تأليف الكتاب يرجع إلى أهداف ثلاثة وهي:

1ـ تقييد ما سمعه وحفظه من أفواه العرب الذين شاهدهم وأقام بينهم.

2ـ النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين.

3ـ تصحيح الأخطاء الواردة في كتب اللغة قبله.

[1] - الأزهري- تهذيب اللغة – تقديم: عبد السلام هارون- ج: 1- ص: 7.

المطلب الثالث: أهمية التهذيب

يمكن أن يطلق على التهذيب مصطلح دائرة معارف أو الموسوعة اللغوية الشاملة، ولا يعرف قدره ومكانته "حق المعرفة إلا من نظر فيه طـويلاً وتتبع منهجه الوثيـق في تـفـسير اللغة، والأمانة الصادقة التي كان يستشعرها الأزهري وهو يصنع كتابه"[1].

وحسبنا في ذلك مـا قاله ابن منظور حين جعله عمدة أصوله في معجمه لـسان العرب: "ولم أجد في كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة لأبي مـنـصور محمـد بـن أحمـد الأزهـري، ولا أكمل من المحكم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده الأندلسي– رحمهمـا الله – وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وما عداهما بالنسبة إليهما ثنيات للطريق[2]".

وقال في موضع آخر:" وأنا مع ذلك لا أدعي فيه– أي لسان العرب- دعوى فـأقول شافهت أو سمعت أو فعلت أو صنعت أو شددت أو رحلت أو نقلت عن العرب العربـاء أو حملت؛ فكل هذه الدعاوى لم يترك فيها الأزهري وابن سيدة لقائل مقالا، ولم يخليا فيها لأحد مجالا، فإنهما عينا في كتابيهما عـمّن رويا وبرهنا عـمّا حويا ونشرا في خـطيهما مـا طويا، ولعمري لقد جمعا فأوعيا، وأتيا بالمقاصد ووفّيا"[3].

لقد جعل ابن منظور تهذيب اللغة والمحكم من خيرة المعجمات، بل عدّ غيرهما تـابع لهما، وأنهم لم يتركا مجالا للباحثين بعدهما للزيادة في المجال اللغوي والمعجمي.

ومن أهم ما يميز تهذيب اللغة تلك المنهجية العلمية في المعالجـة، والدقـة اللغويـة في الشرح، والاستشهاد بأنواع الشواهد وذلك في "استخدام أسـلوب الـضبط بالحركـات أو بالحروف أو بالرسم والصورة أو بالمثال"[4].

والمراد من الرسم والصورة أن الأزهري يصور المعنى كأنه قد امسك بريشة ورسم لنا لوحة فنية يظهر فيها جميع ملامح المعنى.

---

[1] – المصدر السابق – ج: 1- ص: 56.

[2] – ابن منظور- لسان العرب- لبنان – بيروت – دار إحياء التراث العربي- ط:1- 1408هـ /1988م-ج: 1- ص: 11.

[3] – المصدر نفسه- ج:- ص:8/7.

[4] – الأزهري- تهذيب اللغة- ج:1- ص:385.

وكذلك نجد أن الأزهري" قد حشاه بما سمعه مشافهة من الأعراب، وعني برواية اللغة من العلماء الأثبات المتقنين، ونفى ما لم يثبت عنده"[1].

ومن الظواهر الهامة في الكتاب– أيضاً – عناية المؤلف بالشواهد القرآنية والحديثية عناية كبيرة فاق فيها غيره من اللغويين الذين رأينا آثارهم، والسبب في ذلك قريب واضح يدل عليه عناية المؤلف نفسه بربط القرآن الكريم والدين باللغة، فهذا الارتباط هو الذي ولّد عنده هذه العناية الفائقة، وكان يستشهد بالقراءات القرآنية المختلفة.

كذلك عنايته واهتمامه بالنوادر، وسبب هذا مخالطته للأعراب ومعايشته لهم أيام أسره، ومن مظاهر هذه العناية أنه أفردها بالحديث والإشارة إليها.

أما الجديد الذي انفرد به الأزهري في معجمه عمن سبقه، وتميز به عليهم فكان في المواد اللغوية؛ إذ زاد على مادة العين والجمهرة كثيراً من المواد والمعاني، بل الأقوال التي تفسر لفظاً واحداً ذا معان متقاربة وربما واحدة، وصدرت من لغويين مختلفين، وفحص ألفاظه فحصاً شديداً، بل لا تكاد لفظة من مادته إلا وأتى لها من شاهد من القرآن أو الحديث أو كلام العرب، أو يجمع بين كل ذالك.

[1] - ينظر: الأزهري- تهذيب اللغة- ج:1- ص: 7.

المطلب الثالث: الأئمة الذين اعتمد عليهم في التهذيب

تحدث الأزهري عن العلماء الذين كان يرجع إليهم في معجمه، وقد ذكر طبقاتهم الخمس في مقدمة كتابه[1]، ومن أبرز هؤلاء:

- ✓ من الطبقة الأولى: أبو عمر بن العلاء، وخلف الأحمر والمفضل بن محمد الضبي.
- ✓ من الطبقة الثانية: أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري، وأبو عمرو الشيباني، وأبو عبيدة، معمر بن المثنى، والأصمعي، واليزيدي، والكسائي والفراء وسيبويه، وغيرهم.
- ✓ ومن الطبقة الثالثة: أو عبيد القاسم بن سلام، وابن الأعرابي واللحياني، ونصير الرازي، وأبو حاتم السجستاني، وابن السكيت، وغيرهم.
- ✓ ومن الطبقة الرابعة: شمر بن حميد، وثعلب، والمبرد.
- ✓ ومن الطبقة الخامسة: الزجاج، وابن الأنباري، ونفطويه.

هذا الكم الهائل من العلماء الذين اعتمد عليهم الأزهري شاهد كبير على الدقة التي امتاز بها هذا المعجم، وعلى التحري الذي اتصف به صاحبه.

وغاية القول فإنه مهما يكن من أمر يبقى تهذيب اللغة للأزهري أكثر معجمات القرن الرابع وما سبقه استيعاباً للغة، وأكثرها استعمالا للشواهد بأنواعها. وأدقها تعاملا مع المعلومة المقدمة للقارئ.

وهو– كما سبق أن ذكرتُ – دائرة معارف، وموسوعة لغوية فيه اللغة والقراءات والتفسير والحديث والفقه والنبات والصحارى والجبال والحيوان إلى غير ذلك من عناصر الطبيعة العربية والبيئة البدوية والحضارة الإسلامية، وقد صور لنا حياة العربي أصدق تصوير، معتمداً على السماع والمشاهدة والمعاينة، والتهذيب يجد فيه الباحثون في أصول اللغة وفنون العربية، ضالتهم المنشودة، يغرف كل منهم ما يشاء منه.

---

[1] – ينظر: الأزهري– تهذيب اللغة– ج: 1– ص: 35/9.

وقد كان للتهذيب أثر كبير في المعجمات بعده، وقد سبق ذكر كلام ابن منظـــور في التهذيب وفضله بين معجمات العربية، فلو لم يكن للتهذيب من أثر في مؤلفات المتأخرين غير كونه أولَ أصول لسان العرب لابن منظور لكفاه شرفا وفضلا؛ ذلك أن تحليل عناصر المادة في لسان العرب بحثٌ ينتهي إلى أن العمدة فيه نصُ التهذيب، وهو ما يبين قيمة الكتـــاب ويـــبرز أهميته وأثره.

وهكذا نجد أن الأزهري لم يكن مجردَ ناقل، بل هو عالم فذ، وعليم باللغة، يميّز بـــين جيدها ورديئها، ويكثر من الاستدلال على ما يأتـــي به من مادة لغوية.

الفصل الأول

الـــــــــشواهد

تعريف الشواهد.

الشواهد في اللغة.

الشواهد في الاصطلاح.

أنواع الشواهد

شاهد القرآن الكريم وقراءاته

شاهد الحديث النبوي الشريف.

الشاهد من كلام العرب.

فوائد الشواهد

الشواهد وعصور الاحتجاج والمدارس اللغوية والنحوية.

الشواهد وعصور الاحتجاج.

الشواهد و المدارس اللغوية والنحوية.

الفصل الأول: الشواهد.

كان للعرب حفاوة بالغة بفن القول وطرق التعبير وأدائه، حتى يصل إلى قلب السامع أو القارئ ويؤثر فيه، ومن تلك الطرق استعمالهم الشواهدَ والمثـــال في كلامهـــم وحـــديثهم ومؤلفاتهم.

فما هو الشاهد وما هي أنواعه وما هي فوائده؟

المبحث الأول: تعريف الشواهد.

لأتمكّن من الوقوف على دور الشاهد في الاستعمالات المعجمية عموما رأيـــت مـــن الواجب أعرفه لغة واصطلاحا:

المطلب الأول: الشواهد في اللغة

لعل من المهم في تعريف الشاهد لغة أن نذكر مشتقات الكلمة وأصلها، ودلالاتها اللغوية والمعجمية.

المسألة الأولى: مشتقات لفظة الشواهد

الشواهد جمع شاهد، وهو اسم فاعل مـــن الفعل الثلاثي شَـــهدَ، نقـــول رجـــل شـــاهِدٌ، وكذلك الأُنثى، والجمع أَشْهاد وشُهود، وصيغة المبالغة منه شهيد على وزن* فعيل* والجمع شُهَداء، ومصدره الشهادة؛ يقال شَهِدَ يشْهَدُ شَهَادَة، واستشهد استشهادا علـــى وزن استفعل، و شَهِدَ الرجلُ على كذا،على وزن عَلِمَ وكَرُمَ، وربما قالوا: شَهْدَ الرجلُ، بـــسكون الهاء مع فتح الشين، وكسرها أيضا مع سكون الهاء شِهْدَ، ووردت شِهِدَ بكسرتين[1].

[1]- ينظر: ابن المنظور- لسان العرب - ج: 7- ص: 222. و محمد بن يعقوب الفيروز آبادي- القاموس المحيط- لبنان - بيروت - مؤسسة الرسالة- د.ط- د.ت -ج: 1 ص: 373. و محمد مرتضى الحسيني الزبيدي- تاج العروس من جواهر القاموس- لبنان - بيروت- دار صادر- ط:1- 1306هـ-1885م -ج:2- ص:391.

وبعض القبائل من اليمن تكسر صَدْر كلّ فعلٍ يجيء على بناء عَمِل، فيقولون شِــهد وسِعِد، ويقرءون:(وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا)[1] (شِهدنا) بكسر الشين[2].

المسألة الثانية: الأصل اللغوي للكلمة.

تدور مادة(ش.هـ.د) في لسان العرب حول الحضور والعلم والإعلام؛ يقول أحمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة: " الشين والهاء والدال أصلٌ يــدلُّ علــى حــضور وعلــم وإعلام"[3].

المسألة الثالثة: الدلالات المعجمية. . .

للفظة " الشاهد" في كلام العرب معان كثيرة على حسب موقعها من السياق، وعلي حسب استعمالاتها أذكر منها:

– الإقرار والاعتراف:

شَهِدَ الشاهِدُ عند الحاكم أي أقر بما يعلم و اعترف[4]، يشهد على ذلك قوله تعالى:

(مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ)[5].

1– سورة يوسف– من الآية:81.

2– ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي– العين– تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي– لبنان – بيروت – مؤسسة الإعلامي للمطبوعات – ط: 1– 1408هـ/1988م – ج: 7 – ص:317.

3– أحمد بن فارس– معجم مقاييس اللغة– تحقيق و ضبط: عبد السَّلام محمد هَارُون – لبنان– بيروت – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع– ط: 1 – 1399هـ/1979م – ج:3 – ص: 221

4 – الأزهري– تهذيب اللغة – تحقيق: د. أحمد عبد الرحمن مخيمر– لبنان – بيروت – دار الكتب العلمية– ط:1- 1425هـ/2005م.ج: 6 – ص:73. و ينظر: ابن المنظور– لسان العرب– ج:7 – ص:224.

5– سورة التوبة: 17

أي مقرين على أنفسهم بالكفر؛ وذلك أنهم يؤمنون بأنبياء بشّروا بمحمد وحثّوا على إتباعه، ثم خالَفوهم فَكَذّبُوه، فبينوا بذلك الكفر على أنفسهم وإن لم يقولوا نحن كفار[1].

- الشهادة بمعنى الحكم: كما قال الله في سورة يوسف:

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾[2]

قال القرطبي- رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" لأنهما لما تعارضا في القول احتاج الملك إلى شاهد ليعلم الصادق من الكاذب فشهد شاهد من أهلها أي حكم حاكم من أهلها؛ لأنه حكم منه وليس بشهادة"[3]

الحضور ضد الغياب:

شَهِدَ الأَمر والمِصْرَ شَهادَةً، فهو شاهدٌ أي حاضر، خلاف الغائب والجمع شُهَداء وشُهَّدٌ وأَشْهادٌ وشُهودٌ[4]، ومنه قول الله تعالى:

﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [5]

معناه من شَهِدَ منكم المِصْرَ في الشهر؛ أي كان حاضراً غير غائب في سفره يصوم لا محالة[6].

---

1 - ينظر: ابن المنظور- لسان العرب- ج: 7- ص: 223. ومحمد بن جرير الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- تحقيق: أحمد محمد شاكر- لبنان - بيروت - مؤسسة الرسالة- ط:1- 420 هـ/ 2000م- ج: 14 - ص:165. وأبو عبد الله محمد القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- لبنان - بيروت - دار إحياء التراث العربي- ط:1- 1405 هـ/ 1985م ج: 8 - ص: 89.

2- سورة يوسف- من الآية :26.

3- القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج : 9 - ص: 172.

4 - ابن منظور - لسان العرب- ج:7 - ص:224.

5 - سورة البقرة- من الآية: 185.

6- ينظر:ابن كثير- تفسير القرآن العظيم- تحقيق: حسان الجبالي- المملكة العربية السعودية- الرياض- بيت الأفكار الدولية - ط:1- 1420هـ/ 1999م - ص: 188.

ومنه قول الشاعر:

كأني، وإن كانت شهوداً عشيرتي ✻ إذا غبت عني يا عُثيمُ، غريبُ

أي إذا غِبْتِ عني فإني لا أُكلّم عشيرتي ولا آنسُ بهم كأني غريب عنهم[1].

ومن هذا المعنى الشهيد وهو القتيل في سبيل الله سُمّيَ كذلك لأن ملائكة الرحمة تشهده أي تحضره.

1- ابن المنظور- لسان العرب- ج:7 - ص:224.

-الشاهد بمعنى المراقب للحدث:

نقول شَهِد له بكذا شَهادةً، أي أدّى ما عنده من الشهادة، و بيّن ما يعلمه وأَظهره، وأعلَمَ لمن الحقُّ وعلى مَنْ هو[1]؛ كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

« **شاهداك أو يمينه** »[2] ؛ أي لك من يشهد لك ويبين أمرك ويظهر صدق ما أتيت به مع خصمك[3].

ويشهد لذلك قول جميل بن معمر[4]:

فسل هذي متى تقضي ديوني ❀ وهل يقضيك ذو العلل المطول

فَقالَ أميرُنا هاتوا شُهوداً ❀ فَقُلتُ شَهيدُنا المَلِكُ الجَليلُ

- **الشاهد الدليل والبرهان:** والجمع شواهد،ومنه قول محمود الورّاق[5]:

إنّ العُيون على القُلوب شَواهدٌ ❀ فبغيضُها لكَ بَينٌ وحبيبُها

وإذا تَلاحظت العُيون تَفاوضت ❀ وتحدثت عما تجن قلوبها

يَنطِقنَ والأفواهُ صامِتةٌ فما ❀ يَخفى عليك بَريئُها ومُريبها

أي أن العيون تبين وتبرهن على حبها أو بغضها للآخرين بعلامات يعرفها الناظر إليها.

1- ابن المنظور- لسان العرب- ج:7 - ص:223.

2 - محمد بن إسماعيل البخاري- صحيح البخاري- تحقيق : مصطفى ديب البغا- لبنان - بيروت - دار ابن كثير- ط:3- 1407 هـ/ 1987م - ج: 2 - ص: 950 . مسلم بن الحجاج النيسابوري- صحيح مسلم- لبنان - بيروت - دار الكتب العلمية- د.ط: د.ت- ج: 2 - ص: 131. وينظر: أحمد أبو الفضل ابن حجر العسقلاني- فتح الباري - تحقيق: محب الدين الخطيب - لبنان - بيروت - دار المعرفة- د. ط- د ت- ج: 5 - ص:281.

3- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي - شرح النووي على صحيح مسلم- لبنان - بيروت - دار إحياء التراث العربي - ط:2- 1392 هـ/ 1972م - ج: 2 - ص: 160.

4- جميل بن عبد الله بن معمر- الديوان- لبنان- بيروت- دار صادر- د.ط- د.ت- ص: 84. وينظر: أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي-الأمالي في لغة العرب- لبنان - بيروت - دار الكتب العلمية- ط:1- 1398 هـ/ 1978م-ج: 2 - ص: 84.

5 - ينظر : ابن عبد ربه الأندلسي- العقد الفريد- تحقيق : د.مفيد محمد قميحة- لبنان - بيروت - دار الكتب العلمية- ط:1- 1404هـ/ 1983م- ج: 2- ص: 204.

وقول المتنبي[1]:

وَحيدٌ مِنَ الخُلّانِ في كُلِّ بَلدَةٍ ✿ إِذا عَظُمَ المَطلوبُ قَلَّ المُساعِدُ

وَتُسعِدُني في غَمرَةٍ بَعدَ غَمرَةٍ ✿ سَبوحٌ لَها مِنها عَلَيها شَواهِدُ

- **الشاهد بمعنى اللِّسان أو المَلَك**: وقـــد جمعهما الأعشى في بيت واحد، فقال[2]:

فلا تحسَبَنّي كافراً لك نِـــعمةً ✿ عَلَى شاهِدي يا شاهِدَ اللهِ فاشْهَدِ

فشاهده: اللسان: وشاهد الله جلَّ ثناؤه، هو المَلَك[3].

وفي المثل:" **ما له رواء ولا شاهد**"؛ الرواء: المنظر، والشاهد: اللسان. أي ما له منظر ولا منطق4.

- **الشاهد الماء الذي يخرج على رأس الصبيّ إذا وُلد** كأنه مخاط[5]، كمـــا قـــال الشاعر حميد بن ثور الهلالي:

فجاءَت بمثلِ السّابِـرِيِّ تَعـجَّبُوا ✿ لهُ والثَّرَى ما جفَّ عنه شُهودها[6]

1- يقول المتنبي تعينني على توارد الغمرات في الحروب سبوح، وهي الفرس كأنها تسبح في جريها، يشهد بكرمها خصال لها منها أدلة عليها. ينظر: عبد الرحمن البرقوقي- شرح ديوان المتنبي- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط:2- 1407 هـ/ 1986م-ج:1- ص: 393.

2- الأعشى- ديوان الأعشى- ص: 133.و ينظر: ابن قتيبة الدينوري- الشعر والشعراء- تحقيق : أحمد محمد شاكر- مصر - القاهرة - دار المعارف- ط:2- 1377 هـ/ 1988م- ج:1- ص: 266.

3- ينظر: ابن المنظور - لسان العرب- ج:3 - ص: 238.

4- أبو الفضل بن محمد الميداني- مجمع الأمثال- تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد- لبنان - بيروت - دار المعرفة- د.ط- د.ت - ج:2 - ص:274.

5- ينظر: الخليل بن أحمد-العين- ج:3 - ص: 398.

6 - ينظر: ابن المنظور- لسان العرب- ج:7 - ص:226. و ابن دريد - جمهرة اللغة - تحقيق : رمزي منير بعلبكي- لبنان - بيروت - دار العلم للملايين- ط:1- 1408 هـ/ 1987م- ج: 2 - ص: 653.

– **الشاهد العالم بالحق**، ومنه قوله تعالى:

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ)[1] أي وأنتم تعلمون أنه الحق[2].

– وصلاة الشاهد هي صلاة الفجر أو صلاة المغرب لأن المسافر يصليهما كالشاهد لا يقصر منهما[3]، فيستوي فيهما المقيم والمسافر.

– وذكر القرطبي في تفسير قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ)**[4] أن لــِ: شهد في القرآن الكريم عدة معاني غير التي ذكرناها؛ مثل: وصّى وحلف وقضى[5].

– وفُسّر الشاهد في قوله تعالى: **(وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ)**[6] بعدة معاني، منها: الله عزّ وجلّ، والرسول صلى الله عليه وسلم، والإنسان، ويوم الجمعة، ويوم الأضحى، ويوم القيامة[7]...

نخلص إلى أن معاني الشاهد ارتكزت أساسا في الإخبار والإعلام، والحضور، والعلــم والحكم، والاعتراف، والبرهان، أضف إلى ذلك بعض الاستعمالات التي وّظفهــا العــربي في كلامه؛ كاللسان والماء الذي يخرج على رأس الصبي إذا ولد، وبعض الدلالات الإسلامية التي

1- سورة آل عمران – الآية: 70.

2- ابن كثير – تفسير القرآن العظيم – ج:2 ص: 59. و السيوطي – تفسير الجلالين- مصر- القاهرة- دار الحديث- ط:1 – د.ت – ج:2 – ص: 76.

3- ابن منظور- لسان العرب-ج: 3 – ص: 243.

4- سورة المائدة من الآية: 106.

5- القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 6 – ص:347

6- سورة البروج- الآية: 3

7- ينظر: ابن جرير الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج 24 – ص:337. وابن كثير- تفسير القرآن العظـيم- ج: 8 – ص:364. ومحمد الأمين بن المختار الشنقيطي- أضواء البيان – بيروت- لبنان- دار الفكر للطباعة والنشر- ط:1- 1415هـــ /1995م- ج: 8- ص 477. والأزهري- تهذيب اللغة- ج 6- ص :49. ومحمد الرازي- مختار الصحاح- لبنان – بيروت- دائرة المعارف في مكتبة لبنـــان- د.ط- 1985م – ص:147. وابن القيم الجوزية- زاد المعاد في هدي خير العباد- تحقيق : محمد حامد الفقي- بيروت – لبنان- دار الكتاب العربي-د.ط- 1392هـ /1972م – ج: 2 – ص 129 .

فسّر بها النبي صلى الله عليه وسلم بعض ألفاظ القرآن الكريم كصلاة المغرب ويوم الجمعة ويوم عرفة وغيرها.

المطلب الثاني: الشواهد في الاصطلاح

تعدّدت التعاريف الاصطلاحية للشاهد وذلك على حسب العلم التي ينتمي إليه هـذا المصطلح، وعلى حسب اختصاص كل فريق؛ فإن لأهل الحديث تعريفا يختلف عـن تعريـف اللغويين، أو البلاغيين، أو الفقهاء.

وقد أحصيت أربع تعريفات اصطلاحية للشاهد؛ تمثلت في علوم الحـديث والفقـه والتصّوف واللغة.

المسألة الأولى: الشواهد في اصطلاح المحدّثين.

يعّرف أهل الحديث الشاهد بأنه:" الحديث الذي يُروى عن صحابي مشابها لمـا روي عن صحابي آخر في اللفظ أو المعنى"[1]

فالشاهد عند المحدّثين هو ذلك الحديث الذي يشارك فيه رواته رواة الحديث الفـرد[2] لفظاً ومعنى، أو معنى فقط، مع الاختلاف في الصحابي؛ فإذا اختلف الـصحابي في الحـديث يسميه العلماء شاهدًا، وإذا كان الحديث مرويًّا عن أبي هريرة وابن عمر مثلا نستطيع أن نقول إن حديث ابن عمر شاهد لحديث أبي هريرة، والعكس كذلك[3].

والغرض من البحث عن شواهد الحديث الشريف ومتابعاته هو معرفة حالته إن كـان فردا أو معروفا أم لا، لتعضيد الحديث الأول، يقول الحافظ أبو عمرو عثمان بن الـصلاح في مقدمته عند ذكره الشواهد والمتابعات :" هذه أمور يتداولونها في نظرهم في حال الحديث، هل تفرد به راويه أولا؟ وهل هو معروف أولا"[4].

1- د. محمد عجل – الوجيز في علوم الحديث ونصوصه- الجزائر- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- د.ط – 1989م- ص: 340. وينظر: أبو عمر عثمان بن الصلاح – مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث- تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي- لبنان – بيروت- المكتبة العصرية – ط:1- 1424هـ/2003م – ص :27/26 والحافظ ابن كثير- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث- شرح وتعليق: أحمد محمد شاكر- لبنان – بيروت- دار الكتاب العربي – د.ط- د.ت- ص: 56.

2- الحديث الفرد هو الحديث الذي لم يرد إلا من طريقٍ واحد، فيقولون مثلا تفرد به أبو هريرة، ينظر: أبو عمر عثمان بن الصلاح- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث- ص: 50.

3- د. محمد عجل- الوجيز في علوم الحديث ونصوصه- ص: 340

4- ينظر: أبو عمر عثمان بن الصلاح – مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث- ص: 50.

فالقضية هنا قضية تقوية للحديث، يعني نحن حينما نبحث هذا الموضوع أو نتكلم في هذه القضية نحن نريد أن نعرف كيف يمكن أن يتقوى الحديث الفرد الذي لم يرد إلا من طريقٍ واحد، لا يُتقوى إلا بالطرق الأخرى.

وقد يطلق الشاهد على مصطلح المتابع[1].

مثال الشاهد في اصطلاح المحدّثين:

روى الترمذي في سننه عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

« مَنْ أَتَى الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ»[2]

فلهذا الحديث شاهد من حديث أبي سعيد الخد ري – رضي الله عنه – في الصحيحين عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:

« الْغسْلُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِ مُحتَلِمٍ»[3]

فالترمذي – رحمه الله – روى الحديث الأول في موضوع غسل الجمعة عن الصحابي سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهما ، بينما البخاري ومسلم – رحمهما الله – رويا الحديث الثاني بالمعنى نفسه الموجود في الحديث الأول، ولكن عن صحابي آخر وهو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه؛ فنقول: الحديث الثاني شاهد للحديث الأول، أو هو متابع على حسب قول الحافظ بن حجر السابق.

الشاهد عند المحدّثين له علاقة وطيدة بالشاهد عند أهل اللغة، وذلك في الهدف والغاية؛ فالهدف من الحديث الشاهد هو تأكيد حديث آخر وتعضيده كيلا يبقى فيه لبس أو

1- المتابع هو الحديث الذي يُتابع فيه راوٍ تفرد بحديثٍ آخر، ينظر: جلال الدين السيوطي- تدريب الراوي في شرح تقريب النووي- تحقيق وتعليق: د. أحمد عمر هاشم- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- د. ط 1419هـ/1999م- ص: 203/202.

2- الترمذي – سنن الترمذي – ج: 2 - ص: 592

3- البخاري – صحيح البخاري- ج: 1 ص: 293. و مسلم – صحيح مسلم- ج: 6 - ص: 110

شك في وروده، وكذلك من أهداف الشاهد في اللغة تعضيد اللفظة أو الكلمة أو الصيغة وجعلها في مصاف الاستشهاد.

المسألة الثانية: الشواهد في اصطلاح الفقهاء.

يعرّف أهل الفقه الشاهد بأنه الشخص المخبِر بحق على غيره، بشروط، عن مشاهدة وعيان لا عن تخمين وحسبان بلفظ أشهد أو شهدتُ[1].

والشاهد في اصطلاحهم هو حامل الشهادة ومؤديها؛ لأنه شاهد لما غاب عن غيره[2].

والشهادة عندهم هي إخبار الشخص عما يكون قد أدركه بإحدى حواسه، أوهي إخبار صدق لإثبات جف بلفظ الشهادة في مجلس القضاء[3].

ويختلف عدد الشهود من حدّ إلى آخر؛ فلا يقبل مثلا في الزنا إلا شهادة أربعة من الرجال، وباقي الحدود والقصاص شهادة رجلين، وما سواهما من الحقوق تقبل فيها شهادة رجلين، أو رجل وامرأتين، ويقبل في الولادة شهادة رجل واحد[4].

فالشاهد عند الفقهاء لا يخرج عن نطاق التعريف اللغوي له؛ وهو ذلك الشخص الذي يدلي بشهادته لإحقاق حق أو إظهار أمر، أو الإتيان به لحضور عقد من العقود كالنكاح والطلاق والعتق والوكالة والوصاية وغيرها، أو حدّ من الحدود كالسرقة والزنا والقذف وشرب الخمر...

1- أ.د محمد دواس قَلعَرْجي. و د. حامد صادق قَنيبجي- معجم لغة الفقهاء - لبنان- بيروت- دار النفائس – ط:1- 1405هـ/1985م- ص: 256.

2- ينظر: سيد سابق- فقه السنة – لبنان- بيروت- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – ط:1-1424هـ/2003م- ج: 1 ص: 35

3- د. محمد سامي النبراوي - أحكام تشريعات الحدود - مصر - القاهرة- دار غريب للطباعة- ط:1 - 1976م - ص: 87.

4- ينظر: خليل بن إسحاق المالكي- مختصر العلامة خليل- تصحيح وتعليق: أحمد نصر- الجزائر - دار الشهاب- د.ط- د.ت- ص: 67. وعبد الرحمن الجزيري- كتاب الفقه على المذاهب الأربعة– لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية – ط:2 - 1424هـ/2004م- ج: 4 ص: 1220/1002/719.

والملاحظ في كتب الفقه التي اطلعت عليها أن بعضا منها لم يعرّف أصحابُها الشاهدَ وإنما ذُكرت الشروطُ التي من خلالها تُقبل شهادتُه كالإسلام والحرية و العدالة والحرية، وكــذا صيغة هذه الشهادة وألفاظها[1].

المسألة الثالثة: الشواهد في اصطلاح الصوفية. . .

الشاهد في اصطلاح الصوفية هو ما تعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المُشَاهد وهــو على حقيقة ما يضبطه القلب من صورة المشهود[2]. وهو عبارة عما كــان حاضــرا في قلــب الإنسان وغلب عليه ذكره، يقول الجرجاني في التعريفات هو:" عبارة عما كان حاضراً في قلب الإنسان، وغلب عليه ذكره، فإن كان الغالب عليه العلم فهو شاهد العلم، وإن كان الغالــب عليه الحق، فهو شاهد الحق"[3].

ويقول محمد عبد الرؤوف المناوي صاحب كتاب التوقيف على مهمات التعاريف:" الشاهد عند أهل الحق ما تعطيه المشاهدة من الأثر في قلب المشاهد وهو على الحقيقة ما يضبط القلب من صورة المشهود"[4]

فالشاهد عند هؤلاء القوم ما يكون حاضر قلب الإنسان يفكر فيه؛ فكل ما يــستولي ذكره على قلب صاحبه فهو يشاهده؛ فان كان الغالب عليه العلم فهو يشاهد العلم وإن كان الغالب عليه الحق أو الوجد فهو الحق أو الوجد؛ فكل ما هو حاضر في القلب من تفكــير أو تخمين أو استشعار فهو الشاهد[5].

1- ينظر: العسقلاني- بلوغ المرام من أدلة الأحكام - تحقيق : محمد رضوان محمد- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي – د.ط - د ت - ص: 259. وخليل بن إسحاق المالكي- مختصر العلامة خليل- ص: 158. و د. محمد سامي النبراوي - أحكام تشريعات الحدود - ص: 100/90.

2 - د. محمود عبد الرزاق – المعجم الصوفي، دراسة علمية في الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي- المملكة العربية السعودية- جدة- دار ماجد عسيري- ط: 1- 1425هـ/2004م. وينظر: معجم الكلمات الصوفية- أحمد النقشبندي الخالدي- تحقيق: أديب نصر الدين- لبنان- بيروت- مؤسسة الانتشار العربي- ط:1-1418هـ/1997م- ص: 45.

3- الجرجاني –التعريفات- تحقيق : إبراهيم الأبياري – لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط:1 - 1405هـ/1985م- ص: 164.

4- محمد عبد الرؤوف المناوي - التوقيف على مهمات التعاريف- تحقيق : محمد رضوان الداية - لبنان- بيروت- دار الفكر المعاصر- ط:1- 1410هـ/1990م - ص: 422.

5- ينظر : أبو حامد الغزالي- إحياء علو الدين- - لبنان - بيروت- دار الفكر- ط:1- 1415هـ/1995م- ج: 2- ص: 309

وبعض الأحيان لا تكون المشاهدة عند هؤلاء القوم بالقلب فقط بل تتعدى ذلك إلى الرؤية الحسية بالعين، وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية" ... وكثير من هؤلاء العباد الذي يشهد قلبه الصورة المثالية ويفنى فيما شهده، يظن أنه رأى اللّه بعينه؛ لأنه لما استولى على قلبه سلطان الشهود لم يبق له عقل يميز به،والمشاهد للأمور هو القلب، لكن تارة شاهدها بواسطة الحس الظاهر، وتارة بنفسه، فلا يبقى أيضًا يميز بين الشهودَين، فإن غاب عن الفرق بين الشهودين ظن أنه رآه بعينه، وإن غاب عن الفرق بين الشاهد والمشهود ظن أنه هو"[1].

يشرح ابن تيمية- رحمه الله- منزلة من منازل الشهود عند بعض الصوفية؛ وهي الرؤية الحقيقية لله لمن شاهده حتى ظن أنه رآه عيانا،فإذا شاهد ربه بنفسه ظن نفسه هو، وهذا ما يسمى بالفناء أي فناء العبد في ربه، يقول ابن القيم الجوزية:" وقد يغلب شهود القلب بمحبوبه ومذكوره حتى يغيب به ويفنى به فيظن أنه اتحد به وامتزج بل يظن أنه هو نفسه كما يحكى أن رجلا ألقى محبوبه نفسه في الماء فألقى المحب نفسه وراءه فقال له ما الذي أوقعك في الماء فقال غبت بك عني فظننت أنك أني"[2]

وتعد الشهادة عند هؤلاء القوم مرتبة من مراتب القرب إلى الله عز وجل ومنزلة من منازل إياك نعبد وإياك نستعين[3].

مثال الشاهد عند الصوفية:

ذكر أبو حامد الغزالي أنه كان أبو الحسين النوري رجلاً قليل الفضول لا يسأل عما لا يعنيه ولا يفتش عما لا يحتاج إليه، وكان إذا رأى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه، فنزل ذات يوم إلى مشرعة يتطهر للصلاة إذ رأى زورقاً فيه ثلاثون دنا مكتوب عليها" لطف" فقرأه وأنكره لأنه لم يعلم في التجارات ولا في البيوع شيئاً يعبر عنه بلطف. فلما سأل عمّا بداخل الدنان، أجيب بأنه خمر للمعتضد يريد أن يعم به مجلسه. فقام النوري وصعد إلى الزورق و لم

---

[1] - ابن تيمية- مجموعة الفتاوى الكبرى- جمع: عبد الرحمن بن قاسم - سوريا- مطبعة الرسالة - ط1- 1398هـ/1977م- ج: 5- ص: 194

[2]- ابن القيم الجوزية – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - تحقيق : محمد حامد الفقي - دار الكتاب العربي - بيروت- لبنان - د.ط-د.ت-ج :1 - ص: 155

[3] - ينظر: ابن القيم الجوزية – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - ج :1- ص: 148.

يزل يكسرها دناً دناً حتى أتى على آخرها إلا دناً واحداً، والملاح يستغيث. إلى أن ركب صاحب الجسر وقبض على النوري وأشخصه إلى حضرة المعتضد-وكان المعتضد سيفه قبل كلامه و لم يشك الناس في أنه سيقتله- قال أبو الحسين: فأدخلت عليه وهو جالس على كرسي حديد وبيده عمود يقلبه فلما رآني قال: من أنت؟ قلت: محتسب، قال: ومن ولاك الحسبة؟ قلت:" الذي ولاك الإمامة ولاّني الحسبة يا أمير المؤمنين". قال: فأطرق إلى الأرض ساعة ثم رفع رأسه إلي وقال:" ما الذي حملك على ما صنعت"؟ فقلت: شفقة مني عليك يا أمير المؤمنين.

قال: فأطرق مفكراً في كلامي ثم رفع رأسه إليّ وقال:" كيف تخلص هذا الدن الواحد من جملة الدنان"؟ فقلت:" في تخلصه علة أخبر بها أمير المؤمنين إن أذن"، فقال: هات خبرني. فقلت:" يا أمير المؤمنين إني أقبلت على الدنان بمطالبة الحق سبحانه لي بذلك وغمر قلبي شاهد الإجلال للحق وخوف المطالبة فغابت هيبة الخلق عني فأقدمت عليها بهذه الحال إلى أن صرت إلى هذا الدن،فاستشعرت نفسي كبراً على أني أقدمت على مثلك فمنعت ولو أقدمت عليه بالحال الأول وكانت ملء الدنيا دنان لكسرتها و لم أبال"، فقال المعتضد: اذهب فقد أطلقنا يدك غير ما أحببت أن تغيره من المنكر1.

فالسبب الذي أدّى بهذا الرجل أن يترك دنّا واحدا سالما دون كسر هو شاهد الإجلال الذي جعله يتذكر المطالبة بالدليل على ما فعل من تكسير.

ولعلّ العلاقة بين الشاهد عند الصوفية والشاهد اللغوي تكمن في حقيقة المشاهدة و حقيقة الرؤية إلى الشواهد؛ فإذا كان الصوفي يشاهد أمورا في قلبه كأنه يراها عيانا بمنطلق القرب إلى الله تعالى، فإن اللغوي يجعل من الشاهد طريقا على تأكيد ما يذهب إليه من صحة القواعد اللغوية والصرفية وغيرها،فكأنها ظاهرة لقارئها، ويأخذ قاعته صحيحة كأنه رآها بأمّ عينه.

[1]- أبو حامد الغزالي - إحياء علوم الدين- ج:2 - ص: 356.

المسألة الرابعة: الشواهد في اصطلاح اللغويين

وهو الأصل في دراستنا هاته، فالشاهد في اصطلاح علماء اللغة ما يستشهد بـــه في إثبات قاعدة من القواعد النحوية أو الصرفية أو البلاغية، كما أن الشاهد في العبارة هو محـــط الغرض من ذكرها. وهي نوعان:

الاستشهاد في اللغة: ويكون بعرض قضية لغوية أو نحوية، وإثباتها بسوْق دليل من القرآن أو الحديث، أو الشعر.

الاستشهاد في الأدب: ويكون بسوْق دليل نثري أو شعري لإقامة الـــدليل علـــى قضية أدبية تعالجها، ولا يشترطون بها زمانا، كمن يستشهد بشعر الطيف مـــن البحتـــري، أو الصنعة من أبي تمام، أو الفلسفة من المعري.

إلا أنّ الاستشهاد أوسع مدى من هذين النوعين، فيمكن أن يوظّف للاحتجاج لقضية فكرية، أو دينية، أو سياسية، أو تاريخية، وغير ذلك من الأفكار والمعاني.

فعندما وضع النحاة الأوائل مجموعة من القواعد للغة العربية ارتكزوا على عدة دلائل، سميت هذه الدلائل بالشواهد وتضم هذه الشواهد القرآن الكريم والكلام العربي القـــديم قبـــل الإسلام وبعده على النحو الذي سنبين عندما ظهر اللحن في اللغة. فجميع القواعد المكتوبة هنا لديها شواهد تدل على صحتها.

وقد أورد أبو هلال العسكري في كتابه " الـــصناعتين" فـــصلا سمـــاه "الاستـــشهاد والاحتجاج" في سياق حديثه عن الشواهد الشعرية، فقال:" وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاط من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعـــنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد علـــى الأول، والحجـــة علـــى صحتها"[1].

---

[1] – أبو هلال العسكري – الصناعتين– تحقيق : علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم– لبنان – بيروت– المكتبة العصرية – ط:1–1406هـ/1986م –ج :1 – ص: 416.

يذكر أبو هلال العسكري أن الاستشهاد بالشعر خاصة وبغيره عامة قد كثر في كلام العلماء القدامى والمحدثين، والغرض منه توليد المعنى، والشاهد عنده أن تأتي بمعنى من المعاني ثم تعقبه بمعنى آخر يؤكد الأول ويوضحه ويكون دليلا على صدقه وصحته.

ويعرف الجاحظ الشاهد بذكر أنواعه بقوله: :"... و لم نذكر، بحمد اللّه تعالى، شيئاً من هذه الغرائب، وطريفة من هذه الطرائف إلا ومعها شاهد من كتاب مُنْزلٍ، أو حديثٍ مأثور، أو خبرٍ مستفيض، أو شعرٍ معروف، أو مثل مضروب"[1].

فالجاحظ هنا لم يعط حدّا للشاهد أو تعريفا له وإنما اكتفى بذكر أنواعه وهي – القرآن الكريم، والحديث النبوي، وكلام العرب من شعر ومثل.

ويورد أبو هلال العسكري في كتابه جمهرة الأمثال بعضا من مقاصد الشواهد في المقدمة دون تعريفها بقوله:" ثم إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن كحاجته إلى الشاهد والمثل والشذرة والكلمة السائرة فإن ذلك يزيد المنطق تفخيما ويكسبه قبولا ويجعل له قدرا في النفوس وحلاوة في الصدور ويدعو القلوب إلى وعيه ويبعثها على حفظه ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة والاستظهار به أوان المحاولة في ميادين المجادلة والمصاولة في حلبات المقاولة وإنما هو في الكلام كالتفصيل في العقد والتنوير في الروض والتسهيم في البرد فينبغي أن يستكثر من أنواعه لأن الإقلال منها كاسمه إقلال،والتقصير في التماسه قصور"[2].

لم يعرف لنا أبو هلال العسكري الشاهد وإنما بيّن أهميته في الكلام، وحثّ على الإكثار منه في صنوف الكلام والحديث والخطاب.

والشواهد تعّرف على حسب أصلها ومنبعها؛ فإذا كان الشاهد قرآنا، نقول الشاهد القرآني وهكذا مع القراءات القرآنية والحديث النبوي والشعر والمثل.

1- الجاحظ – كتاب الحيوان- تحقيق: عبد السلام محمد هارون- مصر - مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- ط:2- 1386هـ/1967م -ج :6 - ص: 516.

2- أبو هلال العسكري – جمهرة الأمثال – لبنان - بيروت- دار الفكر - ط:1- 1408هـ/1988م - ص: 4.

فعلى هذا الأساس نستطيع تعريف الشواهد بأنها تلك الآيات القرآنية أو قراءاتــه أو الأحاديث النبوية أو كلام العرب الفصحاء، التي يستعملها العلماء في التأصيل لقاعــدة مــا أو لتأكيد معنى من المعاني.أو لتوضيح فكرة ما.

كما أن الشواهد تُعرّف كذلك على حسب الغرض من ذكرها في باب الاســتدلال بها، أو على حسب القضية التي من أجلها سيقت هذه الشواهد؛ فنقول مثلا الشواهد النحويــة أو الصرفية أو البلاغية؛ فالشواهد النحوية ما يؤتى به من قرآن وشعر ونثر للاستدلال بــه في قضية نحوية، كرفع الفاعل ونصب المفعول،وكالتقديم والتأخير، وغيرها من القضايا النحويــة، وكذا الشواهد الصرفية في المسائل الصرفية من اشتقاقات.

واقتصرنا في دراستنا عن شاهد القراءات القرآنية؛ وهو تلك الأوجه من قراءات القرآن الكريم الذي أتى بها أبو منصور الأزهري في معجمه ليؤكد بها ما ذهب إليه من استعمالات لغوية، أو ليدلل بها على صدق المادة المعجمية التي أتى بها أو ليبيّن الدلالات الجديدة التي أتــت بها هذه القراءات.

المبحث الثاني: أنواع الشواهد ...

قلت سابقا في تعريف الشواهد أنها تعّرف على حسب أصلها ومنبعها؛ وهذا الأصل يكون إما كلام الله تعالى، أو كلام نبيه صلى الله عليه وسلم، أو كلام البشر شعرا نثرا قيل في عصر الاحتجاج.

وذكرت أن الجاحظ تحدث عن أنواع الشواهد في كتابه الحيوان عند حديثه عن الشاهد، وسأورد هذه الأنواع - بعون الله - مرتبة على **حسب قدسيتها** بدءا من القرآن الكريم وانتهاء بالمثل، وعلى حسب ما ذكر الجاحظ من ترتيب عند تطّرقه لمنهج كتابه السابق - الحيوان- يقول:" فإن مَلِلْتَ الكتابَ واستَثْقَلْتَ القراءة، فأنت حينئذ أعذَرُ، ولحظٌّ نفسك أبْخَسُ، وما عندي لك من الحيلة إلا أن أصوّره – أي الكتاب - لك في أحسن صورة، وأقلّبَك منه في الفنون المختلفة، فأجعلَكَ لا تخرجُ من الاحتجاج بالقرآن الحكيم إلا إلى الحديث المأثور، ولا تخرجُ من الحديث إلا إلى الشِّعر الصحيح، ولا تخرجُ من الشّعر الصحيحِ الظريفِ إلا إلى المثلِ السائر الواقع"1

فالجاحظ في استشهاده على ما يذهب إليه، وفي ترويحه عن القارئ لكتابه ينطلق من القرآن الكريم ثم ينتقل إلى الحديث النبوي الشريف، ثم يعرج بعد ذلك إلى الشعر الصحيح الفصيح، ليصل في الأخير إلى المثل السائر.

ودونك الأنواع مع تعريف موجز لكل نوع.

1- الجاحظ – كتاب الحيوان- ج : 5 - ص: 156.

المطلب الأول: شاهد القرآن الكريم وقراءاته.

لقد عَرَف القرآن الكريم وقراءاته القرآنية مترلة كبيرة بين أصناف العلماء والدارسين، وسنحاول - إن شاء الله - أن نفردها بالتعريف.

المسألة الأولى: القرآن الكريم.

أولا: تعريفه.

- لغة:

المشهور بين علماء اللغة أن لفظ القرآن في الأصل مصدر مشتق من قرأ، يقال قرأ قراءة وقرآناً[1]؛ فهو مصدر مرادف للقراءة ويشير إليه قوله تعالى:

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾[2]

وقيل إنه مشتق من قرأ بمعنى تلا، وقيل إنه مشتق من قرأ بمعنى جمع ومنه قرى الماء في الحوض إذا جمعه، ثم نقل لفظ القرآن من المصدرية وجعل علماً، ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن الكريم، وعلى كل آية من آياته[3]، فقد يطلق لفظ القرآن على جميعه وعى بعضه وقد تسمى الكتب القديمة قرآنا[4].

- اصطلاحا:

للقرآن الكريم تعريفات كثيرة، وذلك بسبب تعدد الزوايا التي ينظر العلماء منها إلى القرآن الكريم. إلا أن التعريف الجامع و المانع له يكمن في قولهم:" القرآن الكريم كلام الله تعالى

1- ينظر : ابن منظور – لسان العرب – مادة: قرأ- ج : 1 - ص: 128، و محمد الرازي – مختار الصحاح-ج:1 ص: 130.

2- سورة القيامة- الآيتان: 17- 18.

3- د.عبد المحمود مطلوب – مباحث في علوم القرآن والحديث- مصر- القاهرة- مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- ط:1- 1425هـ/2004م- ص:7

4- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - الإيمان الأوسط (شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان)- لجزائر- الشركة الجزائرية اللبنانية- ط:1- 1427هـ/2006م- ص :60.

المعجز، المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واسطة جبريل عليه السلام بلسان عـــربي مبين، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته"[1].

وبعضهم يزيد على هذا التعريف قيوداً أخرى مثل: المتحدى بأقصر سورة منه، أو المكتوب بين دفتي المصحف، أو المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس [2].

والواقع أن التعريف الذي ذكرناه آنفاً تعريف جامع مانع لا يحتاج إلى زيادة قيد آخـــر، وكل من زاد عليه قيداً أو قيوداً مما ذكرناه لا يقصد بذلك إلاّ زيادة الإيضاح بذكر بعض خصائص القرآن الكريم التي يتميز بها عما سواه.

ثانيا: بلاغة القرآن وفصاحته. . .

مفهوم البلاغة والفصاحة. . .

البلاغة في اللغة مأخوذة من البلوغ وهو الوصول إلى الشيء والانتهاء إليه؛ يقال بلغت المكان وصلت إليه[3]، ومنه قوله تعالى:

(حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا)[4]

1- ينظر : عبد الرحمن السيوطي – شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع – تحقيق: أ.د. محمد إبراهيم الحفناوي- مصر- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – ط:1 – 1426هـ/2005م- ج:1- ص:143. ومحمد علي الصابوني– التبيان في علوم القرآن- لبنان- بيروت- دار عالم الكتب- ط:1 – 1406هـ/1985م- ص:07/ 08. ابن خلدون- المقدمة- لبنان- بيروت- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- ط:1- 1424هـ/2004م- ص: 419

2 – ينظر: د.عبد المحمود مطلوب – مباحث في علوم القرآن والحديث- ص: 7/ 8 .

3- ابن منظور - لسان العرب- ج: 8- ص:420.

4- سورة الكهف- الآية: 90

وفي الاصطلاح البلاغة في الكلام إيصال المعنى إلى قلب السامع في أحسن صورة من اللفظ[1]. وقيل هي أن يبلغ به المتكلم ما يريد من نفس السامع بإصابة موضع الاقتناع من العقل والوجدان من القلب[2].

الملاحظ من تعاريف البلاغة أنها تدور كلها حول إيصال المعنى إلى أذن السامع بعبارات سهلة مع مراعاة لمقتضى الحال.

والفصاحة في اللغة تنبئ عن البيان والظهور يقال أفصح الصبي في منطقه، إذا بان وظهر كلام وأفصح اللبن إذا انجلت رغوته وأفصح الصبح إذا ظهر واستبان ولسان فصيح أي طلق[3]، ومنه قوله تعالى على لسان موسى:

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾[4].

وفي الاصطلاح الفصاحة في الكلام خلوصه من التعقيد وسلامته من تنافر الكلمات مجتمعةً[5].

وفصاحة القرآن كونه لفظا عربيا مستعملا مؤديَ المعنى بوجه لا تعقيد فيه، قال ابن القيم واصفا القرآن الكريم:" أودع الله سبحانه ألفاظ هذا الكتاب العزيز من ضروب الفصاحة

1- الرماني- الخطابي- عبد القاهر الجرجاني- ثلاث رسائل في الإعجاز- تحقيق: محمد خلف الله أحمد ود.محمد زغلول سلام – مصر- القاهرة- دار المعرف- ط: 3- 1397هـ/ 1976م- ص: 75-76.

2- ينظر : د. محمد مسلم – مباحث في إعجاز القرآن الكريم- المملة العربية السعودية- الرياض – دار المسلم للتوزيع والنشر- ط: 2- 1416هـ/1996م – ص:125. وحفني ناصف وسلطان محمد ومحمد دياب ومصطفى طموم دروس البلاغة- شرح: محمد بن صالح = =العثيمين- مصر- مكتبة الهدي المحمدي- ط:1- 1426هـ/2005م – ص: 19/18. علي الجارم ومصطفى أمين – البلاغة الواضحة- مصر- القاهرة – دار المعارف – ط: 1- 1419 /1999م – ص:5.

3- ينظر : ابن منظور- لسان العرب- ج:2- ص: 545

4- سورة القصص- الآية :34

5- الخطيب القز ويني- الإيضاح في علوم البلاغة- تحقيق : بهيج الغزاوي- لبنان- بيروت- دار إحياء العلوم- ط:4- 1419هـ/1998م- ص: 7. وينظر: دروس البلاغة- حفني ناصف وسلطان محمد ومحمد دياب ومصطفى طموم- شرح:محمد بن صالح العثيمين- ص: 13.

وأجناس البلاغة وعجيب السّرد وغريب الأسلوب وعذوبة المساغ وحسن البلاغ وبهجة الرونق وطلاوة المنطق ما أذهل عقول العقلاء واخرس ألسنة الفضلاء وألغى بلاغة البلغاء..."[1].

نجد أن التعاريف كلها تدور حول الوضوح والإظهار مع الخلو من التعقيد، ولو تتبعنا آيات القرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الناس وجدنا أن هذه الآيات تحققت فيها البلاغة والفصاحة في أبهى صورها، وأن معاني الكلمات تبهر العقول والنفوس قبل وصول ألفاظها إلى المسامع والأذان، لذلك حاز هذا الكتاب السبق في البلاغة، بل هو البلاغة نفسها.

وقد وصفه أبو بكر الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن:" أنه على سمت شريف، ومرقب منيف يبهر إذا أخذ في النوع الربّي* والأمر الشرعي، والكلام الإلهي، الدال على أنه يصدر عن عزة الملكوت، وشرف الجبروت، وما لا يبلغ الوهم مواقعه من حكمة وأحكام، واحتجاج وتقرير، واستشهاد وتقريع، وإعذار وإنذار، وتبشير وتحذير، وتنبيه وتلويح، وإشباع وتــــصريح، وإشارة ودلالة، وتعليم أخلاق زكية، وأسباب رضية، وسياسات جامعة، ومواعظ نافعة، وأوامر صادعة، وقصص مفيدة، وثناء على الله عز وجل بما هو أهله، وأوصاف كما يستحقه، وتحميد كما يستوجبه... تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب مجلوّة عليك في مــــنظر بهيج، ونظم أنيق، ومعرض رشيق، غير معتاص على الإسماع، ولا مغلق على الإفهام، ولا مستكره في اللفظ ولا مستوحش في المنظر، غريب في الجنس، غير غريب في القبيل، ممتلئ ماء ونضارة... يسرى في القلب كما يسرى السرور، ويمر إلى مواقعه كما يمر السهم، ويضئ كما يضئ الفجر، ويزخر كما يزخر البحر،طموح العباب، جموح على المتناول المنتاب، كالروح في البدن، والنور المستطير في الأفق، والغيث الشامل، والضياء الباهر ..." [2]

[1]- ابن القيم الجوزية- كتاب الفوائد المشوق على علوم القرآن وعلم البيان- تحقيق: محمد بدر الدين النعساني – ط:1- 1327هـ/ 1908م- ص: 6. و ينظر:مصطفى صادق الرافعي- تاريخ آداب العرب- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط:1- 1420هـ/2000م- ج: 2- ص: 208/206- ود. محمد مسلم- مباحث في إعجاز القرآن الكريم- ص: 125.

*-أي من الرب

2- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني- إعجاز القرآن- تحقيق: السيد أحمد صقر – مصر- القاهرة- دار المعارف - ط: 3- 1374هـ/1954م - ص:302/301.

من مضمون ما قاله الباقلاني أنه جاء بأسلوب رائع وطريقة تبيّن أنه نزل من عند الله تبارك و تعالى إضافة إلى ما حواه من الحِكم و المواعظ والقصص والأخلاق وغيرها بلفظ فصيح وبعيد عن الغرابة التي تصيب غيره. كما أنه يطرب الأسماع والأذان ويبهج النفس والجنان.

ومن خصائص الأسلوب القرآني الفذ أنه يجمع بين الجزالة والسلاسة، والقوة والعذوبة، وحرارة الإيمان، وتدفق البلاغة، فهو السحر المدهش والنور الباهر والحق الساطع والصدق المبين، ولما سمعه فصحاؤهم وبلغاؤهم وأرباب البيان فيهم سجد بعضهم لله خاشعين.

وما إيمان عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- حين سمع سورة طه وما فزع عتبة حين سمع سورة فصلت وما تردد بلغاء العرب على الأماكن التي يتعبد فيها النبي الأمين صلى الله عليه وسلم ليلا ليسمعوا هذه البلاغة خُفية، وما عجزهم بعد التحدي، إلاّ دليل الإعجاز، وعظمة البيان وجلال الأسلوب.1

كما أنه كان عاملا أساسيا في إسلام الكثير من الصحابة، رضي الله عنهم، فقد سحرهم بفصاحته التي ليست لها نظير، وأبهجهم بهذا الأسلوب الفذ، وفي هذا الصدد يقول سيد قطب:" وإذا تجاوزنا النظر عن النفر القليل الذين كانت شخصية محمد- صلى الله عليه وسلّم- وحدها هي داعيتهم إلى الإيمان في أول الأمر، كزوجه خديجة وصديقه أبي بكر، وابن عمه عليّ، ومولاه زيد، وأمثالهم فإننا نجد القرآن الكريم كان العامل الحاسم، أو أحد العوامل الحاسمة، في إيمان من آمنوا أوائل أيام الدعوة، يوم لمك يكن لمحمد- صلى الله عليه وسلّم- حوْل ولا طوْل، ويوم لم يكن للإسلام قوّة ولا منعة"[2].

ومن هذا المنطلق كان القرآن من أبرز الشواهد التي اعتُمدت عند العلماء والفقهاء والمفسرين وغيرهم على حدّ سواء في جميع المجالات المعرفية.

[1]- الرماني- الخطابي- عبد القاهر الجرجاني- ثلاث رسائل في الإعجاز- ص: 71.

[2] - سيد قطب – التصوير الفني في القرآن الكريم- لبنان – بيروت – دار الشروق- د.ط- د.ت- ص: 11

ثالثا: منزلة الاستشهاد بالقرآن الكريم.

لقد نال القرآن الكريم المترلة العظمى في كل النواحي والمجالات، فكان بحق الكتاب الخالد و المعجزة الكبرى والحجة البالغة، وقد جاءت أحاديثُ كثيرة تؤكد ذلك ، وحسبنا من ذلك ما روى عن علي رضي الله عنه قال: سمعت صلى الله عليه وسلم يقول: « **ستكون فتن كقطع الليل المظلم** » قلت: يا رسول الله وما المخرج منها؟ قال: « **كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم**»[1]

ولا شك أن الشاهد القرآني يقوي المعنى والحجة، وهي سمة مشتركة مع الشواهد الأخرى، ولكنه يزيد عليها قوة الإيحاء والتأثير، لما له من مكانة إيمانية في قلوب المتلقين.ولأنه مترل من ربّ العالمين.

من مظاهر الاستشهاد بالقرآن الكريم استعمال بعض آياته كأمثال وحكم بتداولها الناس فيما بينهم ويدللون بها عن بعض الوقائع المستحدثة في زمانهم. وقد أورد عبد الرحمن السيوطي في كتابه الإتقان باباً في ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل وقال عنه:"... وهذا هو النوع البديعي المسمى بإرسال المثل"2، وأورد من ذلك قوله تعالى:

1- الترمذي – سنن الترمذي- ج: 10- ص: 147. وابن أبي شيبة الكوفي- المصنف في الأحاديث والآثار- تعليق: سعيد اللحام- لبنان - بيروت- دار الفكر - د.ط- د.ت- ج:7- ص: 164. والقرطبي- الجامع لأحكام القرآن-ج :1- ص:5.

2- عبد الرحمن السيوطي- الإتقان في علوم القرآن – ص: 738.

﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾[1]

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[2].

﴿ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[3].

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾[4] .

ومن مظاهر الاستشهاد بالقرآن الكريم إقامة الدليل به على المخالفين أو المعاندين يقول ابن الأثير في كتابه السابق"...ومن شرف الاستشهاد بالكتاب العزيز: إقامة الحجة وقطع النزاع، وإرغام الخصم كما روي أن الحجاج قال لبعض العلماء:" أنت تزعم أن الحسين رضي الله عنه من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتي على ذلك بشاهد من كتاب الله عز وجل وإلا قتلتك". فقرأ قوله تعالى :

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (84) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (85) ﴾[5]

وعيسى هو ابن ابنته. فأسكت الحَجَّاج[6].

وأما الاستشهاد بآية من الآيات على واقعة جرت وحدثت، فهذا لا بأس به، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلَّم استشهد بالآيات على الوقائع، من ذلك استشهاده عليه الصلاة

1- سورة النجم- الآية: 58.

2- سورة آل عمران- الآية: 92.

3- سورة الأنعام- الآية: 7.

4- سورة الروم- الآية:41.

5- سورة الأنعام- الآيات: 83 - 84- 85

6- النويري- نهاية الأرب في فنون الأدب- ج: 2- ص: 274

والسلام حينما جاء الحسن والحسين يتعثران في قميصين أحمرين وهو يخطب في الناس، فقطع كلامه ونزل فحملهما ثم عاد إلى منبره و قال صلى الله عليه وسلم الآية:

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1]

كما أن هذا القرآن الكريم منارة تتلألأ يهتدي بها العلماء لإرساء القواعد اللغوية والبلاغية، وإبقائها في سلامة وصحة، وهو مصدر من مصادر التقعيد، وكان سببا في اجتهاد العلماء وتوافرهم على وضع علوم النحو والصرف وعلوم البلاغة وغيرها، واستقصاء المفردات وتحرِّي مصادر الفصيح والدخيل. يقول عبد الرحمن السيوطي في كتابه، الإتقان، واصفا القرآن بأنه:" مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء، وأبان فيه كل هدى وغي، فترى كل ذي فن منه يستمد، وعليه يعتمد. فالفقيه يستنبط منه الأحكام، ويستخرج حكم الحلال والحرام، و النحوي يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام. وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولى الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول و تسلب العقول، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب"[2].

يعدّد السيوطي- رحمه الله- ميزات القرآن الكريم؛ فهو أصل كل العلوم نثر فيه ألوان الهداية بل هو الهداية نفسها، و به يُعرف الحق والباطل به، بل هو الحق المبين و الصراط المستقيم، يحتاج إليه الأصول ي والنحوي والفقيه والبلاغي، إضافة إلى ما فيه من القصص و الأخبار و المواعظ والأمثال، وكل ذلك بفصاحة ليس لها نظير، وبلاغة تبهر الكبير والصغير، وإعجاز تكشف عنه الأيام والسنين.

[1] - سورة التغابن- الآية: 15

[2] - عبد الرحمن السيوطي - الإتقان في علوم القرآن- ص:21

فأفضل ما يحتج به في تقرير أصول اللغة القرآن الكريم فإنه نزل بلسان عربي مبين ولا يمتري أحد في أنه بالغ في الفصاحة وحسن البيان الذروة التي ليست بعدها مرتقى[1].

وقد أجاد أحمد شوقي عندما وصف القرآن بقوله:2

جاءَ النبيّونَ بالآياتِ فانصَـرَمَت ✤ وَجِئتَنا بِحَكيمٍ غَيرِ مُنصَــــرِمِ

آياتُهُ كُلَّما طالَ المَدى جُــدُدٌ ✤ يَزينُهُنَّ جَلالُ العِتقِ والقِــــدَمِ

---

[1] - محمد لخضر حسين- القياس في اللغة العربية- الجزائر- المؤسسة الوطنية للكتاب- ط:1-1406هـ/1986م-ص:36.

2- أحمد شوقي – الديوان- ج: 2- ص: 35.

المسألة الثانية: القراءات القرآنية. . .

لا شك أن القراءات القرآنية من أهم الموضوعات التي يتناولها الدارسون لتعلقها بكتاب الله تفسيرًا وبيانًا، وتعد مصدرا مهما من مصادر اللغويين النحويين والبلاغيين وغيرهم، بوصفها شواهد على صحة القواعد التي يستنبطوها. ولذلك اهتموا بها ورووها وأوردوها في كتبهم ومصنفاتهم. وقبل أن نقف على بعض تلك الجوانب لابد أن نعرّفها ونتعرّف على أقسامها:

أولا : تعريف القراءات. . .

– لغة: . . .

القراءات جمع مفرده قراءة، وأصل مادتها تعود إلى (ق ر ى) وهو أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك[1]. قال الله تعالى:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾[2]

والقراءة مأخوذة من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا فهي مصدر من قولك قرأت الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض[3]، وفي اللسان جاء معنى قرأت القرآن: لفظت به مجموعا أي ألقيته[4].

---

1 – أحمد بن فارس– معجم مقاييس اللغة –ج: 5 – ص: 79/78.

2 – سورة القيامة– الآية : 17

3 – الأزهري– تهذيب اللغة– ج: 9– ص:271

4 – ابن منظور– لسان العرب– ج:1– ص: 129

- اصطلاحا:

ذكر علماء القراءات تعريفات متعددة، بعضها قريب من المقصود والبعض الآخر متداخلة فيما بينها و أبرز هذه التعريفات نذكر:

تعريف ابن الجزري: حيث قال:" القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة"[1].

تعريف القسطلاني: علم القراءات عنده:" علم يُعرَف به اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم في اللغة والإعراب والحذف والإثبات والتحريك والإسكان والفصل والاتصال"[2].

تعريف عبد الفتاح القاضي: القراءات عند هذا العالم:" علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقًا واختلافًا مع عزو كل وجه لناقله"[3] .

تعريف الزر قاني: وقد عرفها بقوله:" مذهب، يذهب إليه إمام من الأئمة مخالفاً به غيره، في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف، أو في نطق هيئاتها"[4].

الملاحظ من التعريفين الأولين، تعريف ابن الجزري والقسطلاني، اشتراط النقل والسماع، لأن القراءة سنة[5]، كما قال كثير من العلماء، ويمكن أن نجمل هذه التعريفات بالقول أن القراءات: "هي مذاهب الناقلين لكتاب الله في كيفية أداء الكلمات القرآنية"[6].

---

1 - ابن الجزري- منجد المقرئين ومرشد الطالبين- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- د.ط- د.ت- ص:3

2 - شهاب الدين القسطلاني- لطائف الإشارات لفنون القراءات- تحقيق: عامر السيد - مصر- القاهرة - لجنة إحياء التراث - د .ط- 1392هـ/1971م- ج:1- ص: 170.

3 - عبد الفتاح القاضي- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدري- المملكة العربية السعودية- الرياض- مكتبة أنس بن مالك- ط1- 1423هـ/2002 - ص:5 .

4 - محمد عبد العظيم الزر قاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط:1- 1415هـ/1995م- ج:1- ص: 336.

5 - ينظر : عبد الرحمن السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ص:75. وعبد الله عبد الناصر جبري- لهجات العرب في القرآن الكريم- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط:1- 1427هـ/2007م- ص: 228.

6 - عبد الله عبد الناصر جبري- لهجات العرب في القرآن الكريم - ص: 229

وقد أورد أستاذنا الدكتور خير الدين سيب في كتابه " القراءات القرآنية- نشأتها- أقسامها- حجيتها" عشر تعريفات في حد القراءات القرآنية لعلماء ومفسرين وقراء وقدماء ومحدثين، واستخلص في الأخير أن هذه التعاريف لا تخرج عن ثلاثة عناصر هي[1]:

1. مواضع الاختلاف في القراءات.
2. النقل الصحيح- العزو للناقل- سواء أكان متوترا أم أحادا.
3. حقيقة الاختلاف بين القراءات.

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن هناك فرقا بين القرآن الكريم والقراءات القرآنية ذكره الزركشي في "البرهان في علوم القرآن" بقوله: القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان. فالقرآن هو الوحي المترل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف، أو كيفيتها؛ من تخفيف وتثقيل وغيرهما.[2] وعلم القراءات هو ذلك العلم الذي يعرَف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية، وطريق أدائها اتفاقاً واختلافاً، مع عزو كل وجه لناقله[3].

فموضوع علم القراءات على هذا الأساس كلمات القرآن الكريم من حيث أحوال النطق بها، وكيفية أدائها.

وقيل إن بين القرآن الكريم والقراءات القرآنية عموم، وخصوص مطلق؛فكل ما هو قرآن يمكن عدّه قراءة قرآنية، بينما ليس كل ما يندرج تحت القراءات القرآنية هو قرآن[4].

[1] - ينظر: د.خير الدين سيب- القراءات القرآنية- نشأتها- أقسامها- حجيتها - الجزائر- دار الخلدونية للنشر والتوزيع- ط:1-1425هـ/ 2005 م- ص : 20/15.

[2] - الزركشي- البرهان في علوم القرآن - ج :1- ص : 318.

[3] - أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحسيان- القول السديد في مقدمات علم القراءات وفن التجويد- مصر- القاهرة- دار البيان العربي- ط:1-1425هـ/ 2004م- ص: 29 .

[4] - المصر نفسه - ص: 31.

ثانيا: أقسام القراءات.

تعدّدّت تقاسيم العلماء للقراءات من مثن لها ومثلث ومربع، ومنهم مـــن زاد علـــى ذلك؛ فنرى القاضي جلال الدين البلقيني يقسمها– فيما نقله عنه السيوطي - إلى ثلاثة أقسام متواتر ، وآحاد ، وشاذ، ويقسمها السيوطي إلى ستة أقسام: متواتر ومشهور، وآحاد، وشـــاذ وموضوع ، ومدرج[1] .

والواضح من تقسيمات السيوطي تأثره بمصطلح الحديث، وهذا الأمر أُولع به وطبّقـــه في كتابه " الإتقان في علوم القرآن" الذي حاكى فيه علوم الحديث في التقاسيم والأنواع.

ولعلّ التقسيم الذي عليه أكثر المتأخرين تقسيمها إلى قسمين اثـــنين مجمـــع عليهمـــا باختلافٍ في التعبير عنهما بين العلماء؛ وهما القراءات الصحيحة والقراءات الشاذة:

أ- القراءة الصحيحة:...

قد تكفل ابن الجزري في كتابه "النشر في القراءات العشر" بتعريف القراءة الصحيحة بقوله:" كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولـــو احتمـــالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبوله، سواء كانت عن الأئمة السبعة، أم عـــن العشرة، أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين. ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثـــة أطلـــق عليها ضعيفة أو شاذة، أو باطلة سواء كانت عن السبعة، أم عمّن هو أكبر منهم. هـــذا هـــو الصحيح عن أئمة السلف والخلف"[2] .

[1] – السيوطي – الإتقان في علوم القرآن – ص: 197

[2] – ابن الجزري– النشر س القراءات العشر– لبنان– بيروت– دار الكتب العلمية– د.ط– د.ت –ج:1 – ص:9.

يفهم من تعريف ابن الجزري هذا أن للقراءة الصحيحة ثلاث شروط تتمثل في ما يلي:

- ✓ موافقة اللغة العربية ولو بوجه.
- ✓ موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا.
- ✓ صحة السند .

وتطبيق معايير القراءة الصحيحة السابقة على القراءات القرآنية يدخل كثيرًا من القراءات غير السبعية في القراءات الصحيحة ويخرج عددًا من القراءات السبعية من الصحة إلى الشذوذ. يؤكد ذلك ما روي عن القراء السبعة من قراءات وُصفت بأنه شاذة، فقد ذكرت بعض الإحصائيات أن حمزة الزيات رويت عنه ثلاث روايات وصفت بالشذوذ، والكسائي رويت عنه سبع روايات، ونافع بن أبي نعيم رويت عنه تسع روايات، وعبد الله بن عامر رويت عنه اثنتا عشرة رواية، وعبد الله بن كثير رويت عنه ستة عشرة رواية، وعاصم بن أبي النجود رويت عنه خمس وعشرون رواية ، وأبو عمرو بن العلاء رويت عنه ستون رواية. ولا شك أن هذا الشذوذ لم يتطرق إليها بسبب مخالفتها للرسم، أو انحرافها عن العربية، ولكن بسبب ضعف الرواية[1].

ب- القراءة الشاذة:

مفهوم الشاذ:

الشاذ مشتق من مادة (ش ذ ذ)، وهو مصدر من شذ يشذ شذوذًا، تقول شذ الرجل إذا انفرد عن القوم واعتزل جماعتهم[2].

فالشذوذ يدل على الانفراد والندرة والتفرق والخروج على القاعدة والأصول؛ فكل شي ء منفرد فهو شاذ[1].

1- السيوطي – الإتقان في علوم القرآن – ص: 197/194

2 – ابن منظور – لسان العرب– ج: 7 – ص: 332.

والشاذ في الاصطلاح يختلف مفهومه حسب كل علم، فهو عند النحاة غيره عند علماء السنة، ويختلف عنهما لدى علماء القراءات.

فالقراءات الشاذة هي التي تقابل القراءات المتواترة، وعرفت بأنها" من فقدت ركنًا أو أكثر من أركان القراءة المقبولة"[2]، كما عرفت بأنها كل قراءة بقيت وراء مقياس ابن الجزري الذي قال:"... ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم[3].

ولعلّ التعريف الذي تطمئن إليه النفس في تعريف القراءة الشاذة هو:القراءة التي صح سندها ووافقت اللغة العربية ولو بوجه وخالفت المصحف.

وهذا التعريف هو الذي اعتمده ابن تيمية في الفتاوى وابن الجزري في النشر[4].

وبهذا يعلم أن القراءة الشاذة عند الجمهور هي ما لم يثبت بطريق التواتر، ولعل السبب في تسميتها بالقراءة الشاذة يعود إلى أنها شذت عن الطريق الذي نقل به القرآن حيث نقل بجميع حروفه نقلاً متواترًا.

ثالثا: القراءات القرآنية والمعنى.

من المعلوم أن الهدف الرئيس من تعدد القراءات واختلافها هو التيسير ورفع الحرج عن الأمة في قراءة كتاب ربها عز وجل، يقول ابن الجزري في كتابه" النشر في القراءات العشر" عند حديثه عن الأحرف السبعة:" فأما سبب وروده على سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها والتهوين عليها...وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها وإجابة لقصد نبيِّها". وبعد أن استشهد ابن الجزري ببعض الأحاديث الصحيحة استمر في بيان الحكمة

---

1 - أبو الفتح عثمان ابن جني- الخصائص- تحقيق محمد علي النجار- لبنان- بيروت- عالم الكتب- ط3- 1403هـ/1982م- ج1: - ص: 96. و محمد مرتضى الزبيدي- تاج العروس من جواهر القاموس - الكويت- التراث العربي-د.ط- 1385هـ/1964م- ج: 5 - ص: 28-29.

2 - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي- الإتقان في علوم القرآن - ص: 198.

3 - ابن الجزري - النشر في القراءات العشر - ج:1- ص:9.

4 - ينظر: ابن تيمية- مجموع الفتاوى الكبرى- ج: 13- ص: 394/393. وابن الجزري - النشر في القراءات العشر-ج: 1 ص16-17.

قائلا:" إن الأنبياء عليهم السلام كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي صلى الله عليه وسلم بعث إلى جميع الخلق: أحمرها وأسودها، عربيّها وعجميّها. وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتِهم لغاتُهم مختلفة ، وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر. بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك، ولا بالتعليم والعلاج، ولا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابًا ، فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع... "[1].

ويشير إلى ذلك قوله في طيبة النشر[2]:

وأصل الاختلاف أن ربّنا ✿ أنزله بسبعة مهوّنا

أي مُهونا على قارئيه ورافعا الحرج عليهم.

ولكن إلى جانب هذا الهدف احتوت ظاهرة التنوع في القراءات جوانب أخرى أعطت للنص القرآني تميزه وسموه لى الكتب السماوية الأخرى وعلى النصوص البشرية النثرية والشعرية على حدٍ سواء، مما استحق أن يتصف هذا القرآن بالإعجاز.

وكان من بين هذه الجوانب جانب تعدد المعاني بتعدد القراءات، إذ كل قراءة زادت معنى جديداً لم تبينه أو توضحه القراءة الأخرى[3]، وبهذا اتسعت المعاني بتعدد القراءات، إذ تعدّدّ القراءات يقوم مقام تعدد الآيات القرآنية؛ وفي ذلك يقول ابن عاشور في تفسيره:" على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مراداً لله تعالى، ليقرأ القراء بوجوه فتكثر من ذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مجزئا عن آيتين فأكثر، وهذا نظير التضمين في استعمال العرب، ونظير التورية والتوجيه في البديع ..."[4].

---

1 - ابن الجزري- النشر في القراءات العشر - ج: 1- ص:22.

2 - ابن الجزري - شرح طيبة النشر في القراءات العشر - ضبط وتعليق : أنس مهرة - لبنان - بيروت- دار الكتب العلمية- ط:2- 1420هـ/2000 م- ص: 7.

3 - ينظر: الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج: 1- ص:327 ، و: عبد الرحمن السيوطي- الإتقان غي علوم القرآن-ج:1- ص: 98

4 - الطاهر بن عاشور - تفسير التحرير والتنوير- تونس - الدرة التونسية للنشر -ط:1 - 1405هـ/1984م- ج: 1- ص: 48.

وبهذا يكون من مقاصد الاختلاف في القراءات القرآنية تكثير المعاني واتساعها، ولكن من غير تناقض أو تباين في المعاني، وإن وجدت قراءتان بمعنيين مختلفين لا نقدح في واحدة منهما ولا نفضل إحداهما على الأخرى.

يقول القرطبي في ذلك:"... وهذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال إحداها أجود من الأخرى، كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفت معانيها..."[1].

ويقول عند حديثه عن القراءات الشاذة :" وإن لم يثبت كونه قرآنًا فقد ثبت كونه سنة وذلك يوجِبُ العمل كسائر أخبار الآحاد"[2].

كما أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب التي عُرفت بالمعاني الكثيرة للفظ الواحد أو العبارة الواحدة، وهذا من الخصائص التي تميزت به اللغة العربية عن غيرها من اللغات[3].

وقد ذكر غير واحد من العلماء[4] أن اختلاف القراءات القرآنية مردّه إلى ثلاثة أحوال:

أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى الواحد.

كاختلافهم في قوله تعالى:(الصراط، وعليهم، ويؤده، والقدس، ويحسب) ونحو ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط، فالكلمة الأولى تقرأ بالسين والصاد والزاي، والثانية: عليهم، و إليهم ولديهم، بضم الهاء مع إسكان الميم وبكسر الهاء مع ضم الميم وإسكانها، والثالثة و يؤده إليك، ونؤته منها، و فألقه إليهم، بإسكان الهاء وبكسرها مع صلتها واختلاسها، ونحو ذلك البيان والإدغام والمد والقصر والفتح والإمالة وتحقيق الهمز وتخفيفه وشبهه مما يطلق عليه أنه لغات فقط.[5]

---

[1] - القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج:14- ص: 291 ، وينظر: الزركشي- البرهان في علوم القرآن- ج:1- ص:339 .

[2] - المصدر نفسه - ج:1ص:47.

3- جرجي زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية- مصر- القاهرة- مؤسسة دار الهلال-ط:1 -د.ت- ج:1- ص:46

4- ينظر: أبو عمر الداني - الأحرف السبعة للقراءات - تحقيق : عبد المهيمن طحان- المملكة العربية السعودية-جدة- دار المنارة للنشر والتوزيع- ط:1- 1418هـ/1997م-ص: 47-48-49. و الزركشي- البرهان في علوم القرآن -ج:1- ص:224. و ابن الجزري- النشر في القراءات العشر- ج:1 - ص:50/49

[5] - الزركشي - البرهان في علوم القرآن - ج: 1 - ص: 224.

فاختلاف الألفاظ في هذه الكلمات لم يؤد إلى اختلاف المعنى، وإنما بقي المعنى نفسه في تلك الكلمات.

الثاني: اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.

نحو قوله تعالى: (مالك، وملك) في الفاتحة، لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى، لأنه مالك يوم الدين وملكه، وكذلك في قوله تعالى(يَكْذِبون،ويُكَذِّبون) لأنهم يَكْذِبون في أخبارهم، ولأنهم يُكذّبون بالنبي[1].

الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد: وذلك نحو قوله تعالى:

(وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا)[2]

حيث قرئ بالتشديد والتخفيف في لفظ كذبوا هكذا كُذِّبوا، وكذِبوا، فأما وجه التشديد فالمعنى: وتيقَّنَ الرسل أن قومهم قد كذّبوهم, وأما وجه التخفيف فالمعنى: وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذَبوهم- أي كذبوا عليهم - فيما أخبروهم به، فالظن في الأولى يقين، والضمائر الثلاثة للرسل، والظن في القراءة الثانية شك، والضمائر الثلاثة للمرسل إليهم[3].

وكذا قوله:

(وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)[4]

بفتح اللام الأولى ورفع الأخرى، وبكسر الأولى وفتح الثانية، فهو أن يكون أن مخففة من الثقيلة أي وإن مكرهم كان من الشدة بحيث تقتلع منه الجبال الراسيات من مواضعها وفي القراءة الثانية إن نافية أي ما كان مكرهم وإن تعاظم وتفاقم ليزول منه أمر محمد صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام ففي الأولى تكون الجبال حقيقة وفي الثانية مجازاً[5].

---

[1] - المصدر نفسه- الجزء والصفحة.

2 - سورة يوسف من الآية: 110.

[3]- ينظر: القرطبي- الجامع لأحكام القرآن - ج : 9 - ص : 275.

[4] - سورة إبراهيم من الآية: 46.

[5]- محمد عبد العظيم الزر قاني- مناهل العرفان في علوم القرآن-ج: 1- ص: 85-86.

فإن ذلك كله وإن اختلف لفظاً ومعنى وامتنع اجتماعه في شيء واحد فإنه يجتمع من وجه آخر يمتنع فيه التضاد و التناقض[1].

وسوف ندلل على هذا الأمر بزيادة من التوضيح بما سنعرضه من بعض القراءات القرآنية في ما تبقى من دراستنا المطبقة على معجم تهذيب اللغة إن شاء الله تعالى.

رابعا: الاستشهاد بالقراءات القرآنية.

فد حظيت القراءات القرآنية باهتمام المسلمين منذ نهضتهم الأولى على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام إلى يومنا هذا، فقد تجرد عدد كبير من علماء المسلمين لخدمة هذا القرآن و قراءاته، وسطّروا كل ما جادت به عقولهم وأفكارهم في مؤلفاتهم حتى أصبحت مفخرة المسلمين ومضانّ الدارسين من بعدهم في الدرس والتأليف.

والمتأمل في الدرس اللغوي العربي يجده قد تأثر تأثراً واضحاً بهذه المؤلفات ، إذ لا يكاد يخلو كتابٌ في أصوات العربية وصرفها ونحوها ومادتها المعجمية واللغوية من جملة كبيرة من القراءات وما يتصل بها من مسائل مثّلت القواعد والضوابط التي أصلت للغة العربية من حيث مفرداتها وأساليبها.

وقد بذل العلماء جهداً فائقاً لخدمة القرآن بمختلف قراءاته المتواترة والشاذة، فوجّهوها بالتعليل المستند إلى الأصول المعتمدة عندهم، واستشهدوا على ذلك بالشواهد الفصيحة التي جمعوها من البوادي عبر رحلاتهم العلمية المديدة ، وقد استندوا إلى هذه القراءات في تأصيل قواعدهم، وإرساء معالم الصناعة النحوية والصرفية، وضبط مفردات اللغة[2].

يقول الخطيب البغدادي:" فكلامه- عز اسمه- أفصح كلام وأبلغه ويجوز الاستشهاد بمتواتره وشاذه"[3].

1 - ابن الجزري - النشر في القراءات العشر - ج:1- ص: 51.

2- د. محمد شعبان صلاح- مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري - مصر- القاهرة - دار غريب للطباعة والتوزيع والنشر- ط:1 1425هـ/2005م- ص: 11/10/9.

3 - عبد القادر البغدادي - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب -ج: 1- ص: 9.

ومن المعلوم -كما ذكرنا آنفا- أن للقراءات الصحيحة شروطاً ومعايير تجعلها مقبولة وقد اعتمدها النحاة واللغويون والبلاغيون وغيرهم،واستنبطوا منها الأصول التي بَنَــوْا عليهــا علومهم، وما خالف شروط القراءة الصحيحة عَدُّوه شاذاً، وقد وضع كثير من هؤلاء الغويين أو النحويين شرطًا واحدًا لصحة الاستشهاد بالقراءة، وهو صحة نقلها عن القارئ الثقة حتى لو كان فردًا، سواء رويت القراءة بطريق التواتر أو الآحاد، وسواء كانت سبعية أو عشرية أو شاذة. بل إن ابن جني في كتابه المحتسب كان حريصًا على وضع القراءة الشاذة علــى قــدم المساواة مع القراءة المتواترة، وذلك عندما عرّف كلا من القراءة الصحيحة والشاذة بقولــه إن من القراءات: "ضرباً اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار، وهو ما أودعه ابن مجاهد كتابه الموســوم بقراءات السبعة، وهو بشهرته غان عن تحديده، وضرباً تعدَّى ذلك، فسمَّاه أهل زماننا شــاذاً، أي: خارجاً عن قراءة القراء السبعة المقدَّم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقــة إلى قرائه، محفوف بالرواية من أمامه وورائه. ولعله أو كثيرًا منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم وربما كان فيه ما تلطف صنعته، وتعنُف بغيره فصاحته*وترسو به قدم إعرابه..."[1].

وإذا كان بعض العلماء يحظر التعبد أو الصلاة بغير المتواتر لأنه ليس بقرآن[2]، فهناك من العلماء من سمح بروايته، والاستشهاد به لأسباب أخــرى. يقــول القــسطلاني في لطــائف الإشارات: " إن من قرأ بالشواذ غير معتقد أنها قرآن، ولا يوهم أحدًا بذلك بل لما فيهــا مــن الأحكام الشرعية أو الأحكام الأدبية فلا كلام في جواز قراءتها"[3].

فالقراءات المتواترة والشاذة حــجة عند أهل العربية، وإن كــــانت الأُولى أعلــى قــدراً، وبهذا تدخل القراءات القرآنية بجميع درجاتها ومستوياتها في الدرس الأدبي واللــغوي والبلاغي، وتقف على قدم المساواة مع القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشــعر الجــاهلي

* - يريد أن فصاحته متفوقة .

1 - ابن جني- المحتسب - تحقيق: علي النجدي ناصف و د. عبد الحليم النجار و د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي- مصر- القاهرة- مطابع الأهرام- ط:1- 1415هـ/1994م- ج:1- ص: 32

2 - ينظر: ابن تيمية- مجموع الفتاوى- ج:3- ص: 205 . و أبو عمر يوسف ابن عبد البر - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- تحقيق محمد الفلاح - ط:1 1400هـ/1980م- ج:8 - ص: 293 . وخليل بن إسحاق المالكي- مختصر العلامة خليل - ص: 29. و القرطبي- الجامع لأحكام القرآن-ج:1- ص: 47-48 . وأبو زكريا يحيى بن شرف النووي - شرح النووي على صحيح مسلم- ج: 5 - ص : 131

3 - - شهاب الدين القسطلاني- لطائف الإشارات لفنون القراءات- ج:1- ص: 179.

والإسلامي، ومأثور النثر من حكم وأمثال وخطب في صحة الاستشهاد بها، والاستناد إليها في إثبات سلامة التعبير، وفي إمكانية اتخاذها مرتكزًا لتحقيق التيسير.

المطلب الثاني: شاهد الحديث النبوي الشريف.

إن قضية الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف من القضايا الهامة في الدراسات اللغوية والأدبية والبلاغية التي توجبت على الباحثين والعلماء الاعتناء بها، لتلك المكانة الدينية لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما فيها من بلاغة وفصاحة أيقظت همم الدارسين.

وقبل الخوض في هذه القضية علينا أن نعرّف الحديث النبوي الشريف.

أولا: تعريف الحديث

يجدر بنا قبل أن نتحدّث عن تعريف الحديث اصطلاحًا أن نشير إلى معناه اللغوي.

– لغة:

الحديث ضد القديم والجديد من الأشياء، ويستعمل في اللغة أيضاً حقيقة في الخبر أو النبأ[1]؛ فالحديث والخبر مترادفان، بل الحديث يأتي على كثير الخبر وقليله[2]، وعلى هذا المعنى جاء قوله تعالى:

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى)[3] أو(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)[4]

أي خبر موسى، وخبر الغاشية، و أما قوله سبحانه

(مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ)[5]

---

[1]- الأزهري - تهذيب اللغة- ج:4- ص: 504 . ابن منظور - لسان العرب-ج : 2- ص : 131.

[2]- د. محمد فجال- الحديث النبوي في النحو العربي- المملكة العربية السعودية- الرياض-دار أضواء السلف-ط:2-1418هـ/1997م- ص: 50.

[3]- سورة النازعات- الآية: 15.

[4]- سورة الغاشية- الآية: 1.

[5]- سورة الأنبياء- الآية : 2.

أي جديد.

وقد يأتي الحديث بمعنى الكلام مثل قول الله تعالى:

(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ)[1]

أي نزّل أحسن الكلام.

وقد وردت آيات في القرآن الكريم استعمل فيها لفظ (الحديث) مرادًا به القرآن الكريم نفسه كقوله تعالى:

(فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا)[2]

- اصطلاحا:

الحديث في الاصطلاح هو: كل ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية أو صفة خلقية، حتى الحركات والسكنات في اليقظة والمنام قبل البعثة أو بعدها[3].

أما قوله فالمراد به جميع ما تلفظ به، في جميع أحواله، جدا أو هزلا تشريعا أو غير تشريع، ونعني بأفعاله جميع أفعاله ، سواء منها ما كان في الحرب أم في السلم في الحضر أو في السفر في السر أم في العلن في لأمور التشريع أم في غيرها؛ فهذه كلها تدخل في الحديث النبوي الفعلي، وأما تقريره فسكوته صلى الله عليه وسلم عن أقوال تقال أو أفعال تُفعل بحضرته لها علاقة بالتشريع أو ليس لها علاقة، إذ يفهم من سكوته إقراره لها[4].

1- سورة الزمر- من الآية: 23

2- سورة الكهف- الآية : 6

3 - د. عبد المجيد مطلوب - مباحث في علوم القرآن والحديث- ص: 223. وينظر : د. محمد فجال- الحديث النبوي في النحو العربي- ص: 52/ 53

4- د. عبد المجيد مطلوب - مباحث في علوم القرآن والحديث- ص: 224.

ويعد علم الحديث من أجلّ العلوم بعد القرآن الكريم، قال أبو سعيد السمعاني في كتابه أدب الإملاء والاستملاء :" اعلم- يوفقك الله- أن علم الحديث أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى إذ الأحكام مبنية عليهما ومستنبطة منهما"[1].

ثانيا: منزلة الاستشهاد بالحديث..

إذا كان علماء اللغة العربية قد جعلوا القرآن الكريم أعلى قمة الاستشهاد في قواعدهم النحوية والصرفية والبلاغية، فإن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قد نال المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، عند البعض من العلماء، فليس هناك أحد أفصح قولاً، وأبين كلامًا، وأعلى بلاغة من النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول النويري في نهاية الأرب في فنون الأدب:" والفصاحة إذا طلبت غايتها فإنها بعد كتاب الله في كلام من أوتي جوامع الكلم"[2].

ويقول عبد القاهر الجرجاني:" فلم يشك أحد أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منقوصا في البلاغة، بل الذي أتت به الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب"[3]

وقد وصف الجاحظ كلام الرسول الكريم فقال:" هو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وَجَلَّ عن الصنعة، وَنُزِّهَ عن التكلف، فكيف وقد عاب التشديق وجانب أهل التقعيد، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر ... ولم يتكلم إلا بكلام قد حُفَّ بالعصمة، وَشُيِّدَ بالتأييد، وَيُسِّرَ بالتوفيق، وهو الكلامُ الذي ألقَى اللّه عليه المحبّةَ، وغشَّاهُ بالقَبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبَيْن حُسنِ الإفهام، وقلّة عدد الكلام مع استغنائه عن إعادته، وقلّة حاجة السامع إلى معاوَدته، لم تسقط له كلمة،ولا زَلّت به قَدَم ولا بارَتْ له حجَّة، ولم يَقُم له خَصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذُّ الخُطَبَ الطِّوال بالكلِم القِصار ولا يَلتمِس إسكاتَ الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجُّ إلا بالصِّدق ولا يطلب الفَلْج إلا بالحق، ولا يستعين بالخِلابة، ولا يستعمل الموارَبة، ولا يهمز ولا يَلْمز، ولا يبطئ ولا يَعْجَل ولا يُسْهِب ولا يَحْصَر، ثم لم يسمع الناسُ كلاماً قطُّ أعم نفعًا، ولا أَقْصَدَ لفظًا، ولا أعدل

[1]- أبو سعيد السمعاني- أدب الإملاء والاستملاء - لبنان - بيروت- دار الهلال - ط:1- 1409هـ/1989م- ص:9

[2] - النويري- نهاية الأرب في فنون الأدب ج:2- ص: 274.

[3] - الرماني- الخطابي- عبد القاهر الجرجاني- ثلاث رسائل في الإعجاز- ص: 148.

وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكْرَم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مَخْرَجًا، ولا أفصح معنى، ولا أبين عن فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم"[1].

فقد أجمل الجاحظ في هذا النص كل ما يتعلق بكلام النبي صلى الله عليه وسلم من حيث بلاغته وفصاحته وسرعة وصوله إلى أذن السامع.

ولما كان لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المنزلة العظيمة اعتمد العلماء عليه في كل مناحي الشريعة من السير والمغازي والأحكام فكانت الأحاديث جنبا إلى جنب مع القرآن الكريم، يستشهد بها الخطيب في خطبه، والداعية في محاضراته، والأستاذ في دروسه والمفتي في فتواه.

أما الاستشهاد بكلامه عليه الصلاة والسلام من الناحية اللغوية فقد ثار خلاف بين السابقين من علماء النحو في صحة الاستشهاد به، فمنهم من قبله جملة وتفصيلا، وتحرّج بعضهم من ذلك وخلت كتب كثيرة من ذكر الأحاديث النبوية[2]، وهو خلاف طويل لخصه البغدادي في مقدمة خزانة الأدب[3] بقوله: وأما الاستدلال بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد جوزه ابن مالك وتبعه الشارح المحقق في ذلك، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضي الله عنهم. وقد منعه ابن الضائع وأبو حيان، وسندهما أمران:

أحدهما أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما رويت بالمعنى.

وثانيهما أن أئمة النحو المتقدمين من المصريين لم يحتجوا بشيء منه[4].

ثم قال:" وردّ الأول- على تقدير تسليمه- بأن النقل بالمعنى إنما كان في الصدر الأول قبل تدوينه في الكتب، وقبل فساد اللغة، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به، فلا فـــرق. على أن اليقين غير شرط، بل الظن كاف، ورد الثاني بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم

[1] - الجاحظ - البيان والتبيين- لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي- د.ط-1388هـ/ 1968م-ج:2- ص: 44

[2] - رضي الدين الأستراباذي- شرح الرضي على الكافية - تحقيق : صحيح وتعليق د. يوسف حسن عمر- ليبيا- جامعة قار يونس- د.ط- 1398هـ/ 1978م- ج:1- ص: 7.

[3] - ينظر : عبد القادر البغدادي - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب- تحقيق : عبد السلام هرون- مصر- الهيئة المصرية العامة للكتاب- د.ط- 1399هـ/1979م- ج: 1 - ص: 9/ 16.

[4] - المصدر نفسه- ج: 1- ص: 8.

بالحديث عدم صحة الاستدلال به، والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوي في ضبط ألفاظه. ويلحق به ما روي عن الصحابة وأهل البيت"[1].

وعن سبب عدم استشهاد بعض العلماء بالحديث يقول عبد القادر البغدادي:" تجويز الرواية بالمعنى هو السبب عندي في ترك الأئمة - كسيبويه وغيره - الاستشهاد على إثبات اللغة بالحديث، واعتمدوا في ذلك على القرآن وصريح النقل عن العرب، ولولا تصريح العلماء بجواز النقل بالمعنى في الحديث لكان الأولى في إثبات فصيح اللغة كلام النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه أفصح العرب"[2].

وترَكَ بعض العلماء الاستشهاد بالحديث الشريف لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ لـــو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القـــواعد الكلية، وإنما كان ذلك لأمرين:

أحدهما: أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى

الأمر الثاني: أنه وقع اللحن كثيراً فيما روي من الحديث؛ لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون، ودخل في كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب.

ونحن نعلم قطعاً من غير شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب، فلم يكن يتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها، وإذا تكلم بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أهل تلك اللغة على طريق الإعجاز، وتعليم الله تعالى ذلك له من غير معلّم.

وتوسط الشاطبي فجوز الاحتجاج بالأحاديث التي اعتني بنقل ألفاظها، قال في شرح الألفية:" لم نجد أحداً من النحويين استشهد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم يستشهدون بكلام أجلاف العرب وسفهائهم، الذين يبولون على أعقابهم، وأشعارهم التي فيها الفحش والخنى، ويـــتركون الأحاديث الصحيحة، لأنها تنقل بالمعنى، وتختلف روايـــاتها

1- المصدر نفسه- ج: 1- ص: 9.

2- المصدر نفسه- ج: 1- ص: 11.

وألفاظها، بخلاف كلام العرب وشعرهم، فإن رواته اعتنوا بألفاظها، لما ينبني عليه من النحو، ولو وقفت على اجتهادهم قضيت منه العجب، وكذا القرآن ووجوه القراءات.[1]

يظهر من هذا النص أن دليل استشهاد الشاطبي بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم، مرده إلى أن العلماء إذا استشهدوا بكلام الأعراب السفهاء، فمن باب أولى الاستشهاد بكلام خير البشر المنقول برواية أفضل الناس بعده وهم الصحابة رضي الله عليه وسلم.

ولعل ما يؤكد ذلك قول السيوطي:" والعَجَبُ من الأصوليين أنهم أقاموا الدّلائل على خَبَر الواحد أنه حجّةٌ في الشرّع، ولم يقيموا الدّلالة على ذلك في اللغة؛ وكان هذا أَوْلى، وكانوا من الواجب عليهم أن يَبْحَثوا عن أحوال اللّغات والنّحو، وأن يفحصوا عن جَرْحهم وتعديلهم، كما فعلوا ذلك في رُواة الأخبار،لكنهم تركوا ذلك بالكلية مع شدةِ الحاجةِ إليه؛ فإن اللغة والنحو يجريان مَجْرَى الأصل للاستدلال بالنصوص"[2].

يمكننا أن نستنتج أن هناك قسمين للحديث النبوي من ناحية الاستشهاد:

- **قسم** يعتني ناقله بمعناه دون لفظه، فهذا لم يقع به استشهاد أهل اللسان.

-**وقسم** عرف اعتناء ناقله بلفظه لمقصود خاص؛ كالأحاديث التي قصد بها بيان فصاحته صلى الله عليه وسلم، ككتابه لهمدان، وكتابه لوائل بن حجر، والأمثال النبوية؛ فهذا يصح الاستشهاد به في العربية.[3]

ومما يدل على صحة ما ذهب إليه أن ابن مالك في جواز الاستشهاد بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم أنه استشهد على لغة أكلوني البراغيث بحديث الصحيحين:

« **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار**»[4]. وأكثر من ذلك حتى صار يسميها لغة يتعاقبون[1].

1- المصدر نفسه : ج: ص: 13/12.

2 - السيوطي – المزهر في علوم اللغة وأنواعها- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و محمد أحمد جاد المولى بك و علي محمد البجاوي-مصر- القاهرة – مكتبة دار التراث- ط: 3 – 1428هـ/2008م- ج:1- ص: 54.

3 - د. محمد فجال- الحديث النبوي في النحو العربي - ص:128.

4- رواه البخاري ومسلم ومالك في الموطأ. ينظر: الباجي- المنتقى شرح الموطأ-ج:1- ص:423. ابن حجر- فتح الباري-ج:2 - ص:329.

فهذا حديث صحيح استدل به ابن مالك في بناء قاعدته النحوية. فإنه صلى الله عليه وسلم قد أوصل الفعل بواو الجماعة في قوله يتعاقبون مع ذكر الفاعل الظاهر بعده، وهو الملائكة، وهذا ما اصطُلح عليه بلغة أكلوني البراغيث.

والتشديد في الضبط، والتحري في نقل الأحاديث، شائع بين النقلة والمحدثين. ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى فإنما هو عنده بمعنى التجويز العقلي الذي لا ينافي وقوع نقيضه فلذلك تراهم يتحرون في الضبط ويتشددون، مع قولهم بجواز النقل بالمعنى؛ فيغلب على الظن من هذا كله أنها لم تبدل، ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحاً، فيلغى ولا يقدح في صحة الاستدلال بها.

ثم إن الخلاف في جواز النقل بالمعنى إنما هو فيما لم يُدوَّن ولا كُتِب، وأما ما دُوِّن وحصل في بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بينهم، قال ابن الصلاح بعد أن ذكر اختلافهم في نقل الحديث بالمعنى:" إن هذا الخلاف لا نراه جارياً ولا أجراه الناس – فيما نعلم – فيما تضمنته بطون الكتب، فليس لأحد أن يغير لفظ شيء من كتاب مصنف ويثبت فيه لفظاً آخر بمعناَه، فإن الرواية، بالمعنى رخص فيها من رخص، لما كأن عليهم في ضبط الألفاظ والجمود عليها من الحرج والنصب وذلك غير موجود فيما اشتملت عليه بطون الأوراق والكتب ولأنه أن ملك تغيير اللفظ فليس يملك تغير تصنيف غيره"[2].

وتدوين الأحاديث والأخبار بل وكثير من المرويات، وقع في الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية، حين كان كلام أولئك المبدلين على تقدير تبديلهم يسوغ الاحتجاج به، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به، فلا فرق بين الجميع في صحة الاستدلال؛ ثم دون ذلك المبدل –على تقدير التبديل– ومنع من تغيره ونقله بالمعنى، كما قال ابن الصلاح، فبقي حجة في بابه. ولا يضر توهم ذلك السابق في شيء من استدلالهم المتأخر.

---

[1]- ابن مالك – شرح التسهيل– تحقيق: د. عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي المختون– مصر– هجر للنشر والتوزيع والإعلان– ط:1-1410هـ/1990م- ج:1 - ص: 50. وينظر: عبد الله بن عقيل- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك- مصر- القاهرة – دار مصر للطباعة- ط: 20 – 1400هـ/1980م-ج: 2- ص:75. وعبد القادر البغدادي- خزانة الأدب ولب لباب اللسان العرب ج:1- ص: 13.

[2]- ابن الصلاح : مقدمة أبن الصلاح –ص: 104/105.

المطلب الثالث: الشاهد من كلام العرب...

ممَّا لقي عناية من علماء العربية لغة النثر والشعر، من حيث اتفاقُهما أو اختلافهما في بناء الألفاظ وصياغة العبارات، وكذا الخضوع لقواعد اللغة، والنحو حسب طبيعة كلٍّ منهما، و قد كانت النظرة في بادئ الأمر إلى كلام العرب شعرا ونثرا واحدة من حيث الخصائص التعبيرية- لكل منهما- في صياغة العبارة وبناء الألفاظ؛ بدليل اشتراكهما في شواهد اللغة والنحو، فلم يفرق علماء العربية بين شاهد المنثور وشاهد المنظوم في كتبهم، فترى الشاهد من القرآن الكريم جنباً إلى جنب مع الشاهد من الحديث النبوي، والشعر، والمأثور من أقوال البلغاء والحكماء.

وتجدر الإشارة إلى أن المنثور أنواع كثيرة منها الخطابة والرسالة والمثل والحكمة والكلام المسجوع إلا أني اخترت الحديث عن المثل فقط لسهولة انتشاره ولكثرة الاستشهاد به في الكتب عامة وفي المعاجم خاصة، وسنتحدث بعون الله عنهما، الشعر والمثل، بقليل من التوضيح والتعريف وبذكر مترلتهما في الاستشهاد كما سيأتي:

المسألة الأولى: الشعر...

إن الشعر من المصادر الرئيسة التي استمدّ منها العلماء قواعد اللغة وأصولها. و لا شك أنّه يحتلُّ مكانة مرموقة في الدراسات اللغوية و الأدبية والبلاغية على حد سواء، لا لأنّه مادّة للتسلية والمتعة وحسب، بل لموقعه المتميّز في أغلب فروع العلم والمعرفة منذ العصر الجاهلي" حتى لقد بلغ من كَلَف العرب به وتَفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تَخيَّرتَها من الشعر القديم، فكتبتها بماء الذهب، وعَلّقتها بين أستار الكعبة. فمنه يقال: مذهَّبة امرئ القيس ومُذَهَّبة زُهير.[1]

1 – ابن عبد ربه الأندلسي- ج: 6 – ص: 118. وينظر : محمد أبو القاسم حاج حمد – جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية- بيروت – لبنان- دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع- ط :1- 1425هـ/2004م- ص : 596.

وقد حــوا الشعر كثيرا من القضــايا في شتى المجالات التاريخية والاجتماعية والسياسية، ولأنّ كثيرا منه وصل إلى مرتبة أن جُعل في مصاف الحكمة والفصاحة، فقد عبّر عنه الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله بقوله:

« إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكماً »[1].

فقرن البيان بالسحر فصاحةً منه صلى الله عليه وسلم، وجعل من الشعر حكماً؛ لأن السحر يُخيّل للإنسان ما لم يكن لِلَطافته وحيلة صاحبه، وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصــورة الباطل، والباطل بصورة الحق؛ لــرقة معنــاه، ولطف موقعه، وأبلغ البيانين عند العلماء الشعر بلا مدافعة[2].

[1] – الترمذي – سنن الترمذي – ج:7 – ص: 329.

[2] – ابن رشيق القيرواني– العمدة في محاسن الشعر وآدابه– لبنان – بيروت– دار جيل للطباعة والنشر– ط:5- 1401هـ/1981م ج:1- ص: 27.

أولا: تعريف الشعر. . .

الشعر كـــلام مـــوزون مقفى بأفاعيلَ محصورة في عـــــدد معيّن مـــن الحروف والحـــركات، والسكنات[1]، تكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية[2]، يستلزم بناؤه على هذه الصورة المقيَّدة بالوزن، والقافية أن يلجأ قائله- أحياناً - إلى الخروج عن القواعد الكلّيّة وارتكاب ما ليس منها؛ إمّا بزيادة اللفظ أو نقصانه أو تغيير في تركيب الجملة من تقديم وتأخير أو فصل بين متلازمين؛لأن الشاعر غير مختار في جميع أحواله فيفعل ذلك تلافياً لقصور اللفظ الذي يناسب المعنى الذي يريد مع الحفاظ على الوزن وسلامة القافية، على أنه لا يخرج عن القواعد المذكورة كيفما اتفق، وإنما يسلك طريقة لها وجه في العربية[3].

والشعر فن جميل يمتلك قدرات خاصة في تحريك الوجدان واستمالة القلوب إلى الغرض الشعري الذي يخوض فيه، ولعل مردّ ذلك إلى خاصية الموسيقى اللفظية التي تتولد عن تواتر النغمات وتتابع المقاطع في جرس موسيقى شيق تتفتح له نفس المتلقي وتتلقاه الآذان في انسيابية وابتهاج تميزه عن النثر الذي لا يتسم بتلك الخاصية الموسيقية التي ينفرد بها الشعر.

يقول الجاحظ:" والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمـــيُّ والعـــربيُّ والبـــدويُّ والقرَوي والمدنيّ وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن وتخيُّر اللفظ وسهولة المخرج وكثـــرة المـــاء وفي صحَّة الطبع وجَودَة السَّبك فإنما الشعر صناعةٌ وضَرْب من النَّسج وجنسٌ من التَّصوير"[4].

فلا يخفى ما في هذا النص من ظهور تلك العلاقة بين الشعر وبين الـــصناعة والنـــسج والتصوير، فالشعر عند الجاحظ نتاج خبرة، وثمرة تكوين ودربة كما أنه ضرب مـــن النـــسج المكوّن من الخيوط والأصباغ، ويكمن جماله في التركيب والتنسيق.

وقد أفاض عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته في تعريفه للشعر عند سياق حديثه عن صناعة الشعر بقوله:" هو كلام مفصل قطعاً قطعاً، متساوية في الوزن، متحدة في الحرف الأخير

---

[1] – ابن القواس الموصلي- شرح ألفية ابن معطي- تحقيق د. علي موسى الشمولي- المملكة العربية السعودية- الرياض- مكتبة الخريجين- ط :1 - 1405هـ/1984م -ج:2- ص: 1380.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون- المقدمة – ص :585.

[3]– ابن القواس الموصلي- شرح ألفية ابن معطي- ج:2 – ص: 1380.

[4]– أبو عثمان الجاحظ- الحيوان-ج: 3 – ص: 121.

من كل قطعة، وتسمى كل قطعة من هذه القطعات عندهم بيتاً، ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه روياً وقافية، ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة، وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه، حتى كأنه كلام وحده مستقل عما قبله وما بعده. وإذا أفرد كان تاماً في بابه في مدح أو نسيب أو رثاء"[1].

عبد الرحمان بن خلدون في هذا النص يبين حد الشعر أو معنى القصيدة التي تتكون من بضعة أبيات، كل بيت من قطع متساوية هي التفعيلات، كما أن البيت ينتهي بقافية، وللقصيدة أغراض كثير كالمدح والرثاء والوصف وغيرها.

ثانيا: منزلة الاستشهاد بالشعر..

كان للشعر مترلة كبيرة عند الكثير من العلماء؛ فكان يجمع عندهم بين الجد والترفيه وبين العلم والفن، فقد كان ملاذا لكثير من المفسرين؛ يفسرون غريبه ويشرحون ما استصعب من ألفاظه، ويبيّنون بعضا من تأويلاته. قال ابن عباس:" الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينـــا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فلتمسنا معرفة ذلك منه"[2].

ولعلّ ما يؤكد قول ابن عباس هذا أن الخليفة عمر بن الخطاب سأل أصحابه يوما عن قوله تعالى:

(أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ)[3]

فسكتوا. فقام رجل من هذيل وقال هذه لغتنا، التخوّف: التنقّص، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فهل تعرف العرب هذا في أشعارهم؟ قال: نعم. قال شاعرنا زهير:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تامِكًا قَرِدًا ❊ كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[4]

[1]- عبد الرحمن بن خلدون- المقدمة – ص: 588

2 – عبد الرحمن السيوطي – الإتقان في علو م القرآن – ص :301

3- سورة النحل الآية: 47

[4]- البيت منسوب كذلك لابن مزاحم الثمالي- ينظر: أبو الفرج الأصبهاني- الأغاني-ج: 2- ص: 182.وأبو علي القالي- كتاب الأمالي- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- د.ط-د.ت-ج: 2- ص: 112.

فقال عمر:" أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا. قالوا وما ديواننا؟ قال:" شــعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم"[1].

وقد نقل عبد الرحمن السيوطي تلك المناظر التي جرت بين الصحابي الجليل حبر الأمة ترجمان القرآن عبد الله بن العباس وبين نافع بن الأزرق[2].

فعن حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه قال:"بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن،فقال نافع ابن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب، فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي متين، فقال ابن عباس:" سلاني عما بدا لكما"، فقال نافع أخبرني عن قول الله تعالى- عن اليمين وعن الشمال عزين- قال: العزون حِلق الرفاق. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم: أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول:

فجـاءوا يهرعـون إليه حـتى ✠ يكونوا حـول منبره عـزينا

قال: أخبرني عن قوله(وابتغوا إليه الوسيلة) قال: الوسيلة: الحاجة، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة وهو يقول[3]:

إِنَّ الرِجـــالَ لَهُم إِلَيكِ وَسيلَةٌ ✠ إِن يَأخُذوكِ تَكَحَّلي وَتَخَضَّـبي

من هذه الحوار الشعري الذي دار بين الصحابي عبد الله بن عباس ونافع بـن الأزرق تبرز الأهمية التي حظي بها الشعر والاحتجاج به في تفسير كتاب الله تعالى، وهذه كانت البداية الأولى للاستشهاد بالشعر الجاهلي في القرآن الكريم وقد جعله الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حكماً وفيصلاً- كما مرّ بنا- بتوجيه رعيته إلى العناية به والحرص على جمعه و حفظه لما فيه من المعاني على كلام العرب ولفائدته في تفسير القرآن الكريم.

1- ينظر: الزمخشري- الكشاف-ج: 2 - ص: 568. والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن- ج: 10 - ص: 111.

2 - ينظر إلى المناظرة كاملة في : السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج: 1 - ص: 377/347.

3 - عنترة بن شداد- الديوان- لبنان - بيروت- مطبعة الآداب المكتبة الجامعة- د.ط - د.ت- ص:14.

هذا الاهتمام المبكر من الصحابة والتابعين بشعر العرب أوحى لمن جاء بعدهم إلى أن الاهتمام باللغة في عمومها خدمةً للقرآن ونصوص التشريع، وصوناً اللغة من الخطأ، وحفظاً لها من الضياع؛ فجمع الرواة مادة اللغة مـــــن الأعراب الثقات وكانت الشواهد الشعرية حجة لتفضيل رأي على رأي، أو مذهب على مذهب، أو لإثبات صحة أسلوب[1].

ولعلّ مـــا يزيد في إبراز أهمية الشعر العـــربي ارتياحُ النبيّ صلّى الله عليـــه وســـلّم للشعر، واستحسانه له، فقد جاء في ذلك الحديث الذي رواه النابغة الجعدي، قال: أنـــشدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قولي:

وَإنا لقوم مـــا نعـــود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتـــــنفرا
وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجَوْنَ أشقرا
وليس بمعـــروف لنا أن نـــردها صحاحا ولا مستنكرا أن تعقـــرنا
بَلَغْنَا السَّمـــــاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاؤُنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فــــَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرَا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أين المظهر يا أبا ليلى" فقلت: إلى الجنة بك يا رسول الله. قال:" أجل إن شاء الله ". ثم قال: أنشدني. فأنشدتُه من قولي:

ولا خير في حلم إذا لم تكـــن له	⌘	بوادر تحمي صفوه أن يكـــدرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له	⌘	حليم إذا ما أورد الأمر أصـــدرا

فقال صلى الله عليه وسلم:« أَجَدْتَ لا يُفْضَضَ اللهُ فَاكَ »[2].

وقد ذكر صاحب كتاب الإمتاع والمؤانسة في سياق حديثه عن المقارنة بين النظم والنثر- نقلا عن ابن نباتة- أن" من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه،والحجج لا تؤخذ

[1] - ينظر: مصطفى صادق الرافعي- تاريخ أدب العرب- ج: 1 - ص: 277.

[2] -ينظر: محمد بن جرير بالطبري - جامع البيان في تأويل القرآن - ج: 14 ص:534- و أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني - إعجاز القرآن الكريم- ص:91 و الجرجاني - دلائل الإعجاز - ص: 8

إلا منه، أعني أن العلماء والحكماء والفقهاء والنحويين واللغويين يقولون قال الشاعر، وهذا كثيرٌ في الشعر، والشعر قد أتى به، فعلى هذا الشاعر هو صاحب الحجة، والشعر هو الحجة"1.

ويؤكد أبو حيان التوحيدي أفضلية الشعر على النثر ويدلل على ذلك بـأن معظـم العلماء في شتى المجالات يستعملون الشاهد من الشعر أكثر مما يستعملون غيره مــن الأمثـال والرسائل والخطب .

ولعل ما يؤكد ذلك قول ابن خلدون:" واعلم أن فن الشعر من بين الكلام كان شريفاً عند العرب، ولذلك جعلوه ديوان علومهم وأخبارهم وشاهد صوابهم وخطئهم، وأصلاً يرجعون إليه في الكثير من علومهم وحكمهم"2.

ومن مزايا الشعر أنه يستشهد به في بناء القواعد الغوية النحوية وغيرهما يقول ابـن الأثير الكاتب في كتابه " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر": وأما الذي نقلد العرب فيه من الألفاظ فإنما هو الاستشهاد بأشعارها على ما ينقل من لغتها، والأخذ بأقوالهـا في الأوضـاع النحوية في رفع الفاعل ونصب المفعول وجر المضاف إليه وجزم الشرط وأشباه ذلك، وما عداه فلا".3

وكأن ابن الأثير- رحمه الله- يجعل الأهمية الكبرى للشعر العربي هي الاستدلال بها على اللغة و التأصيل للقواعد النحوية من رفع الفاعل ونصب المفعول وغيرهما...

وحفظ الشعر من الأمور التي تساعد على إبراز ملكة الكتابة والتي تساعد الكاتب في تفوقه لما فيها من أمور ذكرها صاحب كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب عند حديثه عن ما يحتاج الكاتب إلى معرفته من الأمور الكلية ومنها:" حفظ أشعار العرب ومطالعة شروحها واستكشاف غــوامضها والتوفر على مــا اختاره العلماء بها منها، كالحماسة، والمفضليات

1- أبو حيان التوحيدي- الإمتاع والمؤانسة - تصحيح وضبط وشرح : أحمد أمين و أحمد الزين- المكتبة العصرية - بيروت- لبنان- د .ط- 1373هـ/19353-ج: 2- ص:136.

2- عبد الرحمن بن خلدون- المقدمة - ص :577.

3- ابن الأثير الكاتب- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- تحقيق: د. أحمد الحوفي. و د. بدوي طبانة- مصر- القاهرة - دار نهضة مصر للطباعة والنشر-ط: 1- د.ت- ج: 1- ص:171.

والأصمعيات وديوان الهذليين، وما أشبه ذلك، لما في ذلك من غزارة المواد، وصحّة الاستشهاد، الإطلاع على أصول اللغة، ونوادر العربية"[1] .

المسألة الثانية: المثل.

تشكل الأمثال بأنواعها أبسط الأشكال الأدبية الفنية وأوجزها عند معظم الشعوب، وتعكس مشاعر الناس، وأفكارهم وتصوراتهم لحياتهم، وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، ومعظم مظاهر نشاطات حياتهم الأخرى، وتعبر عنها بصورة حية، تصدر عن مختلف مستويات الجماعات الإنسانية بكافة المعايير التصنيفية لمستويات البشر على اختلاف حضاراتهم وثقافتهم.

يضاف إلى ذلك ما تمتاز به الأمثال من سرعة انتشارها وترددها على الألسن من جيل إلى جيل، ومن جماعة إلى جماعة، وعبورها من لغة إلى أخرى، عبر الأزمان والأمكنة، وما لها من أثر السحر في التأثير على الناس وإقناعهم، رغم بساطة معانيها، وسذاجة صياغتها في معظم الأحيان.

ولما كان للأمثال هذه الأهمية، فإن الأمثال العربية بكل أنواعها تكاد تقابلنا في معظم مصادر التراث العربي، ككتب التفسير، والمعاجم اللغوية، وأمهات الأدب والمسامرات والأخلاق، وكتب اللغة والنحو، وكتب الحكمة والفلسفة والطباع، والتاريخ والسير، وكتب البلاغة والموسوعات الثقافية.

وقد عُنِيَ علماءُ الأدب واللغة والتفسير العرب منذ وقت مبكر بجمعها وتصنيفها وتبويبها وشرحها، واعتُمد عليها في التقعيد والتأصيل لبعض القضايا اللغوية والبلاغية وجعلوا منها مادة تأديبية وتعليمية وتربوية، وزينوا بها مؤلفاتهم ودعموا بها أقوالهم، وعلّلوا بها أفعالهم، بحيث بقيت تلك الأمثال والحكم حية في تراثهم الكتابي والشفهي إلى يومنا هذا.

[1]- النويري- نهاية الأرب في فنون الأدب- ج: 2- ص: 275

وقبل أن نتطرق للمثل والاستشهاد به أتطرق لتعريفه لغة واصطلاحا:

أولا: تعريف المثل.

- لغة :

يظهر من غير واحـــد من المعاجم، كلسان العرب وتاج العروس، أنّ للفظ المثل معاني مختلفة، كالنظير والصفة والعبرة، وهـــو مشتق من مِثل، أي شِبه، وفـــلان أمثل مـــن بفلان أي أشبه به[1].

ومنه قول الشاعر كعب بن زهير[2]:

كـــانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ✿ ومـــا مـــواعيدها إلاّ الأباطيل

- اصطلاحا

المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحـــدهما الآخر ويصوره نحو قولهم " الصيف ضيعت اللبن"3

وبيّن ضياء الدين بن الأثير بأن المثل قليل الألفاظ كثير الإيجاز بقوله:" لما كانت الأمثال كالرموز والإشارات التي يلوح بها على المعاني تلويحاً صارت من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً القول الوجيز المرسل ليعمل عليه، وحيث هي بهذه المثابة فلا ينبغي الإخلال بمعرفتها"[4].

وكأن ابن الأثير يحثنا عن معرفته وعدم تركه لما فيه من مزايا.

وقد وصف ابن عبد ربه الأمثالَ بأنها:" وَشْـــيُ الكلام، وجوهر اللفظ وحَلْى المـــعاني، والتي تخيَّرتْها العربُ، وقَدَّمتها العجم، ونُطِق بها في كل زمان وعلى كلّ لسان، فهي

---

[1] - ينظر: ابن منظور- لسان العرب - ج: 11- ص: 613 و الزبيدي- تاج العروس- ج: 10- ص: 380.

[2] - ابن حجة الحموي- شرح قصيدة كعب بن زهير بانت سعاد – تحقيق:د. علي حسين بواب- المملكة العربية السعودية – المعارف- ط:1- 1406هـ/ 1985م- ص:35

3- الراغب الأصفهاني- المفردات في غريب القرآن – لبنان- بيروت- دار المعرفة-ط: 1- 1418هـ/ 1998م- ج:1- ص: 25

[4]- ابن الأثير الكاتب- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- تحقيق: د. احمد الحوفي و د. بدوي طبانة- ج: 1- ص:55.

أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يَسِرْ شيءٌ مَسيرَها، ولا عَمَّ عُمومَها، حتى قيل أسْيَر من مثل"[1].

وقد عُبر عن المثل بأنه:" قول محكي سائر يقصد به تشبيه حال الذي حكي فيه بحال الذي قيل لأجله، أي يشبه مضربه بمورده؛ مثل" رب رمية من غير رام"[2].

ومما يتصف به المثل أنه يأتي بالألفاظ الموجزة ليعبر عن معان كثيرة، وقد ذكر أبو حيان التوحيدي جملة من ضروب البلاغة، وعَدَّ منها المثل وذكر أن من بلاغته أن يكون فيه" اللفظ مقتضباً، والحذف محتملاً، والصورة محفوظة، والمرمى لطيفاً، والتلويح كافياً، والإشارة مغنية، والعبارة سائرة"[3].

والحقيقة أن المثل عصارة تجارب السنين وتراكم الخبرات لا تصدر إلا عن معاناة، أو عن موقف، أو عن سبب من الأسباب، تطلق في وقت ما فجأة ليصبح تداولها على كل لسان[4]، فتغدو مثلا مشاعا لكل من رام منه حاجته.

ثانيا: الاستشهاد بالأمثال.

تعتبر الأمثال مصدرا أدبيا و لغويا هاما في الاستشهاد على المعاني اللغوية كما أنها تمثل مصدرا تراثيا لكثير من المجالات الدينية والثقافية والفكرية وغيرها.

و لعل من موجبات الاستشهاد بالأمثال- كغيره من الشواهد- أنها تقرب المعنى وتشرح الفكرة، وله من المزايا ما ذكره صاحب جمهرة اللغة بقوله:" ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن كحاجته إلى الشاهد والمثل و الشذرة والكلمة السائرة فإن ذلك يزيد المنطق تفخيما ويكسبه قبولا ويجعل له قدرا في النفوس وحلاوة في الصدور ويدعو القلوب إلى وعيه ويبعثها على حفظه ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة والاستظهار به أوان المحاولة في ميادين المجادلة والمصاولة في حلبات المقاولة وإنما هو في

---

[1]- ابن عبد ربه الأندلسي- العقد الفريد - ج: 3 - ص: 3.

2- عبد الرحمن النحلاوي- التربية بضرب الأمثال - سوريا- دمشق- دار الفكر المعاصر- ط: 1- 1419 هـ 1998م- ص: 85.

[3]- أبو حيان التوحيدي - الإمتاع والمؤانسة- ج:2- ص:141.

[4]- الجاحظ- البيان والتبيين- ج :1 - ص: 18

الكلام* كالتفصيل في العقد والتنوير في الروض والتسهيم في البرد فينبغي أن يستكثر من أنواعه لأن الإقلال منها كاسمه إقلال، والتقصير في التماسه قصور، وما كان منه مثلا سائرا فمعرفته ألزم لأن منفعته أعم والجهل به أقبح"[1]

يعدّد أبو هلال العسكري - رحمه الله- أهمية المثل بشيء من التفصيل؛ فهو عنده يوضح الكلام و يجعله مقبولا لدى السامعين وأن النفوس تنشرح له والقلوب تطمئن به، ويستعمله أصحاب المناظرات في مناظراتهم وأهل الجدال في مجادلاتهم، أضف إلى ذلك أنه سهل العبارة، وفي الأخير يحثنا للإكثار منه واستعماله في أحاديثنا وحواراتنا.

ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ ليخف استعمالها ويسهل تداولها فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها وكثرة معانيها ويسير مئونتها على المتكلم مع كبير عنايتها وجسيم عائداتها[2].

تلكم هي أنواع الشواهد التي رأيت أن أبرزها في هذا الفصل، لكن بقي أن أشير إلى أن في العصر الحديث تستعمل المعاجم الحديثة نوعا آخر من الشواهد وهي الشواهد الصورية، وهي شواهد على شكل صور ورسومات كصور الحيوانات وأنواع الأشجار والألبسة ورسومات لجسم الإنسان وأجهزة إلكترونية وغيرها.

والهدف من هذه الشواهد الصورية تقريب الفهم وإيضاح المعنى وتوضيح المصطلحات، كمنجد الطلاب و منجد المترادفات والمتجانسات...

---

*- يعني المثل.

1- أبو هلال العسكري- جمهرة الأمثال- دار الفكر- لبنان- ط: 1- 1408هـ/1988م- ج: 1- ص: 4.

2- المصدر نفسه- ج: 1- ص:5/4 .

المبحث الثالث: فوائد الشواهد . ..

لقد استخدم العلماء واللغويون الشواهدَ لأغراض متعددة، وفوائد جمّة أهمها:

- ✓ إثبات وجود الكلمة في اللغة العربية، بدليل ورودها في بيت شعري أو مثل سائر أو قول مأثور أو نحوه.
- ✓ توضيح معنى الكلمة، لأن السياق يساعد على تحديد معنى اللفظ الوارد فيه.
- ✓ مساعدة القارئ على الوقوف على قضايا اللفظ الصوتية والصرفية والنحوية واللغوية والبلاغية، خاصة عندما يستعل هذا اللفظ في سياق النص.

إضافة إلى أن الشاهد المقتبس من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو كبار الشعراء والأدباء يلقي أضواء كاشفة على الثقافة العربية ويثير اهتمام القارئ.

وقد اهتم المؤلفون بالشواهد وأكثروا منها أو استطردوا فيها حتى أنهم اضطروا في أحيان كثيرة إلى شرح معنى الشاهد كله أو بعضه، لأن الشاهد أصعب من اللفظ المطلوب فهمه.

المبحث الرابع: الشواهد وعصور الاحتجاج والمدارس اللغوية والنحوية

تباينت آراء العلماء في الاستشهاد بكلام العرب بين المتشدد فيها والمتساهل في ذلك، وبين من يقبلها جملة وبين من يقبلها بشروطها؛ وذلك على حسب المدارس التي ينتمون إليها.

المطلب الأول: الشواهد وعصور الاحتجاج

قلت سابقا أن الشاهد هو ما يؤتى به من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو كلام العرب قيل في عصر الاحتجاج؛ فاشترط العلماء في قبول الشاهد من كلام العرب وجوده في حدود زمنية ومكانية سموها عصر الاحتجاج:

المسألة الأولى: الحد ود الزمنية:

وهو الفيصل الذي تم من خلاله تحديد عصور الفصاحة؛ فلم يقبل العلماء من الشواهد الشعرية والنثرية إلا ما كان واقعاً بين العصر الجاهلي إلى منتصف القرن الثاني الهجري؛ فأجمعوا على صحّة الاستشهاد بطبقة الجاهليين والمخضرمين، واختلفوا في طبقة الإسلاميين، ولأغلب على صحّة الاستشهاد بشعرهم حتى منتصف القرن الثاني الهجري، واقتصر بعض العلماء كأبي عمرو بن العلاء على الأخذ من الجاهليين والمخضرمين دون غيرهم[1].

المسألة الثانية: الحد ود المكانية

وهي الفيصل الذي تم من خلاله تحديد مواطن الفصاحة؛ إما في وسط الجزيرة العربية دون بقية أطرافها التي كانت على صلة بالأمم الأخرى، أو متاخمة لها، وإما في بواديها دون الحواضر التي كانت تعجّ بحركة الوافدين عليها من خارج الجزيرة أو من أطرافها بقصد التجارة ونحوها؛ فقد اختلفت درجات الأخذ عن القبائل في الاحتجاج بحسب قربها أو بعدها من

[1]- ينظر: مصطفى صادق الرافعي- تاريخ أدب العرب- ج: 1 - ص: 258.

الاختلاط بالأمم المجاورة، فاعتمدوا كلام القبائل الواقعة في قلب جزيرة العرب، وردّوا كلام القبائل التي على السواحل، أو في الحواضر، أو في جوار غير العرب من الأمم الأخرى[1].

وعلى ضوء هاذين الحدين- الزماني والمكاني- عُدّ كلّ ما خالف ذلك مولداً ، فَقُسِّم الشعراء إلى طبقات، والقبائل إلى درجات، أعلاها قبيلة قريش[2]؛ فقد أجمع العلماء بكلام العرب ورواة الأشعار أنّ قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبيَّ الرحمة محمداً صلى الله تعالى عَلَيْهِ وسلم. فجعل قُريشاً قُطَّان حَرَمِه، وجيران بيته الحرام، ووُلاتَهُ، وكانت قريش – مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها-إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم... فصاروا بذلك أفصح العرب...ألا ترى أنّك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم ولا عجرفيّة قيس ولا كشكشة أسد ولا كسكسة ربيعة..."[3].

ومما أسهم في إقرار فصاحة قريش بُعدها عن بلاد العجم كما ورد في" مقدمة ابن خلدون": كانت لغة قريش أفصح اللغات العربية وأفصحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم"[4].

ولعل استحسان قريش للغات العرب والتكلم بأحسنها كان من باب التهيئة التي أعدها الله سبحانه وتعالى للغة دينه الجديد، فالشعراء من قبائل متفرقة يتخيرون من الألفاظ ما تقبله قريش حتى يكون لشعرهم السيرورة بين الورى وما يدرون أنهم بذلك يسهمون في خلق لغة خالية من مستبشع الألفاظ لتكون حجة لهم في الفصاحة والبيان ومن ثم الإعجاز، وهـــذا كله من باب التهيئة التي أعدها الله سبحانه وتعالى للغة دينه الجديد، تسير تلك التهيئة وفق قدر إلهي مستصحبة تهيئته سبحانه وتعالى المكان كذلك[5].

1- مصطفى صادق الرافعي- تاريخ أدب العرب- ج: 1 - ص: 220.

2- ينظر: عبد الله عبد الناصر جبري- لهجات العرب في القرآن الكريم- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط:1-1428هـ/2007م- ص: 80.

3- ينظر: السيوطي - المزهر- ج: 1- ص: 210.

4- عبد الرحمن بن خلدون- المقدمة- لبنان- بيروت- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- د.ط - 1424هـ/2004م- ص:764.

5- ينظر: عبد الله عبد الناصر جبري- لهجات العرب في القرآن الكريم- ص:81.

ولا عـــجب أن وجدنا قلوب العـــرب في الجاهلية تتعلق بالكعبة وتعظمها وتُقسم بها، كما جاء في معلقة زهير بن أبي سلمى[1]:

فَأقسَمتُ بالبَيْتِ الذي طافَ حولَهُ ✤ رجالٌ بَنَوْهُ مِـن قُرَيشٍ وَجُـرْهُمِ

يَميناً لنِعْـمَ السَّـيِّدانِ وُجِـدْتما ✤ على كلِّ حالٍ مِـن سَحيلٍ وَمُبْرَمِ

وتعلق العرب لا يقف عند حدود الكعبة، وحجره الأسود فقط؛ إنما يتعداها إلى أحجار مكة عموماً، كما جاء في معلقة النابغة الذبياني[2]:

فلا لَعَمْـرُ الذي مَسَّحتُ كعـبتَهُ ✤ وما هُريقَ على الأنصابِ من جَسَدِ

والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيرَ تمسَحُها ✤ رُكْبانَ مكَّةَ بينَ الغَيْـلِ والسَّعَدِ

ويليهم- أي قريش- قيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين. و لم يؤخذ مـــن غيرهم مـــن سائر القبائل، واستثنوا القبائل القاطنة بجـــوار اليونان كتغلب والنمر، والقبائل المجاورة لأهل مصر والقبط كلخم وجذام، والقبائل المجاورة لأهل الشام كقضاعة وغسّان وإياد، والقبائل المجاورة للنبط والفرس والهند والحبشة كبكر وعبدا لقيس وأزد عُمان وأهل اليمن، والقبائل المخالطة لتجّار الأمم المقيمين عندهم كبني حنيفة وسكّان اليمامة وثقيف وسكان الطائف وحاضرة الحجاز، لأن الغرض من ذلك السلامة في لغة المحتجّ به وعدم تطرّق الفساد إليها، كـــي تتاح لهم فـــرصة التمييز بين الـــدخيل والأصيل، والمشهور والشـــاذ، والمستعمل والمهمل....[3]

على هذا فلوم فرضنا اليوم أن في بعض القفار النائية عن العمارة والسكان قوماً من العرب لا يخالطون غيرهم وكانوا قد أخذوا اللغة عن مثلهم وكذلك إلى حين ابتداء الوضع لوجب أن يكون قولهم حجة كأقوال المتقدمين وإن كانوا محدثين.

1- زهير بن أبي سلمى- الديوان- لبنان – بيروت- دار المعرفة- ط:3- 1426هـ/2005م- ص: 66.

2- النابغة الذبياني- الديوان- مصر – مطبعة الهلال- د.ط- 1331هـ/1911م- ص:37.

3-ينظر: ابن سنان الخفاجي- سر الفصاحة- لبنان – بيروت- دار الكتب العلمية- ط:1- 1402هـ/1982م-ص:97. و السيوطي - المزهر في علوم اللغة وأنواعها –ج:1- ص: 68.

المطلب الثاني: الشواهد و المدارس اللغوية والنحوية.

إن دائرة الاستشهاد تتّسع وتضيق بحسب مدارس اللغة والنحو التي نشأت في الحواضر الإسلامية. وكانت كل مدرسة لها شروطها في قبول الشاهد عل ما سنبينه.

وأشير في البداية إلى المدرسة - كمصطلح علمي - اقترن بالعلوم الإنسانية، ويطلق على:" جماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تعتنق مذهبا معينا أو تقول برأي مشترك أوهي بمعناها الواسع جماعة من العلماء أو الفلاسفة ينتسبون إلى مذهب واحد أو يدافعون عن مبدأ واحد".[1]

وإذا كان الخلاف بين البصريين والكوفيين هو الشائع بين النحاة واللغويين بصفة عامة، فأن هذا الخلاف أصبح حقيقة ثابتة يقررها العلماء اليوم ويروون خلافاتهم في كتبهم ويقارنون بينها.[2]

وكان موقف العلماء حول الشواهد يختلف على حسب المدارس المنتمون إليها من متشدد في ذلك ومتساهل على حسب ما سأبين فيما يلي:

المسألة الأولى: المدرسة البصرية.

شدّد أصحاب هذه المدرسة أشدّ التشدّد في رواية الأشعار والأمثال والخطب ضمن الدائرة المشار إليها آنفا ، واشترطوا في الشواهد المعتمدة لوضع القواعد أن تكون جارية على ألسنة العرب وكثيرة الاستعمال في كلامهم بحيث تمثّل اللغة الفصحى خير تمثيل، وحينما يواجهون بعض النصوص التي تخالف قواعدهم، كانوا يرمونها بالشذوذ أو يتأوّلونها حتى تنطبق عليها قواعدهم.

وقد غلب مذهب البصريين في الانتشار بين الناس لدقته، لذا فكون القرآن خالف المذهب البصري لا يعني أن القرآن فيه خطأ – حاشا لله – بل لأن البصريين وضعوا القواعد

[1]- المدرسة البغدادية المذهب المالكي - د.محمد العلمي - دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث - ط : 1- 1424هـ/ 2003م - دبي - الإمارات العربية المتحدة - ص: 17

[2]-ينظر: عوض حمد القوزي- المصطلح النحوي: نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري- الجزائر- ديوان المطبوعات الجامعية- ط:1- 1401هـ/1981م- ص:154.

على أساس أن تكون جارية على ألسنة العرب وكثيرة الاستعمال ولا يجعل هذا القرآن بقراءاته المختلفة مخالفا للغة العرب بل كل ما تكلمت به العرب هو عربي إما بلغ درجة الفصاحة العالية أو نزل عليها قليلا.

المسألة الثانية: المدرسة الكوفية.

أمّا أقطاب المدرسة الكوفية فقد اتّسعوا في الرواية عن جميع العرب بدواً وحضراً، واعتدّوا بأقوال وأشعار المتحضّرين من العرب ممّن سكنوا حواضر العراق، واعتمدوا الأشعار والأقوال الشاذّة التي سمعوها من الفصحاء العرب والتي وصفها البصريون بالشذوذ، وقد اعتمدوا على القبائل التي اعتمد عليها البصريون واعتمدوا على لغاتٍ أخرى أبى البصريون الاستشهاد بها، وهي لهجات سكان الأرياف الذين وثقوا بهم، كأعراب الحطمية الذين غَلَّطَ البصريون لغتهم ولَحَّنُوها واتهموا الكسائي بأنه أفسد النحو، أو بأنه أفسد ما كان أخذ بالبصرة، إذ وثق بهم وأخذ عنهم. واحْتُجَّ على سيبويه في المناظرة التي جرت بينهما بلغاتهم[1].

و مما يذكره الباحثون أن موقف اللغويين الكوفيين أكثر ديانة وصيانة لجانب القراءات القرآنية من إخوانهم النحويين البصريين؛ فقبلوا القراءات، و لم يضعفوها، واحتجوا به ، وعقدوا كثيرا من أصولهم وأحكامهم بناء على ما جاء فيها، وهم إذا رجحوا القراءات التي يجتمع عليها القراء لا يرفضون غيرها،ولا يغلطونها لأنها صواب عندهم[2].

1– ينظر: جمال الدين بن هشام الأنصاري– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب – ص: 122 /125.

2 – ينظر: مهدي المخزومي– مدرسة الكوفة – ص: 337

المسألة الثالثة: المدرسة البغدادية.

توسّع بعض أعلام المدرسة البغداديّة في الأخذ والاستشهاد بأشعار الطبقة الرابعـــة ، فقد استشهد الزمخشري بشعر أبي تمام ت وقال:" هو وإن كان محدثاً لا يستشهد بـــشعره في اللغة ، فهو من علماء العربية ، فأجعل ما يقوله بمترلة ما يرويه، واستشهد الرضي الأسترآبادي شارح أبيات كافية ابن الحاجب بشعر أبي تمام أيضاً في عدّة مواضع من شرحه[1] .

فعلى هذا المذهب يمكن الاستنتاج بأننا لا نجد في القرآن ولا في قراءاته القرآنية جملة أو كلمة خرجت عن فلك اللغة العربية.

لذا على الباحثين عن الحق أن يوسعوا مداركهم وأن لا يحصروا اللغة في قول مذهب واحد أراد الدقة والضبط بل عليهم أن يحيطوا بالعربية أولا وقبل كل شيء لا أن يحصروها في مقياس البصريين فقـــط لأن ما رفضه البصريون قبله الكوفيون والبغداديون وهو مذهب لا يقل عـــن المذهب البـــصري كفاءة بل ربما يفضل عليه لسعة اطلاعهم على صنوف وألوان لغات العرب.

[1]- ينظر البغدادي – خزانة الأدب ولباب لسان العرب–ج: 1– ص: 8.

الفصل الثاني

شاهد القراءات القرآنية في معجم تهذيب اللغة

المبحث الأول: شاهد القراءات في المعاجم

المطلب الأول: تعريف المعجم وذكر مناهجه

المطلب الثاني: أهمية المعاجم.

المطلب الثالث: أهمية القراءات القرآنية في المعاجم

المطلب الرابع: أهمية القراءات القرآنية الواردة في كتاب الأزهري.

المبحث الثاني: منهج الأزهري في الاستشهاد بالآيات القرآنية والقراءات.

المطلب الأول: المنهج العام في عرض القراءات.

المطلب الثاني: طريقة إسناد القراءات لأصحابها

المطلب الثالث: منهجه في الاستشهاد بالقراءات وذكره الدلالات.

الفصل الثاني.

شاهد القراءات القرآنية في معجم تهذيب اللغة.

تمهيد:

تمثل المعاجم العربية مصدراً هاماً للباحث في الدراسات اللغوية والأدبية، ولا سيما بعد أن ظهرت تلك المعاجم الكبرى كالعين للخليل، وتهذيب اللغة للأزهري،و معجم الصحاح للجوهري، ومعجم أساس البلاغة لجار الله الزمخشري، ولسان العرب لابن منظور، ومعجم القاموس المحيط للفيروز أبادي...

وقد شملت هذه المعاجم كثيراً من شؤون الحياة العربية لغوياً وأدبياً وفكرياً وتاريخياً وما إلى ذلك، بالإضافة إلى الهدف الأساسي وهو جمع ألفاظ اللغة وتحديد صيغها ومعانيها وما يَعْرِض لها أحياناً من اختلاف بين لهجات القبائل، أو اختلاف بين آراء أهل اللغة، أو ماشابه ذلك، وقد اعتمد أصحاب هذه المعاجم على القرآن الكريم وقراءاته و على كلام العرب شعرا ونثرا وعلى الحديث النبوي الشريف كما سنبينه في هذا الفصل.

المبحث الأول

شاهد القراءات القرآنية في المعاجم.

المطلب الأول:تعريف المعجم وذكر مناهجه

تعريف المعجم

مناهج المعاجم

المطلب الثاني:أهمية المعاجم.

المطلب الثالث: أهمية القراءات القرآنية في المعاجم

أولا: الناحية اللغوية.

ثانيا: الناحية المعنوية.

المطلب الرابع: أهمية القراءات القرآنية الواردة في كتاب الأزهري.

المبحث الأول: شاهد القراءات القرآنية في المعاجم.

المطلب الأول: تعريف المعجم و ذكر مناهجه.

-لغة:

العَجَمُ ضد العَرَبُ، والأعْجَم الذي لا يفصح، وامرأة عجماء بيّنة العُجمة والعجماء البهيمة؛ لأنها لا تتكلم[1]. وفي الحديث عن أبي هريرة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

« جُرْحُ الْعَجْمَاءِ جُبَارٌ»[2]

أي: هدر لا شيء عليها إن أتلفت شيئاً بالنهار أو الليل دون تفريط من مالكها[3].

والعجماء: كل صلاة لا يجهر فيها بالقراءة، ولذلك سميت صلاتا الظهر والعصر بالعجماوين، ويقال للصبي ما دام لا يتكلم ولا يفصح: صبي أعجم. قال امرؤ القيس:

صَمَّ صَدَاهَا وَعَفَا رَسْمُهَا *** واسْتَعْجَمَتْ عَنْ مَنْطِقِ السَائِلِ

والعُجمة معظم الرمل وأشده تراكماً، سمي بذلك لتداخله واستبهام أمره على سالكه[4].

1- الأزهري - تهذيب اللغة-ح:1- ص: 390 . محمّد بن محمّد الزَّبيدي- تاج العروس من جواهر القاموس-ج:1- ص:7811.

2- رواه مالك في الموطأ ومسلم والنسائي و أحمد بن حنبل .والعجماء بالمد هي كل الحيوان سوى الآدمي وسميت البهيمة عجماء لأنها لا تتكلم والجبار بضم الجيم وتخفيف الباء الهدر. ينظر النووي- شرح النووي على صحيح مسلم- لبنان- بيروت – دار إحياء التراث العربي- ط:3- 1392هـ/1972م- ج: 11 - ص:225. وابن عبد البر- التمهيد – ج: 7 - ص:19.

3- ينظر : ابن حجر : فتح الباري ج: 19 - ص: 367- و الباجي - المنتقى - ج:4 - ص: 48

4- ينظر : أبو عثمان ابن جني - الخصائص- ج: 3 - ص:75.

من ذلك كله يتضح لنا أن مادة(ع ج م) تدل على الإبهام والغموض وخلاف الإيضاح. ولكنا وجدنا اللغويين يقولون تعجيم الكتاب تنقيطه كي تستبين عجميته وتتضح، وعلى ذلك فمعنى قولنا أعجمت الكتاب أوضحته وبينته[1].

ومن هنا يظهر لنا التناقض بين المعجم بمعنى الإبهام الكامن في الاستعمالات الأولى، وبين المعجم بمعنى الإيضاح في قولنا أعجمت الكتاب. فما السّر في مجيء الاستعمال الأخير بمعنى مخالف للمعنى الذي تدور حوله مادة *عجم* ؟

أجاب عن هذا السؤال أبو عثمان ابن جني فقال:" إن قولهم أعجمت على وزن أفعلت، والهمزة فيه وإن كانت في غالب أمرها إنما تأتي للإثبات والإيجاب، نحو أكرمت زيداً أي أوجبت له الكرامة، وأحسنت إليه أي أثبت له الإحسان، فقد تأتي الهمزة أيضاً يراد بها السلب والنفي، مثل أشكيت زيداً، أي زلت له عما يشكوه"[2].

من ذلك نستنتج أن مادة *عجم* تدل على الإبهام والإخفاء، إلا أن كلمة معجم مشتقة من الفعل "أعجم" المزيد بالهمزة، فأصبح معنى "أعجم" أزال العُجْمة والإبهام.

ومن ذلك قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[3]

أي : أكاد أظهرها[4].

وعلى هذا الأساس يكون قولنا أعجمت الكتاب معناه أزلت منه استعجامه،كما كان **(أخفيها)** أزيل عنها خفاءها. ونظيره أيضاً أشكلت الكتاب إذا أزلت عنه إشكاله[5].

---

[1]- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي- معجم العين- ج: 1 ص:237- 238 و ابن منظور- لسان العرب- ج:12 - ص: 385.

[2]- أبو عثمان ابن جني - سر صناعة الإعراب- ج: 1- ص: 37.

[3]- سورة طه - الآية:15.

4- ينظر : أبو محمود الزمخشري - الكشاف- ج: 3 - ص: 58.

[5]- أبو عثمان ابن جني - سر صناعة الإعراب- ج: 1- ص: 40/39.

اصطلاحا:

المعجم اصطلاحا كتاب يضم كلمات لغة ما، كلها أو جلها، مرتبة ترتيباً خاصاً مشروحة بما يزيل خفاءها وإبهامها، ومضبوطة ضبطاً يبين حركاتها وحروفها مقرونة بما يوضح صيغها، واشتقاقاتها، وكيفية نطقها.

أو هو كتاب يضم ألفاظ اللغة العربية مرتبة على نمط معين، مشروحة شرحاً يزيل إبهامها، ومضافاً إليها ما يناسبها من المعلومات التي تفيد الباحث، وتعين الدارس على الوصول إلى مراده، أو هو كتاب يضم بين دفتيه أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها، وتفسير معانيها، على أن تكون المواد مرتبة ترتيباً خاصا، إما على حروف الهجاء أو الموضوع، والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبيّن مواضع استعمالها[1].

بعدما عرفنا معنى المعجم في اللغة والاصطلاح، أشير هنا إلي أن هناك مصطلحاً آخر اشتهر بين الناس وهو القاموس، ويعنون به المعجم سواء أكان خاصاً باللغة العربية، أم بأي لغة أجنبية، أم كان مزدوج اللغة.

و كلمة القاموس هذه صارت مرادفة لمصطلح المعجم بسبب تسمية مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي معجمه بـ: القاموس المحيط، وكأنه- رحمه الله - أراد أن يصف معجمه بالغزارة لما اشتمل عليه من مادة علمية، اعتبرها هو رصينة ، يتضح لنا ذلك من قوله في مقدمته: " ... وضمنته خلاصة ما في العباب والمحكم ، وأضفت إليه زيادات منَّ الله تعالى بها وأنعم، ورز فنيها عند غوصي عليها من بطون الكتب الفاخرة... وأسميته القاموس المحيط لأنه البحر الأعظم"[2].

وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن القاموس المحيط الذي عنون به الفيروز آبادي معجمه، وصفٌ لهذا المعجم بأنه بحر واسع أو عميق، كما نسمي بعض كتبنا الشامل، أو الكامل، أو الوافي أو نحو ذلك.

---

[1] - أحمد عبد الغفور عطار- مقدمة الصحاح - ص38.

[2] - محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - القاموس المحيط- ج: 1- ص: 3.

مناهج المعاجم:

لقد تشعبت للغويين مناهجُهم في إيراد أبواب المعجم؛ فمنهم من اختار جمع المواد حسب الألفاظ مرتبا إياها ترتيبه الخاص، ومنهم من رأى جمع المواد حسب الموضوعات مبوبا لها حسب المعاني، وقد اختلفت طرق الترتيب لدى الطائفتين؛ فذهبت الطائفة الأولى إلى ترتيب الألفاظ على مخارج الحروف[1]، أو على الحروف الهجائية ناظرة إلى الحرف الأول للفظة[2] أو الحرف الأخير لها وتجعله بابا والحرف الأول فصلا[3]، وذهبت الطائفة الثانية إلى إيراد الألفاظ الخاصة بالموضوع المعقود له الباب[4]، والاستشهاد بكل منها أو لبعضها أو إلى إيراد النصوص الشعرية الخاصة بالباب واستخراج الألفاظ وشرحها.

فيمكن أن نستنتج أن العلماء في المعجم سلكوا منهجين:

المنهج الأول:

جمع مفردات اللغة وتصنيفها بالنظر إلى معانيها فيجمعون الكلمات التي تتعلّق بموضوع واحد في موضعٍ واحد؛ بحيث تكون تلك الكلمات المرتبطة بتلك العلاقة اللغوية مجموعةً في رسالة واحدة، وتُسمّى هذه المؤلفات التي تشتمل على هذه المفردات معاجم المعاني أو معاجم الموضوعات.

المنهج الثاني:

جمع مفردات اللغة وتصنيفها بالنظر إلى ألفاظها، فتُرتّب الألفاظ اللغوية على ترتيبٍ معيّنٍ ينظر إلى الحروف التي تتكوّن منها، سواءً كان الترتيب مبنيّاً على الحرف الأول فالثاني، أم على الحرف الأخير فالأول، أم على أقصى حروف الكلمة مخرجاً ثمّ الذي يليه.

---

[1] – من ذلك معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي.

[2] – كمعجم المقاييس لابن فارس.

[3] – كالصحاح للجوهري.

[4] – كمعجم النخل والنخيل للأصمعي.

والمعجم الذي بين أيدينا ينتمي إلى المنهج الثاني أي مدرسة التقلبات الصوتية؛ فصاحبنا الأزهري- رحمه الله- اعتمد المنهج الصوتي وسار في على طريقة التقلبات أي تقليب الحروف المكونة للباب.

المطلب الثاني: أهمية المعاجم.

كان الهدف العام من تأليف المعاجم العربية خاصة وكتب اللغة عموما هو حراسةُ القرآن الكريم من أن يقتحمه لحن في النطق أو خطأ في الفهم، وحمايةُ اللغة العربية من أن يقتحم حرمها دخيل لا ترضى عنه العربية، وصيانةُ هذه الثروة اللغوية والأدبية من الضياع بموت العلماء ومن يحتج بلغتهم، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية اضمحلالها وما ينشأ عن ذلك من الجهل بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

يقول الأزهري في هذا الصدد:" فعلينا أن نجتهدَ في تعلُّم ما يُتوصَّل بتعلمه إلى معرفة ضروب خطاب الكتاب ثم السُّنن المبيِّنة لجمل التنزيل الموضّحة للتأويل لتنتفيَ عنا الشبهة الداخلة على كثير من رؤساء أهل الزَّيْغ والإلحاد ثم على رءوس ذوي الأهواء والبِدَع الذين تأوَّلوا بآرائهم المدخولة فأخطئوا وتكلَّموا في كتاب الله جلّ وعزّ بلكنتهم العجميّةِ دونَ معرفة ثاقبة فضلُّوا وأضلُّوا"[1]

لذلك شمر كثير من العلماء و المفسرين واللغويين ومن بينهم أئمة اللسان وأصحاب المعاجم لذلك، وكتبوا فيه الدواوين وألفوا فيه الكتب، وقامت كل طائفة بفن من فنونه؛ فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره وأحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته وغير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه، فسموا القرّاء، واعتنى النحاة

[1] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج:1 - ص :4.

بالمعرّب منه والمبني من الأسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها وضروب الأفعال واللازم والمتعدي ورسوم خط الكلمات وجميع ما يتعلق به...[1].

ولعل ابن منظور صاحب المعجم المشهور، لسان العرب، كان موفّقا عندما ذكر أهمية معجمه بقوله في مقدمته:" وليس لي في هذا الكتاب فضيلةٌ أمتُّ بها، ولا وسيلة أتمسَّكُ بسببها، سوى أني جمعت فيه ما تفرَّق في تلك الكتب من العلوم..." ويوضِّح غرضه من هذا العمل اللغوي الضخم فيقول: "فإنِّي لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية وضبط فضلها، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنَّة النبوية..." إلى أن يقول: "وذلك لما رأيتهُ في هذا الأوان من اختلاف الألسنة والألوان، حتَّى لقد أصبح اللحنُ في الكلام يُعَدُّ لحنًا مردودًا وصار النطق بالعربية من المعايب معدودًا، وتنافس الناس في تصانيف الترجُمانات في اللغة الأعجمية، وتفاصحوا في غير اللغة العربية"[2].

يظهر من هذا التعريف أن ابن منظور جعل الهدف من تأليفه المعجم هو حفظ أصول اللغة العربية وحمايتها من اللحن.

ويمكن أن نستنتج أهمية المعاجم وفوائدها كما يلي:

- ✓ معرفة الضبط الصحيح للكلمة بحركاتها وتصريفاتها.
- ✓ الكشف عن معاني المفردات الغريبة والغامضة.
- ✓ معرفة أصل اللفظ، واشتقاقاته.
- ✓ التعرف على جميع دلالات اللفظ الواحد أو الألفاظ التي لها أكثر من دلالة فيجعلنا نتعرف على بعض الظواهر اللغوية، مثل: الاشتراك اللفظي والأضداد...
- ✓ معرفة الألفاظ الفصيحة، وتمييزها عن الألفاظ العامية.

---

[1] - جلال الدين السيوطي- الإتقان غي علوم القرآن- ص: 727.

[2] - ابن منظور- لسان العرب- ج1 - ص: 12- 13.

- ✓ معرفة تاريخ اللفظ وتطور دلالاته، و استعمالاته.
- ✓ معرفة الألفاظ والكلمات القديمة التي هجرها الاستعمال.
- ✓ معرفة معنى الكلمة وهي مفردة، ومعناها في السياق مع مثيلاتها من الكلمات.
- ✓ معرفة بعض الشواهد اللغوية، والنحوية، والصرفية، والبلاغية وكذلك الشواهد القرآنية والشعرية والنثرية وأصحابها.
- ✓ جعل اللغة قادرة على مواكبة العلوم والفنون، وذلك بإطلاق أسماء على المخترعات الجديدة من مخزون اللغة اللفظي؛ مثل: كلمة حاسوب وكلمة مذياع، وكلمة هاتف، وطابعة وغيرها من الألفاظ الجديدة.
- ✓ المحافظة على سلامة اللغة وحمايتها من الاندثار.

وتجدر الإشارة إلى أن النشاط المعجميّ اتّسع بمختلف أشكاله في اللغة العربية في عصرنا الحاضر؛ فاتّسع على مستوى فردي، بجهود علماء ولغويّين ومتخصّصين أمثال المنجد والمعجم والقاموس، وعلى مستوى المؤسسات في الأقطار العربية، مثل مجامع اللغة العربية، ومراكز البحوث، والهيئات العلمية، والجامعات، وعلى مستوى قومي، مثل المنظمات العربية المتخصّصة، والاتحادات المهنية العربية.

وكل هذه المعاجم والهيئات والمؤسسات العلمية هدفها خدمة القرّاء وأعني بهم الطلاب والكتّاب والأساتذة والمحامين والصحفيين والخطباء والوعاظ وأمثالهم، وبعبارة أخرى أولئك الذين يستخدمون اللغة في الكلام والكتابة، ويَمُدُّهم بمعلومات لغوية عن الكلمات والتعبيرات وعن معانيها واستعمالاتها ومجالاتها، وكذا التفريق بين صحيحها وخطئها وأفصحها...

كما أن الحاجة ماسة إلى استخدام المعجم في كل مراحل الدراسة فالتلميذ الصغير تقابله كلمات صعبة كثيرة يقف أمامها حائرا، والدرسُ كثيرا ما تصادفه كلمات غريبة تحتاج

إلي البحث والكشف عن مدلولاتها المختلفة، وإن تحديد مفهوم الكلمة يساعد علي وضوح الفكرة المتضمنة في العبارة، ويؤدي ذلك إلى الفهم العلمي السليم الذي يدفع بالمعرفة خطوات إلي الأمام.

المطلب الثالث: أهمية القراءات القرآنية في المعاجم

لقد وصل إلينا القرآن الكريم بعيداً عن أيّ زيغ أو تحريف، ومن هذا المنظور كان لزاماً على علماء اللغة والمعاجم والنّحو الحفاظ عليه من أيّ لحنٍ قد يأتيه من أولئك الذين اعتنقوا الإسلام من غير العرب، أو ممّن كان لاحتكاكهم بالشّعوب الأخرى أثر في لغتهم، فأصاب لسانهم لكنةٌ أبعدتهم عن الفصاحة.

ويجب ألاّ ننسى أنّ القرآن الكريم أحد السبيل الرئيسية للبحث في لغة العرب نثرها وشعرها؛ لتكون معينة على فهمه وتفسيره، وهو مع الوجوه المتعددة للقراءات وسيلة الاحتجاج التي يعتمدها النّحاة واللغويون في ضبط اللغة وتقعيدها، حيث إنّ الكثير من القرّاء أسّسوا قواعد اللغة العربية على ما جاء في القرآن، ولا عجب في ذلك فجلهمّ من النحاة؛ " فمن البصريين: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وعيسى ابن عمر الثقفي، وأبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن الكوفيين: علي بن حمزة الكسائي، ويحيى بن زياد الفرّاء"[1].

أضف إلى ذلك أن هناك صلةً قويّة بين القراءات القرآنية بأوجهها المتعدّدة،وبين الدراسات المعجمية واللغوية، النحوية منها والصرفية والبلاغية، حيث إنّ اللغة هي السبيل القويمة إلى فهم كتاب الله تعالى، ومعرفة دقائقه وخوافيه التي لا يَعْقِلُهَا إلاّ العلماء الذين اتجهوا إلى المحافظة على لغة القرآن الكريم بقراءاته المختلفة وما لهما من تراث؛ فشرعوا في وضع العلوم

[1] – د. مهدي المخزومي– مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو– دار الرائد العربي– بيروت– لبنان– ط3– 1986م– ص: 382.

اللغوية والأدبية خدمة لهما، فكان علم النحو، وعلم الصرف وعلوم اللغة الأخرى، لتقويم اللسان و ضبط اللغة وما يَعْرِض لها من أخطاء، ولا سيما أن العربية جعلت تحتك بلغة الأعاجم بعد الفتح، وأخذ يتسرب إلى بعض الناطقين بها شيء من عوارض اللحن، فجمعوا مفرداتها وتعبيراتها من ألسنة البدو، وجمعوا الشعر من رُواته، وأنشأوا علومَ النحو والصرف والبلاغة والعروض ومصطلح الحديث والقراءات والتفسير[1].

فاهتمام العلماء بوضع العلوم جعلهم يهتمون بجمع اللغة لاستنباط القواعد منها، وجمع اللغة دعا إلى جمع القرآن الكريم بقراءاته القرآنية المختلفة والحديث الشريف وكلام العرب المستشهد بهم ليتاح لعالم اللغة والأدب أن يستند في قواعده على شاهد ثابت موثّق.

وإذا كان المحققون من الفقهاء والقراء والأصوليين ينظرون إلى القراءات القرآنية باعتبارها وسيلة تعبُّد، وطريق تقرُّب إلى الله تعالى، وشرطًا من شروط صحة الصلاة، ومصدرًا للتشريع والتحريم والتحليل، فإن أصاحب المعاجم واللغويين نظروا إليها نظرة مغايرة؛ لأن هدفهم مختلف، وغايتهم من قبول القراءة ليست العبادة أو الصلاة بها، إنما هي مجرد إثبات حكم لغوي أو بلاغي، ولذا فقد وضعوا شرطًا واحدًا- كما ذكرنا سابقا- لصحة الاستدلال اللغوي بالقراءة، وهو صحة نقلها عن القارئ الثقة حتى ولو كان فردا، سواء رويت القراءة بطريق التواتر، أو الآحاد، وسواء كانت سبعية، أو عشرية، أو أكثر من ذلك[2].

والقراءة من زاوية الاستشهاد اللغوي تقعد نصا عربيّا رواه أو قرأ به مَن يوثق في عربيته، ولهذا فهي- حتى على فرض اختلاف العلماء في صحة التعبد والصلاة بها- تحقق الشرط اللغوي، وهو النقل عن العربي الثقة، حتى ولو كان فردًا.

---

[1] - ينظر الجاحظ- البيان والتبيين -ج: 1- ص: 99. وجلال الدين السيوطي - تحقيق: محمد علي منصور- المزهر في علوم اللغة والأدب- دار الكتب العلمية- لبنان- ط: 1- 1418هـ/1998م- ج : 2 - ص: 341.

[2] - ينظر: ابن جني- المحتسب- ج:1 - ص: 32.

كما أن إن جوهر الاختلاف بين العلماء يتمثل في اختلاف موقفهم في الاستشهاد بالصيغ والتراكيب والصرف والنحو، فأما المعجم فكان يعتمد على المعنى، وهو غير موضع للنزاع عند العلماء، لأن ما يتعلق بالشواهد في المعاني والبيان والبديع يُسْتَشْهَدُ عليها حتى بغير الموثوق بفصاحتهم، سواء أكانوا في عصر الاحتجاج أم في غيره، يقول صاحب خزانة الأدب:" علوم الأدب ستة: اللغة، والصرف، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع، والثلاثة الأُوَلُ لا يُستشهد عليها إلا بكلام العرب، دون الثلاثة الأخيرة، فإنه يُستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين؛ لأنها راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم؛ إذ هو أمر راجع إلى العقل"[1].

ويقول ابن جُني في الخصائص في معرضه عن الاستشهاد بشعر المتنبي: "...فإنَّ المعاني يتناهبها المولَّدون كما يتناهبها المتقدمون"[2]

ويقول أيضاً في المحتسب " فإن المعاني لا يرفعها تقدُّمٌ، ولا يُزْري بها تأخُّرٌ. فأما الألفاظ فلعمري أني هذا الموضع معتبر فيها، وأما المعاني ففائتة بأنفسها إلى مغرسها، وإذا جاز لأبي العباس أن يحتج بأبي تمام في اللغة كان الاحتجاج في المعاني بالمولَّد الآخر أشبه"[3].

فإذا أُخذت المعاني من شعر المولدين والمحدثين وغيرهم، كما مرَّ بنا، فمن باب أولى أخذ القراءات التي تواترت عن رجال، لا يقدح في فصاحتهم ولا علمهم، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ثم إلى جبريل عليه السلام ثم إلى رب العزة والجلال.

---

[1] – عبد القادر البغدادي – خزانة الأدب ج: 1 – ص: 29.

[2] – أبو الفتح عثمان بن جني – الخصائص – ج : 1 – ص: 24.

[3] – أبو الفتح عثمان بن جني – المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها – ج : 1 – ص:231. وينظر : جلال الدين السيوطي –المزهر في اللغة – ص: 29.

وإذا اعتبرنا أن هذه القراءات القرآنية بمثابة لهجات عربية نزل القرآن بها على سبيل التيسير على الأمة على وجه من وجوه معنى الأحرف السبعة، فإن هذه اللهجات لا يقدح في فصاحتها ولا تبعد من حيز الاستدلال والاستشهاد.

يقول ابنُ جني في الخصائص:" اللغاتُ على اختلافها كلُّها حجة، ألا ترى أن لغةَ الحجاز في إعمال ما، ولغةَ تميم في تَرْكِه، كلٌّ منهما يَقْبلهُ القياس، فليس لك أن تردّ إحدى اللغتين بصاحبتها، لأنها ليست أحقَّ بذلك من الأخرى، لكن غايةُ مَا لَك في ذلك أن تتخيَّر إحداهما فتقوِّيها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبلُ لها، وأشدُّ نسباً بها، فأما ردّ إحداهما بالأخرى فلا. ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآنُ بسبع لغاتٍ كلُّها شافٍ كافٍ ، هذا إذا كانت اللغتان في القياس سواء، أو متقاربتين، فإن قلّت إحداهما جـــدّاً، وكثرت الأخرى جداً أخذتَ بأوسعها رواية وأقواهما قياساً... فالواجبُ في مثل ذلك استعمالُ ما هو أقوى وأشيع، ومع ذلك لو استعمله إنسان لم يكن مُخْطِئاً لكلام العـــرب، فإن الناطق على قياس لغةٍ من لغات العرب مصيب غير مخطئ، لكنه مخطئ لأجود اللغتين، فإن احتاج لذلك في شعر أو سجع فإنه غير ملوم ولا منكَر عليه"[1].

فإذا كان ردّ لغة على حساب لغة أخرى غير ممكن في الاستدلال - إلا التفـــضيل- فالقراءات القرآنية لها المزية في عدم ردّ بعضها لمكانتها وقدسيتها.

ومن هذا يتضح لنا جليا أن وجود القراءات القرآنية في المعاجم كان القـــصد منـــه الاستدلال بها من كل النواحي اللغوية و المعنوية والبلاغية كإثبات وجود اللفظ في اللغـــة، أو ضبط نطقه، أو ذكر معناه، وغيرها. على ما سنبينه في ما يلي:

[1] - أبو الفتح عثمان بن جني - الخصائص - ج : 1 - ص: 24.

أولا: الناحية اللغوية.

لقد أورد علماء المعاجم القراءات القرآنية للاستشهاد بها من الناحية اللغوية أي للتدليل على صحة المعلومة اللغوية المقدمة في متن المعجم؛ فإذا وردت أي لفظة في قراءة من القراءات فاحكم على صحتها،وصحة معناها، على النحو الذي سأبينه في هذه الأمثلة:

✓ التدليل على صحة المفردة المذكورة في المعجم؛ كجواز توالي ساكنين في كلمة واحدة، وذلك نحو قراءة نافع لقوله تعالى:

(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) [1] بتسكين الياء الثانية من محياي2.

✓ الاستدلال على جواز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف فإن ذلك وإن كان سمجا في الشعر أيضا إلا أنه يتسامح فيه للضرورة الشعرية، والقراءة الدالة على ذلك قوله تعالى:

(وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ)[3]

برفع قتلُ على أنه نائب فاعل، ونصب أولادهم على المفعولية، وجر شركائِهم بالإضافة إلى قتل وهو من إضافة المصدر إلى فاعله، وهذه قراءة ابن عامر أحد القراء السبعة[4].

---

[1] – سورة الأنعام – الآية : 162.

[2] – أبو علي الحسن الفارسي– الحجة في القراء السبعة – تحقيق : بدر الدين قهواجي و بشير حويجاتي – دار المأمون للتراث – دمشق – سوريا– ط: 1 1407هـ/1987م – ج: 3 – ص: 440 . وينظر: أبو الفتح عثمان بن جني– الخصائص– ص: 27.

[3] – سورة الأنعام – الآية : 137.

[4] – أبو علي الحسن الفارسي– الحجة في القراء السبعة ج:3 – ص:410

وقد عارض بعض النحاة هذه القراءة، وبعض المفسرين أمثال الزمخشري الذي رد هذه القراءة حيث قال في الكشاف، متابعاً النحاة:" وأما قراءة ابن عامر (قَتْلُ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ) برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في الضرورات وهو الشعر، لكان سمجاً مردوداً، فكيف به في الكلام المنثور؟ فكيف به في القرآن الكريم المعجز بحسن نظمه وجزالته؟ والذي حمله - أي ابن عامر - على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء، ولو قرئ بجر الأولاد والشركاء، لكان الأولاد شركاءهم في أموالهم ولوجد في ذلك مندوحة عن هذا الانكباب[1].

ثانيا: الناحية المعنوية.

كثيراً ما كان اختلاف وجوه القراءة يؤدّي إلى اختلاف وجهات النظر في معاني اللفظ القرآني، وفق الوجه المختار، فمن القراء من وافق اختياره معنى اللفظ وأبقى عليه، ومنهم من خالف اختياره معنى اللفظ ووجه إلى معنى آخر غير الأول، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

✓ اختلاف القرّاء في قراءة قوله تعالى:

(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا)[2] فقرأتْهُ عامة قرّاء الأمصار فَرَقْنَاه بتخفيف الراء بمعنى أحكمناه وفصّلناه وبيّناه. وذكر عن ابن عباس أنّه كان يقرؤه بتشديد الراء (فرّقناه)، بمعنى نزّلناه شيئاً بعد شيء، آية بعد آية.

[1] - الزمخشري- الكشاف ج: 2 - ص: 54

[2] - سورة الإسراء- الآية :106.

قال الطبري:" وأولى القراءتين بالصواب عندنا القراءة الأولى، لأنها القراءة التي عليه الحُجة مجمعة، ولا يجوز خلافها فيما كانت عليه مجمعة من أمر الدين والقرآن"[1].

✓ اختلاف القراء في قراءة قوله تعالى: (آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ)[2] فمن قرأه بالمدّ آتوني جعله من الإعطاء، ومَنْ قرأه أُتوني جعله من المجيء، والوجه أن يكون ها هنا من الإعطاء لأنه لو أراد المجيء، لأتى معه بالباء، كما قال تعالى: (وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)[3].

إن اختلاف القراء في قراءة هذه الحروف وأشباهها، دفع أصحاب المعاجم إلى التماس معاني المفردات لدعم الوجه المختار، وتوجيهه، وتوضيحه، ممّا أدى بهم إلى أن يُسْهِموا في شرحِ مفرداتِ عدد غيرِ قليلٍ من مفردات القرآن.

من هنا يمكن القول أن القراءات القرآنية قد أدلت بحظ وافر في مجال التأليف المعجمي واللغوي وفي الغرض الرئيسي للمعاجم لما لها من أهمية في كثرة الألفاظ والعبارات وتنوع المعاني والدلالات.

المطلب الرابع: أهمية القراءات القرآنية الواردة في كتاب الأزهري.

بعد تتبعنا للقراءات القرآنية الموجودة في متن معجم تهذيب اللغة للأزهري -رحمه الله- ظهر لنا بجلاء ووضوح المكانة العلمية للكتاب من ناحية، والعصر الزاهر الذي عاش فيه المؤلف من ناحية أخرى، وكان هذا الزمن غنيا بكتب القراءات وتوجيهاتها وأصحابها، فلم تكن، القراءات في هذا الزمن، مضطربة وقليلة بالنحو الذي عُرِف وشاع فيما قبل، فلم يكن

---

[1] - الطبري - جامع البيان في تفسير القرآن - ج 15 - ص :178.

[2] - سورة الكهف- الآية :96.

[3] - سورة يوسف- الآية :93.

بعيدا عن زمن ابن مجاهد صاحب السبعة في القراءات في القرن الرابع الهجري، ومن علماء القراءات الذين سبقوه أو المعاصرين له الذين عاش معهم وأخذ عنهم أمثال: أبو عمرو بن العلاء،و أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، وقد ذكرهم الأزهري في مقدمة كتابه[1].

والذي يبدو من تصفح المعاجم اللفظيّة القديمة هو أنّ أصحابها لم يكن بينهم خلاف في الاحتجاج بالقرآن ولا بقراءاته المتعددة ومن هنا رأينا المعاجم اللفظيّة تحفل بهذين المصدرين، ويعدّ تهذيب اللغة من أبرز معاجم الألفاظ في هذا الجانب، فقد اعتنى بالشواهد القرآنية، والقراءات القرآنية عناية فائقة؛ ولا غرابة في ذلك فقد ربط الأزهريّ خاصّة وعلماء المعاجم واللغة عامّة بين فهم اللغة ومعرفة الكتاب العظيم والسنة الشريفة، يقول الأزهريّ:" نزل القرآن الكريم والمخاطبون به عرب أولو بيان فاضل وفهم بارع أنزله جل ذكره بلسانهم وصيغة كلامهم الذي نشأوا عليه وجبلوا على النطق به فتدربوا به يعرفون وجوه خطابه ويفهمون فنون نظامه ولا يحتاجون إلى تعلم مشكله وغريب ألفاظه حاجة المولدين الناشئين فيمن لا يعلم لسان العرب حتى يعلّمه ولا يفهم ضروبه وأمثاله، وطرقه وأساليبه يفهمها"[2].

ومما يبرز قيمة القراءات القرآنية في معجم الأزهري بعض الأمور أجملها في ما يلي:

- ✓ الكم الهائل من القراءات القرآنية التي تكاد توجد في كل باب من أبواب كتابه، فلا تجد في فصل من فصوله إلا واستشهد بوجه من وجوه القراءات أو شرح قراءة أو بيّن قاعدة نحوية أو صرفية.
- ✓ اعتماده على أصحاب القراءات المشهورين الذين كان لهم قدم راسخة في مجال القراءات وتوجيهها من كل النواحي.

[1] - ينظر: الأزهري - تهذيب اللغة - ج: 1 - ص: 18

[2] - المصدر نفسه- ج: 1 - ص: 4/3.

✓ - بعض العبارات المبثوثة في المعجم الدالة على أهمية القراءات القرآنية عند أبي منصور الزهري؛ ففي مادة* عثا * عند قوله تعالى:

(كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [1].

يقول الأزهري:" القرّاء كلهم قرءوه ولا تَعثوا بفتح التاء مِن عَثِى يَعْثى عُثُوّا ... وفيه لغتان أخريان لم يُقرأ بواحدة منهما عثا يعثو مثل سما يسمو، ولو جازت القراءة بهذه اللغة لقرئ ولا تَعْثُوا، بالضم، ولكن القراءة سنَّة، ولا يقرأ إلاّ بما قرأ به القراء..."[2]

ويقول في مادة*صدق*عند قوله تعالى:

(وآتوا النساء صَدُقاتهن نِحْلَةً)[3] " يجوز صُدَقاتِهنَّ بضم الصاد وفتح الدال ويجوز صُدُقاتهنَّ، ولا يقرأ من هذه اللغات إلا بما قرئ به لأن القراءة سُنَّةٌ"[4].

فالأزهري في هذين المثالين يذكر لغات لفظتي عثا وصدقاتهن من حيث لغات العرب ويبيّن ما جاءت به القراءة القرآنية ويركز على سنيّة القراءة ولا يُجوِّز في القرآن القراءةَ بغير ما قرأ به القرآن.

وإذا وافقت لغة العرب وجوه القراءة أشار إليها وبيّن عدم الفرق بينهما، من ذلك في لفظة كره؛ حيث ذكر فيها وجهين، بفتح الكاف وبضمها، وقال:" ولا أعلم ما بين الأحرف التي ضمها هؤلاء وبين التي فتحوها فرقا في العربية ولا في سنة تتبع"[5].

---

[1] - سورة البقرة- الآية: 60.

[2] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 3 ص: 150.

[3] - سورة النساء الآية: 04.

[4] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 8 ص: 356.

[5] - المصدر نفسه- ج: 6 ص: 13.

المبحث الثاني

منهج الأزهري في الاستشهاد بالآيات القرآنية والقراءات.

المطلب الأول: المنهج العام في عرض القراءات.

المطلب الثاني: طريقة إسناد القراءات لأصحابها

النوع الأول: قراءات منسوبة إلى أصحابها .

أ - ذكره لصاحب القراءة صراحة

ب - ذكره لصاحب القراءة كناية

ج - ذكره لأصحاب القراءة إبهاما

النوع الثانية: قراءات غير منسوبة لأصحابها

المطلب الثالث: منهجه في الاستشهاد بالقراءات وذكره الدلالات.

المبحث الثاني: منهج الأزهري في الاستشهاد بالآيات القرآنية والقراءات.

قد أكثر المصنف -رحمه الله- من الاستشهاد بالآيات و بالقراءات القرآنية، وسنعرض في هذا المبحث، بحول الله، منهجه في الاستشهاد بذلك ومستشهدين في الوقت نفسه ببعض ما جاء في صفحات كتابه.

ويمكن تقسيم هذا المنهج إلى ثلاث أقسام:

1- قسم عام اعتمد فيه منهجَ ذكرِ القراءات وغيرها بصفة عامة.

2- وقسم يتمثل في طريقة إسناده القراءة إلى أصاحبها وعزوها إلى قارئها.

3- وقسم يكمن في كيفية الاستشهاد بالآيات القرآنية وبالقراءات وإيراد معانيها وذكر دلالاتها.

ودونك التفصيل:

المطلب الأول: المنهج العام في عرض القراءات.

لقد اعتمد الأزهري- رحمه الله - منهجا عاما سار على نهجه في ما أورد من قراءات قرآنية وغيرها، سأجمله في النقط التالية:

أ – أنه يذكر كل قراءة في مكانها على حسب أبواب معجمه وهو الغالب، وقد يجمع ما في الكلمة من وجوه في الموضع الذي وردت فيه من القرآن الكريم، ويذكر الآيات القرآنية جميعها إذا وجدت فيها ألفاظا متشابهة، والأمثلة في هذا كثيرة، بل تكاد تكون الغالبة في كل استشهاداته، فنجده مثلا في مادة*عجب* يورد آيتين من القرآن الكريم حوتا كلمة من هذا الباب، باب (ع ج ب).

وهما قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[2]

فذكر-رحمه الله تعالى- الآيتين الكريمتين في باب واحد، مع ذكره القراءات المختلفة فيهما[3]. وربما ذكر ثلاث آيات أو أكثر على حسب ورود القراءات المختلف فيها والموجودة في الباب.

ب- وقد يعيد الآية الكريمة أكثر من مرة إذا وجدت فيها عدة قراءات لبعض كلماتها، فقد أعاد الآية الكريم:

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[4] مرتين، في باب *سكر*وفي باب *رأى* حيث بيّن اختلاف القراءات القرآنية في كل من كلمة(ترى) و(سكارى)؛ أما الأولى فذكر أنها قرأت بضم التاء وفتحها[5]، وأما الثانية فأورد أنها قرأت (سَكْرَى) بفتح السين وتسكين الكاف مع حذف الألف، و(سُكَارَى) بضم ففتح[6].

ج- من منهجه كذلك أنه يبين إجماع القراء على قراءة ما، ثم يبين ما يتوجب عليها من معان ودلالات، و بيان ذلك:

---

[1] - سورة الصافات - الآية: 12.

[2] - سورة ص - الآية 5.

[3] - ينظر : الأزهري - تهذيب اللغة- ج :1 - ص :186.

[4] - سورة الحج- الآية: 02.

[5] - ينظر : الأزهري - تهذيب اللغة- ج :15 - ص :325.

[6] - ينظر : الأزهري - تهذيب اللغة- ج :10 - ص :57.

قوله في مادة*عثا*:" القراء كلهم قرءوه ولا تَعثوا بفتح التاء من عَثِى يَعْثى عُثُوّا وهو أشدّ الفساد"[1] وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2] و كذا عند قوله تعالى:﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾[3] حيث قال الأزهري:"اجتمع القرّاء على فتح الراء لأن المعنى فمنها يركبون[4]".

فالأزهري في هذين المثالين بيّن أن القراءة مجمع عليها عند كل القراء. فتكون عند ذلك القراءةُ صحيحةً أو متواترة أو سباعية.

د- ومن منهجه كذلك في هذا الباب أنه يبيّن إجماع القرّاء في كلمة ما و يستثني بعضهم؛ كما فعل في قوله تعالى:﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ﴾[5] فذكر أن:"القرّاء كلهم على هذه القراءة، إلا ما رواه حسين الجعْفي عن أبي عمرو أنه قرأ هل أنتم مُطْلِعونِ-ساكنة الطاء مكسورة النون"[6]، وكذا قوله:" والقُرَّاء كلهم قرءوا: أيّها، ويأيها الناسُ، وأيها المؤمِنون، إلا ابن عامر فإنه يقول: أيُّهُ المؤمِنون"[7] بضم الهاء.

هـ- لا عجب أن لا نجد ما هو دارج عند علماء القراءات من لفظ السبعة أو العشرة أو الأربعة عشر أو الأخوان، أو الشيخان، أو الابنان، وغير ذلك، لأن أبا منصور وُجد قبل أن تستقر هذه الألفاظ عند علماء القراءات.

و- جمع الأزهري- رحمه الله - في هذا الكتاب مادة وفيرة من أقوال وآراء علماء اللغة والتفسير والفقه قبله في تعليل بعض القراءات القرآنية، مع الموازنة بينها عند الاختلاف.

---

[1] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج :3 - ص :150.

[2] - سورة البقرة- الآية : 60

[3] - سورة يس- الآية : 72.

[4] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج :10 - ص :219.

[5] - سورة الصافات - الآية : 54.

[6] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج :2 - ص :169.

[7] - المصدر نفسه- ج :6 - ص :496.

ومما يحمد له في هذا المجال أنه إذا نقل رأيا في تفسير الشاهد أرجعه لصاحبه أمانة للعلم وردا لأصحاب الفضل فضلهم. كما أنه نقل القراءات على كثير من العلماء، وتنوعت مصادر أخذه لها، فلم يكتفي في عرضه للقراءات وتوجيهها بكتب القراءات المعنية بجمعها وإنما تعدّاها إلى كتب اللغة والتفسير. ومن أولائك العلماء:

– **الفراء:** وهو أكثر العلماء ذكرا في معجم الأزهري، بل يكاد يذكره في كل استشهاداته إما في القراءات القرآنية أو في توجيهها؛

أما في أخذه القراءات عنه فقول المصنف:" وقال الفراء في قول الله جل وعز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[1] قرأها أهل المدينة بفتح النون، وذكر عن عاصم(نُصوحاً) بضم النون"[2].

فالملاحظ في هذا المثال أن الأزهري-رحمه الله- أخذ القراءة عن الفراء وهي فتح النون في نصوحا وهي قراءة أهل المدينة، وضمها وهي قراءة عاصم.

وأما في توجيه بعض القراءات نجد أن المصنف عندما ذكر قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[3] في مادة *عدل*وجّه القراءات الواردة فيها بقوله:" قال الفراء: من خفف فوجهه- والله أعلم- فصرفك إلى أيّ صورة شاء إما حسن وإما قبيح وإما طويل وإما قصير. ومن قرأ: فعدّلك فشدد- وهو أعجب الوجهين إلى الفراء وأجودهما في العربية- ومعناه جعلك مُعْتَدِلاً مُعْدَّلَ الخَلْق"[4].

فاعتمد في توجيه هذه القراءة على الفراء كما لاحظنا.

– أبو جعفر النحاس، الكسائي، ثعلب، أبو الحسن الأخفش، قطرب، أبو جعفر الزجاج، والمبرد...وغيره، فكان يورد الأزهري أقوال هؤلاء العلماء في ذكره القراءات

---

[1] – سورة التحريم – الآية : 8.

[2] – الأزهري- تهذيب اللغة- ج :4 – ص :250.

[3] – سورة الانفطار- الآية : 7

[4] – الأزهري- تهذيب اللغة- ج :2 – ص :212.

وتوجيهاتها وشرحها. والأمثلة كثيرة مبثوثة في كل معجمه. وهذا شيء طيب يحسب للمصنف إذ أنه بذلك أعطى كتابه صبغة علمية موثقة بالأدلة.

ز- لا يكتفي ـــ رحمه الله ـــ بنقل القراءات، ولكنه بناقش ما كان قابلاً للنقاش، كأن يختلف الصحابة أو التابعين في قراءة من القراءات، فينقل اختلافهم، ويرجّح ما يراه صحيحاً بالأدلة، ويَكْثُرُ هذا في كل معجمه. و قد يختار قراءة على قراءة؛ لكونها أسلم أو أصح أو أجود إعراباً، ومثال ذلك:

في مادة * نخر* عند قوله تعالى:(**أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَاخِرَةً**)[1]، قال المصنف:" وقرئ نخرة... وناخرة أجود الوجهين"[2].

في مادة *جمل* عند قوله تعالى: (**كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ**)[3]، قال الأزهري:" وروى عن عمر بن الخطاب أنه قرأ: (جِمالات). وهو أحب إليَّ.

ففي هذين المثالين فاضل الأزهري بين القراءتين وجعل أحداهما أفضل من الأخرى، إلا أن هذا التفاضل لم يكن على هوى متبع أو عن عدم دراية منه- رحمه الله- وإنما القياس عنده في تواترها وموافقتها لمصاحف الصحابة، أو مصاحف بعضهم، وفي جودتها من الناحية اللغوية والإعرابية.

ح- ومن منهجه في هذا أنه يبيّن، في بعض الأحيان، نوع القراءة، سواء أصحيحة كانت أو شاذة، ويبدي رأيه في بعض الأحيان عنها، من ذلك قوله:" وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ قول الله جلّ وعزّ (**وإنا لجميع حادرون**)[4]بالدال وقال مُؤدون بالكُرَاع والسِّلاح... والقراءة بالذال حاذِرون لا غير والدَّال شاذَّةٌ لا يجوز عندي القراءة بها[5].

---

[1] - سورة النازعات- الآية: 11.

[2] - ينظر - تهذيب اللغة- ج :7 - ص :345.

[3] - سورة المرسلات- الآية: 33.

[4] سورة الشعراء- الآية:56.

[5] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج :4 - ص :409.

وكذا عندما ذكر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[1] قال الأزهري:" وهي قراءة جميع القراء، إلا ما روى عن ابن عامر فإنه قرأه بالغدوة، وهي شاذة"[2].

فبيّن – رحمه الله – أن القراءة بالدال المهملة، حادرون، شاذة ولا يجوز القراءة بها. وأن قراءة ابن عامر بالغدوة بضم الغين وتسكين الدال قراءة شاذة كذالك؛ فلا يكتفي بنقل القراءات، ولكنه بناقش ما كان قابلاً للنقاش، كأن يختلف الصحابة أو التابعين في قراءة من القراءات، فينقل اختلافهم، ويرجّح ما يراه صحيحاً بالأدلة، ويَكْثُرُ هذا في كل معجمه.

ط– أشير في الأخير إلى أن المصنف – رحمه الله– في استشهاده بالقراءات كان يزودنا بالمعلومات التالية:

أ) الآية الكريمة

ب) القراءة القرآنية أو القراءات.

ت) صاحب القراءة

ث) معنى القراءة

ج) القضايا اللغوية و النحوية والصرفية، عند الاقتضاء

---

[1] – سورة الأنعام الآية: 52.

[2] – الأزهري – تهذيب اللغة– ج :8 ص :170.

المطلب الثاني: طريقة إسناد القراءات لأصحابها

اهتم أبو منصور الأزهري -رحمه الله- بذكر أسانيد القراءات إلى من تلقوها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أن الإسناد واتصاله من خصائص هذه الأمة، يأخذه الآخر عن الأول، كما أن من فوائده معرفة المتواتر من الآحاد والشاذ، قال الإمام ابن الجزري -رحمه الله- بعد ذكره أسانيد القراءات وطرقها : "وإنما ذكرت هذه الطرق , وإن كنت خرجت عن مقصود الكتاب، ليعلم مقدار علو الإسناد، وأنه كما قال يحي بن معين - رحمه الله- الإسناد العالي قربة إلى الله تعالى، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وروينا عنه أنه قيل له في مرض موته : ما تشتهي ؟ فقال : بيت خال ، وإسناد عال ، وقال أحمد بن حنبل الإسناد العالي سنة عمن سلف"[1].

اعتنى الأزهري بنسبة القراءات إلى أصحابها إلا أنه في بعض الأحيان لم يسندها لأصحابها و إنما تركها عارية من الإسناد، ومن هذا المنطلق و بالنظر والتأمل في القراءات التي أوردها الأزهري في معجمه من حيث إسنادها ونسبتها إلى أصحابها يمكننا أن نجعلها نوعين:

النوع الأول: قراءات منسوبة إلى أصحابها.

النوع الثاني: قراءات غير منسوبة إلى أصحابها.

وإليك تفصيل كل نوع على حدة:

[1] - ابن الجزري - النشر في القراءات العشر - ج: 1 - ص: 197.

النوع الأول: قراءات منسوبة إلى أصحابها.

قبل أن أبسط القول في هذا النوع لا بد أن أشير إلى أن المصنف- رحمه الله- سلك فيه طريقتين وهما:

أ- **الطريقة الأولى:** التصريح بمن نسبت إليه القراءة أولا ثم ذكر القراءة، وهي الأكثر ورودا في كتابه، فعندما يريد أن ينسب القراءة لصاحبها يبدأ بذكر القارئ ثم يذكر القراءة، فيقول قرأ فلان أو فلان كذا...فيجعل رتبة أصحاب القراءة قبل القراءة.

ب- **الطريقة الثانية:** ذكر القراءة أولا ثم التصريح بمن قرأها، فعندما يذكر آية قرآنية يذكر القراءة أو القراءات التي قرئت بها ثم بردفها بذكر القارئ، فيقول مثلا بعد ذكر القراءة قرأها فلان وفلان، فيجعل مرتبة القراءة قبل القارئ أو صاحب القراءة.

وسأضرب لكل طريقة بعض الأمثلة:

فيما يخص الطريقة الأولى قوله في مادة (حض)" قرأ عاصم والأعمش: ﴿ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾[1] بالألف وفتح التاء"[2]

فقد ذكر - رحمه الله- القارئ أو صاحب القراءة وهما عاصم والأعمش ثم أردفه بذكر القراءة؛ فجعل مرتبة عاصم والأعمش قبل قراءتهما.

ومن ذلك أيضا قوله في مادة (رعى):"... ويصدّقها قراءة أُبي بن كعب. **(لا تقولوا راعونا)**[3] والعرب تقول: أرْعِنا سمعك، وراعنا سمعك بمعنى

---

[1] - سورة الفجر- الآية: 18.

[2] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج :3 - ص :397

[3] - سورة البقرة- الآية: 104

واحد"[1]. فبدأ بذكر صاحب القراءة وهو الصحابي الجليل أبي بن كعب ثم ذكر القراءة.

وكذلك قوله في مادة(حصن)عند قوله تعالى:

(فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ)[2]

قال الأزهري:" وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعبد الله بن عامر ويعقوب (فَإِذَا أُحْصِنَّ) بضم الألف"[3]؛ فجعل مرتبة صاحب القراءة قبل القراءة.

وفيما يخص الطريقة الثانية قوله في مادة(عقب):"...وقال الله جل وعز: (وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ)[4] هكذا قرأها مسروق وفسرها: فغنِمتُم"[5]

فقد قدم القراءة على صاحب القراءة وهو مسروق.

وفي قوله تعالى (إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ)[6] قال الأزهري" (غُرفة) قراءة عثمان رواه ابن عامر"[7]، فبدأ بقراءة غرفة بضم الغين ثم ذكر من انتسبت إليه القراءة وهو هنا عثمان.

وللمصنف- رحمه الله- في إيراده القراءات وإسنادها إلى أصحابها ثلاث حالات؛ إما أن يصرح باسمهم صراحة أو يذكره كناية أو أن يأتي بقراءات منسوبة لأصحابها مبهمة أسماؤهم. وسنفصل في ذلك بما يلي:

---

[1] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج :3 - ص :163/162

[2] - سورة النساء - الآية: 25

[3] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج :3 - ص :146/245.

[4] - سورة الممتحنة- الآية: 11.

[5] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج :1 - ص :275.

[6] - سورة البقرة- الآية: 249.

[7] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج :8 - ص :101

أ ـ ذكره لصاحب القراءة صراحة:

أي أنه يصرح – رحمه الله– باسم من أسندت إليه القراءة، سواء كان من الصحابة – رضوان الله عليهم– أو من القراء السبعة أو العشرة أو ما فوق العشرة أو من غيرها وسواء كانت القراءة متواترة أو شاذة أو من الآحاد، وسأذكر لذلك بعض الأمثلة:

▪ من الصحابة رضي الله عنهم:

عند استشهاد المؤلف بالقراءات القرآنية كان يبين القراءات المنسوبة للصحابة من ذلك ما جاء في مادة(عذر) عند قوله تعالى:

(وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ)[1]

قال الأزهري:" روى الضحاك عن ابن عباس أنه قرأ:

(وجاء المُعْذِرون من الأعراب)"[2]

فقد استشهد بقراءة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس.

ومن ذلك أيضا بعدما ذكر قول الله جل وعز: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ)[3] قال المصنف في مادة (درك):" وهي في قراءة أُبيٍّ (أَمْ تَدَارَكَ)"[4].

---

[1] – سورة التوبة– الآية: 90.

[2] – الأزهري – تهذيب اللغة– ج :2 – ص: 306.

[3] – سورة النمل – الآية: 66.

[4] – الأزهري – تهذيب اللغة– ج : 10 – ص:111.

ومن الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين اعتمد عليهم الأزهري في استشهاده بالقراءات القرآنية إضافة لما ذكرتُ: عبد الله بن مسعود، وعمر بن الخطاب، و عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، و زيد بن ثابت...

وقد ذكر من جملة استشهاداته قراءاتٍ لأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر- رضي الله عنها في أربعة مواطن من معجمه.

▪ من القراء السبع:

وهؤلاء القراء السبع[1] هم:

- ✓ عبد الله بن عامر اليحصبي الشّامي (ت 118هـ)
- ✓ عبد الله بن كثير الدَّاري المكي (ت120هـ).
- ✓ عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفي (ت127هـ).
- ✓ أبو عمرو بن العلاء البصري (ت154هـ).
- ✓ حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت156هـ).
- ✓ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (ت169هـ).
- ✓ أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي النحوي الكوفي (ت189هـ).

[1] - ينظر : أبو جعفر أحمد بن خلف الأنصاري- الإقناع في القراءات السبع- تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط:1 - 1419هـ/1999م- ص: من 20 إلى 86. و أحمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- تحقيق: أنس مهرة- دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان- ط/1 -1419هـ/1999م- ص:10/9. عبد الفتاح القاضي- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدري - ص:6 . وعبد الرحمن السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ص: 198.

والملاحظ في تهذيب اللغة أن صاحبه اعتمد اعتمادا كبيرا على هؤلاء القراء، وهذا ما سنلمسه في الفصل الثالث. أما عند ذكره لهم واختلاف قراءاتهم يتبع عدة طرق منها:

– أن يذكر القراء السبع دون غيرهم، وذلك عندما تكون القراءة سباعية*:

من ذلك قوله في مادة (ضعف): وقرأ عاصم وحمزة: ﴿عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾[1] و﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾[2] بفتح الضاد فيهما. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر الكسائي: من ضُعْفٍ وضُعْفاً بضم الضاد، وهما لغتان"[3].

فقد ذكر المصنف القراء السبعة دون غيرهم حيث بيّن اختلافهم حول كلمة ضعف رفعا وضما فبالرفع قرأ الخمسة منهم وهم:.

– أن يذكر القراء السّبع مع ذكر بعض القراء من الصحابة– رضي الله عنهم – من ذلك ما جاء في مادة (عجب)عند قوله تعالى:

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾[4]

قال في ذلك الأزهري:" قرأ حمزة والكسائي: ﴿بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ﴾ بضم التاء، وهكذا قرأ علي وابن عباس. وقرأ ابن كَثِير ونافع وابن عامر وعاصم وأبو عمرو: ﴿بل عجبت﴾ بنصب التاء"[5].

وهكذا نراه يذكر إلى جانب القراء السبع الصحابيين الجليلين – رحمهما الله– علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس.

---

* – أي من القراءات السبع.

[1] – سورة الأنفال– الآية : 66.

[2] – سورة الروم– الآية :54.

[3] – الأزهري– تهذيب اللغة – ج: 1 – ص: 482.

[4] – سورة الصافات الآية : 12.

[5] – الأزهري– تهذيب اللغة – ج: 1 – ص:386.

– وتارة يكتفي بذكر بعض السبعة عند ذكره اختلاف القراءة من ذلك ما ذكر في مادة(طلع) عند قوله تعالى:

(سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)[1]

قال الأزهري:"... فإن الكسائي قرأها: (سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلِعِ الْفَجْرِ) بكسر اللام"[2]، فذكر واحدا فقط من القراء السبعة وهو علي بن حمزة الكسائي.

ومن ذلك أيضا في مادة (رهن) عندما ذكر قوله تعالى: (فَرُهُنٌ مَقْبُوضَةٌ)[3]

قال رحمه الله:" ...وقرأ أبو عمرو، وابن كثير: (فرُهن)"[4]، فذكر من القراء السبعة اثنين وهما أبو عمرو بن العلاء وابن كثير.

▪ من الثلاثة المكملة للعشرة:

والمقصود بذلك القراء الذين ذُكروا بعد القرّاء السبع المشهورين، وهم الثامن والتاسع والعاشر[5]. واتفق العلماء المحقّقون على أنَّ هذه القراءات العشر قراءاتٌ متواترةٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتّى إنّهم أثبتُوا تواترها بذكر طبقات رواتها[6].

---

[1] – سورة القدر– الآية : 5.

[2] – الأزهري– تهذيب اللغة – ج: 2 – ص: 168.

[3] – سورة البقرة– الآية: 283.

[4] – الأزهري– تهذيب اللغة – ج: 6 ص: 174.

[5] – عبد الفتاح القاضي– البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدري– ص: 6.

[6] – ينظر: ابن الجزري– نجد المقرئين ومرشد الطالبين– ص: 48. ود.نور الدين عتر – القرآن الكريم والدراسات الأدبية– ص: 128.

وهؤلاء القراء الثلاثة هم:

- ✓ يزيد بن القعقاع المدني (ت130هـ).
- ✓ يعقوب بن إسحاق الحضرمي الكوفي (ت205هـ).
- ✓ خلف بن هشام البزار (ت229هـ).

وقد ذكرهم ابن الجزري- رحمه الله- في كتابه شرح طيبة النشر بقوله[1]:

ثم أبو جعفر المدني الرضى *** فعنه عيسى وابن جماز مضى

تاسعهم يعقوب وهو الحضرمي *** له رويس ثم روح ينتمي

والعاشر البزار وهو خلف *** إسحاق مع إدريس عنه يعرف

ومن الأمثلة على اعتماد المصنف- رحمه الله- على هؤلاء نجد في مادة *بعد* عند قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[2]

يقول الأزهري:" وقرأ يعقوب الحضرمي:(ربُّنا باعدَ) بالنصب على الخبر"[3]، ومن ما جاء في مادة*عذر* عندما ذكر قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾[4] حيث قال:"وقرأ يعقوب الحضرمي وحده: (وجاء المُعْذِرون)ساكنة العين[5]، أي أن يعقوب بن إسحاق الحضرمي تفرد بهذه القراءة.

---

[1] - ابن الجزري - شرح طيبة النشر- ص: 13/12.

[2] - سورة سبأ- الآية :19.

[3] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 2 - ص: 246.

[4] - سورة التوبة- الآية : 90.

[5] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 2 - ص: 306.

ومما ذكر من قراءة أبي جعفر يزيد القعقاع قوله في مادة *وقت*:" ...وقرأها أبو جعفر المدني: (وُقِتَتْ) خفيفة بالواو"[1] وذلك في قوله تعالى :(وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ)[2]

ولم أعثر في ما استشهد به المصنف من قراءة خلف بن هشام صاحب القراءة العاشرة.

▪ ما فوق العشرة:

والمقصود بذلك القراء المذكورون في المترلة ما بعد القراءات العشرة،وهي قراءات شاذة على حسب أقوال العلماء[3]، وقد جعلها بعضهم أربعة، وتلقب مع ما قبلها بالقراءات الأربعة عشر، وهم[4]:

- ✓ ابن محيصن محمد بن عبد الرحمن المكي.
- ✓ واليزيدي يحي ابن المبارك.
- ✓ الحسن البصري.
- ✓ الأعمش سليمان بن مهران

وسأذكر بعض الأمثلة على ما ذهب به من الشواهد من هؤلاء القراء:

في مادة *نشأ* في قول الله جل وعز:

(ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ)[5]

---

[1] - المصدر نفسه - ج: 9 - ص: 256.

[2] - سورة المرسلات- الآية: 11.

[3] - من العلماء من جعل ما فوق السابعة شاذة ومنهم من عد الشاذ ما فوق العشرة. ينظر: عبد الرحمن السيوطي - شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجومع- ج:1- ص: 153/152.

[4] - ينظر: أحمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:10. و محمد عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- ج:1 - ص:288.

[5] - سورة العنكبوت- الآية: 20.

قال:" القُراء مجتمعون على جزم الشين، وقصرها إلا الحسن البصري، فإنه مَدَّها في كل القرآن، فقال:(النَّشاءة)[1]

فقد ذكر أن الحسن البصري، وهو من أصحاب القراءات الأربعة عشر، تفرد بقراءة المدّ في كلمة النشأة.

في مادة *زف* عند قوله قال الله تعالى:

(فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ)[2].

قال:" ...وقرأها الأعمش (يُزَفُّون) كأنه من أَزَفَّت"[3]

ومن منهجه في هذا أنه يذكر القراءة ويعزوها إلى أصحابها من غير ترتيب فيهم فيذكر مثلا الصحابة- رضوان الله عليهم- مع القراء السبع مع غيرهما من القراء الآخرين، ومن الأمثلة على ذلك:

في مادة *طوى* في قوله عز و جل:

(إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)[4]

قال:" قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب الحضرمي (طُوَى)"[5].

فقد ذكر من القراء السبعة وهم ابن كثيرو نافع أبو عمرو بن العلاء، ومن الثلاثة المتممة للعشرة ذكر يعقوب بن إسحاق الحضرمي.

وقال في مادة *ناش*في قوله تعالى:

---

[1] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 11 ص: 418.

[2] - سورة الصافات- الآية: 94.

[3] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 13 ص: 149.

[4] - سورة طه - الآية :12.

[5] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 14 ص: 48.

(وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ)[1].

يقول الأزهري:" ... وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي: التناوش بالهمز يجعلونه من نَأشْتُ وهو البطء". فقد ذكر من القراء الأربعة عشر الأعمش مع بعض القراء السبعة وهما حمزة بن حبيب وعلي بن حمزة الكسائي.

▪ من غير القراء الأربعة عشر:

لقد أورد المصنف- رحمه الله- في استشهاده بعضَ القراءات المنسوبة لغير الصحابة ولغير القرّاء الأربعة العشر، أمثال:

- ✓ **يحيى ابن وثابٍ الأسدي**، وقد ذكر له أربع قراءات، منها ما أورد في مادة *جذ* عند قوله تعالى: (فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ)[2] قال الأزهري رحمه الله :" " قرأها الناس: جُذَاذاً، وقرأها يحيى بن وثاب: جِذَاذاً"3.
- ✓ وكذلك نجد **عبد الله بن أبي إسحاق**، وقد ذُكِرَتْ له قراءة واحدة.
- ✓ **وشيبة بن نصاح** بأربعة قراءات مع غيره من القراء.
- ✓ **وحميد الأعرج** بثلاث قراءات.
- ✓ **وأبا عبد الرحمن السُلَميّ** بثلاث قراءات كذالك.

---

[1] - سورة سبأ - الآية:52

[2] - سورة الأنبياء- الآية:58.

[3] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 10 - ص: 324.

كما ذكر بعض الفقهاء، وذلك في المسائل الفقهية، حيث بيّن أن الشافعي- رحمه الله- كان يقرأ قوله تعالى قال الله تعالى:

(وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)[1] بالنصب[2](وأرجلكم)

يقول الشافعي في ذلك:" ونحن نقرؤها وأرجلكم على معنى: اغسلوا وجوهَكم وأيديَكم وأرجلَكم وامسحوا برؤوسِكم"[3]. أي على عطف أرجلكم على وجوهكم وأيديكم.

ب - ذكره لصاحب القراءة كناية:

الأزهري في بعض الأحيان لا يذكر صاحب القراءة باسمه صراحة وإنا يأتي باسمٍ عرف به القارئ أو صفةٍ اتصف بها أو نسبةٍ انتسب أليها وعرف بها، وهذه الطريقة تعتبر قليلة في كتابه مقارنة مع الأولى، ومن ذلك:

- ✓ استعماله لفظة الكوفيين للدلالة على قراء الكوفة وهم الكسائي وحمزة بن حبيب الزيات وعاصم بن النجود. وغرهم[4].
- ✓ استعماله لفظة المدنيين والبصريين والمكيين كناية عن قرّاء المدينة والبصرة والكوفة[5].
- ✓ استعماله اسم الشهرة كلفظة الكسائي للدلالة على علي بن حمزة، وقيل له الكسائي من أجل أنه أحرم في كساء، أو أنه كان يتّشح بكساء ويجلس في مجلس حمزة، أو لأنه من قرية بَاكُسَايَا العراقية[6].

---

[1] - سورة المائدة - الآية: 6

[2] - ينظر: الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 1- ص: 324.

[3] - محمد بن إدريس الشافعي- الأم - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- لبنان ط:2 1403هـ/1983م- ج:1 - ص: 42.

[4] - المصدر نفسه: ج: 3 - ص: 141.

[5] - المصدر نفسه: ج: 15 - ص:.449

[6] - ينظر: أبو جعفر أحمد بن خلف الأنصاري - الإقناع في القراءات السبع- ص:86.

إن اعتماد المصنف- رحمه الله- الكناية في أسماء بعض القرّان يرجع ربما إلى تيقنه من أن القارئين كتابَه يعرفون هذه الكناية، أو أنها أشهر من اسمه كالكسائي مثلا الذي يعرف بها أكثر من اسمه علي بن حمزة.

ج - ذكره لأصحاب القراءة إبهاما:

وذلك باستعمال بعض الصيغ تدل على من قرأ القراءة دون التصريح باسمه أو الكناية عليه، فهي منسوبة إلى أصحابها ولكن أسماؤهم مبهمة فيها غموض. وتعد هذه الطريقة الأقل في عزوه للقراءات القرآنية إذ كان - رحمه الله - حريصا على رد القراءات لأصحابها.

ومن الصيغ التي استعملها المؤلف في ذلك: بعض، ناس، قوم، القراء، العامة، العوام. على النحو الذي سأورد من أمثلة في مواضع مختلفة من كتابه:

- قرأ الكسائي والناس: كما بَعِدت[1]. في قوله تعالى:

(كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)[2]

- وقرأ بعضهم: وعباقريّ حسان، أراد بعباقريّ جمع عبقريّ[3]. في قوله:

(مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ)[4]

- قرأ القرّاء الأول بالرفع والنصب[5].وذلك في قوله تعالى:

(قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ)[6].

- والعامة تقرأ: إلا صَحْية واحدة[7]. في قوله:

(إن كانت إلا زقية واحدة)[1]

---

[1] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 2- ص: 245.
[2] - سورة هود - الآية: 95
[3] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 3- ص: 293.
[4] - سورة الرحمن- الآية: 76.
[5] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 3 - ص: 376..
[6] - سورة ص- الآية: 84.
[7] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 9 - ص: 376

– قراءة العوّام: باعِدْ.[2] في قوله تعالى:

(فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)[3]

وبتتبع القراءات التي أبهم فيها المؤلف صاحب القراءة نجده يجمع في كثير من الأحيان بين الصيغ الدالة على الإبهام وبين التصريح على صورتين:

الصورة الأولى: أن يذكر بعضا ممن قرأ القراءة صراحة ويعطف البقية التي وافقته بصيغة الإبهام، ومن الأمثلة على ذلك قوله:" قرأ الكسائي والناس: كما بَعِدت[4] عند قوله تعالى:

(أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ)[5]

في هذا المثال ذكر المصنف صاحبَ القراءة باسمه صراحة ثم أورد صيغة الناس مبهمة لمن قرأ بتلك القراءة.

الصورة الثانية: أن يصرح بإحدى القراءات المختلف فيها باسم من قرأها ويبهم في الأخرى، تارة بتقديم الإبهام على الصراحة وتارة يعكس ذلك؛ أي أنه يصرح بالاسم في القراءة الأولى ويبهم في القراءة الثانية، من ذلك في قوله تعالى:

(فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ)[6]

---

[1] – سورة يس– الآية: 29.

[2] – الأزهري– تهذيب اللغة– ج: 2 – ص: 246

[3] – سورة سبأ – الآية: 19

[4] – الأزهري– تهذيب اللغة– ج: 2 – ص:245

[5] – سورة يونس– الآية: 95.

[6] – سورة الصافات– الآية: 94.

قال الأزهري:..قرأ الناس: (يَزِفُّونَ) بنصب الياء أي يسرعون. وقرأها الأعمش: يُزَفُّون[1]. فبدأ بذكر الاسم المبهم وهو الناس في القراءة الأولى ثم ذكر صاحب القراءة صراحةً في القراءة الثانية. كذلك قوله:"هكذا قرأه الحسن بالصاد وقرأته العامة فَقَبَضْتُ[2].

إشارة إلى قوله تعالى: (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ)[3]

نجده في هذا المثال يبدأ بمن نسبت إليه القراءة صراحة وهو الحسن البصري – رحمه الله– ثم يذكر صيغة الإبهام وهي العامة.

النوع الثانية: قراءات غير منسوبة لأصحابها:

المصنف– رحمه الله – في بعض الأحيان لا يذكر صاحب القراءة صراحة وكناية ولا إبهاما بصيغة من الصيغ السابقة، وإنما يضاهي في ذلك بعض المصنفين في إيراد القراءات المختلف فيها بكلام مجمل ذاكرين الخلاف في القراءة ومصدّرين ذلك بلفظة: قُرِئ، أو قُرِأت، ونحو ذلك[4]:

ومن الأمثلة المبينة لهذا النوع الذي ذكره المؤلف أورد بعض الأمثلة:

– في مادة *عقد* عند قوله تعالى: (وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ)[5] قال الأزهري:"و(عاقدَتْ أيمانكم) وقرئ: (عَقَّدت) بالتشديد[6]"

---

[1] – الأزهري– تهذيب اللغة– ج: 13 – ص: 149.

[2] – المصدر نفسه: ج: 8 – ص: 384.

[3] – سورة طه الآية: 96.

[4] – ينظر على سبيل المثال : معاني القرآن للفراء و كتاب العين للفراهيدي.

[5] – سورة النساء – الآية 23.

[6] – الأزهري– تهذيب اللغة– ج:1– ص: 198.

- في مادة *عجم* عند قوله تعالى:(لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)[1]

يقول صاحب المعجم:" يُقرأ (أأعجمي) بهمزتين، و يُقرأ (آعجمي) بهمزة واحدة بعدها همزة خفيفة تشبه الألف"[2].

- في مادة *تلو* بعد ذكره قوله تعالى:(أن تعدلوا وإن تلوُوا)[3] قال المصنف:" وأما قراءة من قرأ (وإن تلوا) بواو واحدة، ففيه وجهان أحدهما: أن أصله تلووا بواوين"[4].

– في مادة*كره* قال الأزهري:" واختلف القراء في فتح الكاف و ضمها"[5] إشارة إلى قوله تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ)[6]

وبالتأمل في هذه الأمثلة نلاحظ أنها غير منسوبة لأحد من القرّاء وأنها تحوي المتواتر والشاذ[7].

ويتضح من خلال تتبع بعض القراءات الغير منسوبة لأصحابها يتبين أن من بين أسباب عدم نسبة القراءة لأصحابها الاختصار وعدم التكرار، خاصة في المعاجم؛ لأن الهدف من وضع المعجم، بعد جمع اللغة، هو إظهار المعاني والدلالات من خلال هذه القراءات، وليس تتبع تلك القراءات، وهذا ما جعل الأزهري يتغاضى عن إسناد بعض القراءات وإن كانت قليلة في معجمه.

---

[1] – سورة فصلت – الآية: 44.

[2] – الأزهري– تهذيب اللغة– ج:1– ص: 390.

[3] – سورة النساء– الآية: 135.

[4] – الأزهري– تهذيب اللغة– ج:15 – ص: 462.

[5] – المصدر نفسه: ج: 6 – ص: 122.

[6] – سورة البقرة– الآية : 216.

[7] – ينظر: د.عبد الله الخطيب – معجم القراءات ج: 1 – ص: 297. وج: 2 – ص:173..

المطلب الثالث: منهجه في الاستشهاد بالقراءات وذكره الدلالات:

في البداية أشير إلى أن المصنف- رحمه الله - التزم بتبيان دلالات معظم القراءات التي أوردها إلا نزرا قليلا مبثوثة هنا وهناك من معجمه، كما أنه لم يلتزم في شرحه للقراءات القرآنية وذكره دلالاتها ومعانيها نهجاً واحداً، فكان يوجز أحيانا، نحو قوله:" من قرأها **(شَعَفَهَا حُباً)** فمعناه تيمها ومن قرأها: **(شَغَفَهَا)** قال: أصاب شغافها[1].

وأحيانا يتوسط في شرحه مستوفياً المعنى دون إيجاز مخل، أو إسهاب ممل، من ذلك قوله:" الإجماع: الإحكام والعزيمة على الشيء، تقول: أجمعت الخروج وأجمعت على الخروج... ومن قرأ **(فاجمعوا كيدكم)** فمعناه لا تدعوا من كيدكم شيئا إلا جئتم به[2].

وأحياناً يسهب في شرحه، ويستطرد في ذلك إلى ذكر تفسير الآية، وسبب نزولها، وأحاديث السلف فيها. وذكر إعرابها ومستشهدا كذالك ببعض الأشعار أو الأحاديث النبوية الشريفة حتى لا يتسرب الملل إلى قارئه. من ذلك عند استشهاده بقوله تعالى:(**فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ**)[3] فسّر هذه الآية بقوله:" أجمع المفسّرون على أنّ تأويل قوله (**ثم ليقطَعْ**) ثم ليختنق وهو محتاجٌ إلى شرحٍ يزيد في بيانه والمعنى والله أعلمُ من كان يظنُّ من الكفّار أنّ الله لا ينصُر محمداً حتّى يُظْهره على المِلل كلّها فليمُتْ غيظاً... والسَّبب الحبل يشدُّه المختنقُ إلى سَقْف بيته وسماءُ كلِّ شيءٍ سقفُه(**ثُمَّ لْيَقْطَعْ**) أي ليمدَّ الحبل مشدوداً على حَلْقه مدّاً شديداً يوتِّره حتَّى يقطع حياتَه ونَفْسَه خَنْقا"[4]

---

[1] - المصدر نفسه- ج :1 - ص :438.

[2] - المصدر نفسه- ج :1 - ص :397.

[3] - سورة الحج- الآية:15.

[4] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج: 3- ص:129.

نلاحظ أن المصنف أورد تفسير هذه الآية وبين شرحها لأنها تحتاج إلى بعض الشرح كما بيّن آنفا.

ويمكن إجمال منهج استشهاده بالقراءات وذكر دلالاتها فيما يلي:

أ – قد يسوق المصنف المعنى ثم يأتي بالآية ويذكر بعدها القراءة القرآنية شاهدا على ذلك المعنى أو غيره، وهذا المنهج هو الأكثر ورودا في استشهاداته القرآنية، والأمثلة على ذلك كثيرة:

من ذلك ما جاء في مادة (عز) قال الأزهري:" العزيز من صفات الله جلّ وعزّ وأسمائه الحسنى عز العزيز من صفات الله جلّ وعزّ وأسمائه الحسنى وقال أبو إسحاق بن السريّ العزيز في صفة الله تعالى الممتنع فلا يغلبه شيء وقال غيره هو القويّ الغالب على كلّ شيء وقيل هو الذي ليس كمثله شيء، وقال الله جل وعز: **(وعَزَّنِي فِي الخِطَابِ)**[1] معناه غلبني. وقرأ بعضهم **(وعازّني فِي الخِطَابِ)** أي غالبني[2].

فقد بدأ رحمه الله بذكر معنى عز في كلام العرب، حيث ذكر أن العزيز من أسماء الله تعالى واستشهد بالآية الكريمة على ذلك ثم أتى بالشاهد من القراءة القرآنية ليبين وجه الاختلاف في القراءتين بين عزّني وعازّني بألف و بدونها.

وكذلك قوله في مادة (طلع):" يقال طلعَت الشمسُ تطلُع طُلُوعاً ومَطْلعاً فهي طالِعَة وكذلك طلع الفجر والنجم والقمر والمطلِع الموضع الذي تطلع عليه الشمس وهو كقوله تعالى: **(حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا)**[3].

---

[1] – سورة ص الآية : 23

[2] – الأزهري – تهذيب اللغة– ج: 1ص:82

[3] – سورة الكهف الآية: 90.

وأمَّا قول الله جلّ وعزّ: **(سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)**[1] فإن الكسائي قرأها **(هي حتى مَطْلِعِ الفجر)**[2] بكسر اللام.

فبعدما بيّن بعضا من معاني كلمة طلع أتى بالشاهد من القرآن الكريم وبين اختلاف القراءة في لفظة مطلع بفتح اللام وكسرها.

ب – أحيانا يأتي بالشاهد من القرآن، ثم يذكر بعده القراءة القرآنية أو كل القراءات الواردة ثم يذكر المعنى: كقوله في مادة (شعف): " قال الله جلّ وعزّ: **(قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)**[3]. وقد قرئ الحرف بالعين والغين" ثم قال:" و من قرأها **(شَعَفَهَا حُبًّا)** فمعناه تيمها ومن قرأها: **(شَغَفَهَا)** قال: أصاب شغَافَها"[4].

وكما في قوله في مادة (عضد) :" وقال جل وعز: **(وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا)**[5] وقرئ: **(وما كُنتَ)**، أي ما كنت يا محمد لتتخذ المضلّين أنصارا، وعضُد الرجل أنصارُه وأعوانه والاعتضاد التقوِّي والاستعانة[6].

كذلك قوله في مادة(صعر): " قال الله جلّ وعزّ: **(ولا تصعّر خدّك للناس)**[7] وقرئ: **(ولا تصاعر)**.ومعناهما: الإعراض من الكبر

---

[1] – سورة القدر الآية: 5.
[2] – الأزهري – تهذيب اللغة – ج: 2ص: 168.
[3] – سورة يوسف – الآية 30.
[4] – الأزهري– تهذيب اللغة ج: 1 ص: 438.
[5] – سورة الكهف – الآية: 51.
[6] – الأزهري– تهذيب اللغة – ج: 1 ص:451.
[7] – سورة لقمان – الآية :18

وعلى ذلك المنهج قوله في مادة(ظعن) قال الله عزَّ وجلَّ: **(يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ)**[1] وقرئ: **(يوم ظعنكم)**. والظَعْن: سير البادية لنُجْعة أو حضور ماء أو طلب مَرْتَع أو تحوّل من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد. وقد ظعنوا يظعنون[2].

كما في قوله في باب (بعد) : " وقول الله جلّ وعزّ مخبراً عن قوم سبأ: **(فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)**[3]، قال الفرّاء: قراءة العوّام: باعِدْ. ويقرأ على الخبر: ربُّنا بَاعَدَ وبَعَّدَ. وبَعَّدْ جَزْمٌ. وقرئ **(رَبَّنَا بَعُد بين أسفارنا وبين أسفارنا)**. قال الزجّاج: من قرأ باعِدْ وبَعِّدْ فمعناهما واحد. وهو على جهة المسألة. ويكون المعنى: أنهم سئموا الراحة وبطروا النعمة، وقرأ يعقوب الحضرمي: ربُّنا باعدَ بالنصب على الخبر. وقرأ نافع وعاصم والكسائي وحمزة. باعد بالألف على الدعاء"[4].

في هذه الأمثلة السابقة نلاحظ أن المصنف- رحمه الله- بدأ بذكر الآية الكريمة وأتبعها بالقراءات الواردة فيه، ليقوم وفي الأخير بشرح كل قراءة من القراءات المختلفة ويبيّن دلالاتها.

ج – وقد يأتي بالآية ويتبعها بمعنى جديد لم يسبق ذكره من قبل ثم يذكر القراءة القرآنية: وذلك مثل قوله في مادة (عقب):" وقال الله جلّ وعزّ: **(وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ)**[5] هكذا قرأها مسروق وفسرها: فغنِمتُم، وقرأها حُميد: **(فعقّبتم)** وهو بمعنى عاقبتم"[6].

---

[1] – سورة النحل – الآية : 80.

[2] – الأزهري- تهذيب اللغة – ج: 2 – ص:300.

[3] – سورة سبأ – الآية : 19..

[4] – الأزهري- تهذيب اللغة – ج: 2 – ص:246.

[5] – سورة الممتحنة- الآية: 11

[6] – الأزهري – تهذيب اللغة – ج:1 ص: 275

ومثل قوله في مادة *جمع*: " قوله جل وعز: **(فأجمِعوا كيدكم ثم ائتوا صَفاً)** الإجماع:الإحكام والعزيمة على الشيء؛ تقول: أجمعت الخروج وأجمعت على الخروج. قال ومن قرأ: **(فاجمَعُوا كيدكم)** فمعناه لا تدعوا من كيدكم شيئا إلا جئتم به"[1].

كذلك قوله في مادة *بدع*:" وقول الله جلّ وعزّ: **(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)**2 أي خالقهما. وبديع من أسماء الله وهو البديع الأوّل قبل كل شئ ويجوز أن يكون من بَدَع الخَلْق أي بدأه، ويجوز أن يكون بمعنى مُبْدع...وقرئ **(بديعَ السموات والأرض)** بالنصب على وجه التعجب لما قال المشركون، على معنى بدْعاً ما قلتم وبديعاً اخترقتم، فنصبه على التعجب[3].

ومن ذلك في مادة * ينع* بعدما ذكر قوله تعالى: **(انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ)**[4]، قال الأزهري:" الينع: النُضْج. يقال يَنَع الشجر يَيْنَع يَنْعا، وقرئ:**(ويانعه)**"[5].

ففي هذه الأمثلة بدأ- رحمه الله- بآية كريمة ثم ذكر بعدها معنى جديدا لم يشر إليه من قبل ليذكر بعد ذلك القراءات القرآنية الموجودة في الآية السابقة.

د- قد يسوق الشاهد من القراءات القرآنية للتدليل على صحة ما ذهب إليه من إيراد معنى لغوي

---

[1] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج: 1- ص: 397.

[2] - سورة البقرة- الآية: 117

[3] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج: 2- ص: 242/241.

[4] - سورة الأنعام- الآية: 99.

[5] - الأزهري - تهذيب اللغة- ج: 3- ص: 221.

هـ- قد يعلق على الشاهد من القراءات القرآنية صرفيا أو نحويا، من ذلك في مادة*عاش* (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ)[1] يقول المصنف:" فيحتمل أن يكون:ما يعيشون به، ويمكن أن يكون الوُصْلة إلى ما يعيشون به، قال ذلك أبو إسحاق، قال: وأكثر القراء على ترك الهمز في معايش،إلا ما رُوى عن نافع أنه همزها، والنحويّون على أن همزها خطأ، وذكروا أن الهمزة إنما تكون في هذه الياء، إذا كانت زائدة، نحو صحيفة وصحائف، فأمّا معايش فمن العيش، الياء أصلية"[2].

بعد إيراده قراءةَ نافع- رحمه الله- وهي همز معايش، علّق المصنف عليها بذكر قول النحويين أن همزها خطأ؛ لأن الهمزة إذا كانت زائدة فجمع كلمتها تكون همزة كذلك، والملاحظ أن نافع من القراء السبعة، ومن ذكاء المصنف أنه نسب هذا التعليق للنحويين.

وفي مادة *طاع* بعد ذكره الآية:(فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ)[3] وبعدما ذكر قراءة حمزة الزيّات (اسْطَّاعوا) بإدغام الطاء والجمع بين ساكنين، قال الأزهري:" من قرأ بهذه القراءة فهو لاحِنٌ مخطئ زعم ذلك الخليل يونس وسيبويه وجميع مَن يقول بقولهم وحجَّتهم في ذلك أن السين ساكنة وإذا أدغمت التاء في الطاء صارت طاء ساكنة ولا يجمع بين ساكنين"[4].

و- قد يجئ بالشاهد للاستشهاد على أمر نحوي ومن الأمثلة على ذلك:

- قرئ (فيسبوا الله عَدُوًّا) بفتح العين وهو هاهنا في معنى جماعة كأنه قال فيسبوا الله أعداء و (عَدُوّاً) منصوب على الحال في هذا القول[5].

---

[1] - سورة الأعراف- الآية: 10

[2] - الأزهري- تهذيب اللغة ج: 3 - ص: 60.

[3] - سورة الكهف- الآية: 97.

[4] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 3 - ص: 109.

[5] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 3 - ص: 105.

- قرئ قوله تعالى:(**قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[1] خالصة بالضم والفتح، وأمَّا إعرابُ (خالِصَةً) فهو على أنه خبر بعد خبر كما تقول زَيْدٌ عَاقل لبيب المعنى قُلْ هِيَ ثابتةٌ للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةٌ يوم القيامة ومن قرأ (**خَالِصَةً**) نصبه على الحال على أنَّ العاملَ في قوله (**فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا**) في تأويل الحال كأنك قلتَ قل هي ثابتةٌ للمؤمنين مستقرةً في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة[2].

- في قوله تعالى(**وإذ قال إبراهيم لأبيه آزَرَ**)[3] قال الأزهري :" يُقرأ بالنصب (**آزَرَ**)، ويقرأ بالضم (**آزَرُ**)، فمن نصب فموضع آزرَ خفض بدلاً من (**أبيه**) ومن قرأ (**آزَرُ**) بالضم فهو على النِّداء[4].

ز- قد يجئ بالشاهد للاستشهاد على قضية صرفية ومن الأمثلة على ذلك:

- في قوله تعالى:(**يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ**)[5] قال الأزهري:" ورُوى عن الحسن أنه قرأ (**يَخِطِّفُ**) بكسر الخاء، وتشديد الطاء مع الكسر.وقال بعضهم: (**يَخَطِّفُ**) بفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها. فمن قرأ: (**يَخَطِّفُ**) فالأصل يَخْتَطِفُ، فأُدْغِمَت التاءُ في الطاء، وأُلْقيتْ فَتْحَةُ التاء على الخاء. ومن قرأ (**يَخِطِّفُ**) كَسَر الخاء لسكونها وسُكون الطّاء، وهذا قول البَصْريين[6].

---

[1] - سورة الأعراف- الآية: 32.

[2] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 7 - ص: 137.

[3] - سورة الأنعام- الآية: 74.

[4] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 13 - ص: 248.

[5] - سورة البقرة- الآية: 20.

[6] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 7 - ص: 241.

- في قوله عز وجل: **(أن تعدلوا وإن تلووا)**[1] قال الأزهري:"وإن**(تلووا)** بواوين، من لوى الحاكم بقضيته، إذا دافع بها، وأما قراءة من قرأ **(وإن تلوا)**بواو واحدة، ففيه وجهان: أحدهما: أن أصله "تلووا" بواوين، فأبدل من الواو المضمومة همزة، فصارت تلْؤا، بإسكان اللام، ثم طُرحت الهمزة وطرحت حركتها على اللام، فصارت: تلُو، كما قيل في أَدوُر: أَدْؤر، ثم طرحت الهمزة، فقيل أدُر، والوجه الثاني أن يكون (تلوا) من الولاية لا من (الليّ) والمعنى أن تلوا الشهادة فتُقيموها وهذا كله صحيح في قول البصريّين[2].

ح- وقد يستشهد بالقراءة القرآنية على معنى مجازي على سبيل الاتساع كما فعل في مادة *حرق* عند قوله تعالى: **(ثم لنُحَرِّقَنَّه)**[3] حيث ذكر أنه تقرأ كذلك لنَحْرُقَنه بالضم، فالقراءة الأولى معناها لنحرقنه مرة بعد مرة، وأما القراءة الثانية فتأويلها لنبردنه بالمبرد[4].

ط- في بعض الأحيان يأتي بالقراءة القرآنية دليلا على معنى فقهي، ونلمس ذلك في قضية غسل الرجلين في الوضوء، وذلك في قوله تعالى: **(وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)**[5]. ، فبعدما ذكر القراءتين- في أرجلكم بالخفض والنصب- وشرحهما، انتصر لقضية الغسل وبين أن المَسْح على هذه القراءة كالغسْل، ومما يدلّ على أنه غَسْل أن المَسْح على الرِّجل لو كان مَسْحاً كمسْح الرأس لم يَجز تحديده إلى الكعبين6.

---

[1] - سورة النساء- الآية: 135.

[2] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 15 - ص: 462.

[3] - سورة طه الآية 98.

[4] - ينظر: الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 4 - ص: 44.

[5] - سورة المائدة- الآية: 6

[6] - ينظر: الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 1 - ص: 324 و ج:4 - ص: 351.

وهذه المسألة الفقهية مبسوطة في كتب الفقه والتفسير وعلوم القرآن[1]

ك- قد يورد المعنى التفسيري للشاهد من القراءات القرآنية، كما فعل في مادة *عصر*عند قوله تعالى: ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾2، قبل ذكره القراءات قال:" قال أكثر المفسرين: أي يعصرون الأعناب والزيت"3، وفي مادة*دك* عند قوله تعلى:" قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾4.ذكر أن المفسرين أن معنى دكّاء ساخ في الأرض فهو يذهب حتى الآن[5].

من المثالين يتضح أن المصنف استعان بالمفسرين و بكتبهم في بعض ما ذهب إليه في شرح القراءات القرآنية وهذا يدل من جهة أو من أخرى مدى ارتباط المعنى المعجمي للقراءة بالمعنى التفسيري لها.

وهكذا فلم يخلُ شاهد من القراءات القرآنية أورده المصنف- رحمه الله- من فائدة لغوية أو نحوية أو فقهية أو تفسيرية وغير ذلك، فتارة نجده اللغوي المحنك وتارة الفقيه الملهم وحينا المفسر العظيم، وهذا يدل على مثانة علم هذا الرجل وثبات قدمه ورسوخها في هذه المجالات.

---

[1] - ينظر على سبيل المثال: محمد بن جرير الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج : 10 - ص: 56. و محمد الحسن الآمدي- المسح في وضوء الرسول (صلى الله عليه وآله) دراسات مقارنة بين المذاهب الإسلامية- دار المصطفى (صلى الله عليه وآله) لأحياء التراث - ط:1 1420هـ/1999م- ص: 57.

2 - سورة يوسف- الآية: 49.

[3] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 2 - ص: 14.

[4] - سورة الكهف- الآية: 98.

[5] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 5 - ص: 58.

الفصل الثالث

دلالات شواهد القراءات القرآنية في التهذيب

على مستوى تنوع الحركات و وجوه الإعراب.

على مستوى تصريف الأفعال.

على مستوى الزيادة و النقصان.

على مستوى إبدال الحروف من الكلمة الواحدة.

الفصل الثالث:

دلالات شواهد القراءات القرآنية في التهذيب

تمهيد

لقد أكثر المصنف– رحمه الله– من الاستشهاد بالقراءات القرآنية في معجمه، فلا تجد بابا من أبوبه أو فصلا من فصوله، إلاّ وقد زينه بقراءة قرآنية،وبيّن المعنى منها، سواء أكان هذا المعنى جديدا غير المعنى الموجود في القراءة الأولى أم أنّ المعنى واحد فيهما.

ومن المعلوم أن الهدف الأساسي من الاختلاف في القراءات القرآنية هو التيسير على الأمة ورفع الحرج علها، في قراءة كلام ربّها سبحانه وتعالى، لكن إلى جانب ذلك الهدف احتوت القراءات القرآنية جوانب أخرى أعطت للنص القرآني تباينه وتميزه وعظمته وإعجازه.

ومن هذه الجوانب تعدد المعاني بتعدد القراءات؛ إذ أن كل قراءة زادت معنى جديدا لم توضحه القراءة الأخرى، وبذلك اتسعت المعاني باتساع القراءات.

وسوف أدلّل– في هذا الفصل– على ذلك بما سأستعرض من شواهد القراءات القرآنية في متن معجم التهذيب التي استعملها الأزهري للاستلال على المعاني الجديدة.

وبما أن الاختلاف– كما ذكرت في الفصل الأول– لا يخرج عن ثلاث أمور، فسأدرجها في سياق التطبيقات على هذا المعجم، دون أن أشير إلى ذلك وهذه الأمور الثلاثة في اختلاف المعاني والدلالات تكمن في:

1. **اختلاف اللفظ لا المعنى.**
2. **اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.**
3. **اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد لكن يتفقان من وجه آخر لا يقتضى التضاد.**

كما أن عدد أوجه الاختلاف في القراءات كثيرة ذكرها بعضها السيوطي في باب اختلاف الأقوال في نزول القرآن على سبعة أحرف، وأتى بقول كل عالم، وسأقتصر على ما ذكره الرازي بقوله رحمه الله:" الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف: الأول اختلاف

الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث، الثاني اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر، الثالث وجوه الإعراب،الرابع النقص والزيادة، الخامس التقديم والتـــأخير، السادس الإبدال، السابع اختلاف اللغات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإدغام والإظهار ونحو ذلك"1. وقد ذكرها مرتبة حسب المستويات التالية:

على مستوى تنوع الحركات و وجوه الإعراب.

على مستوى اختلاف أوزان الأسماء.

على مستوى تصريف الأفعال.

على مستوى الزيادة والنقصان.

على مستوى إبدال الحروف من الكلمة الواحدة.

على مستوى التقديم والتأخير.

على مستوى اختلاف اللغات.

إن مجمل ما استشهد به الأزهري من الشواهد القرآنية لا تخرج عن هذه المستويات ولا تخرج على أن تكون هذه القراءات جاءت بمعان جديدة، لم تكن في الأولى، أو أن المعنى واحد فيه، أو أن هذه القراءة أكدت المعنى الأول؛ وعلى هذا الأساس يمكن أن أقسم البحث إلى:

- **شواهد القراءات القرآنية ذات الدلالات الجديدة.**
- **شواهد القراءات القرآنية ذات المعنى الواحد.**
- **شواهد القراءات القرآنية المؤكدة للمعنى الأول.**

أما فيما يخصّ القسمين الثاني والثالث فلم أخض فيهما، لعدم وجود معاني جديدة فيهما، ولأن عملي في هذا الفصل هو البحث عن المعاني الحديدة لا أن أعدّد المعاني المتشابهة والمتكررة، لذلك رأيت أن أركز اهتمامي على القسم الأول وأقتصر عليه، وهو القراءات ذات الدلالات الجديدة، وأعتمد المستويات المذكورة آنفا والتي أقرّها الإمام الرازي.

وبعد تتبعي لشواهد القراءات التي أتى بها الأزهري لاحظت عدم وجود بعض المستويات في هذه الشواهد، كمـــــستوى اختلاف الأسماء مـــن حيث الجمع والتثنية

1 - ينظر: السيوطي- الإتقان في علوم القرآن- ج: 1- ص: 132.

والإفراد، ومستوى التقديم والـتأخير، ومستوى اختلاف اللغات. كما أني أعرضت صفحا عن بعض الشواهد وحللت بعض النماذج منها فقط، وذلك لكثرتها، واكتفيت بالإشارة إليها في الهامش. وأبقيت على المستويات الأخرى وبنيت بها كل جوانب الفصل، وهي:

- ✓ ***على مستوى تنوع الحركات و وجوه الإعراب.***
- ✓ ***على مستوى تصريف الأفعال.***
- ✓ ***على مستوى الزيادة والنقصان.***
- ✓ ***على مستوى إبدال الحروف من الكلمة الواحدة.***

وأما منهجي في هذا الفصل؛ فإنني قمت بجمع الآيات القرآنية الـتي استـشهد بهـا الأزهري وأتى بمعان جديدة لها، ثم رتبتها وفـق المستويات المذكورة سابقا، وأفردت كل آية في مبحث مستقل، ثم بيَّنت بعض نماذج القراءات الواردة فيها من حيث تنوع الحركـات أو الحروف، أو تغير الكلمات أو من حيث التقديم أو الـتأخير أو الزيادة أو النقصان ثم ذكرت بـعض آراء المفسرين وقـارنتها بقول الأزهري، وبعد ذلك أظهرت ما يؤديه تنوع القراءات في تفسير الآيات الكريمة من الدلالات الجديدة، وفي أحايين قليلة كنت أجمع بينهما وأستخرج العلاقة بينهما ما استطعت لذلك سبيلا، سائلا المولى الرشيد سبحانه وتعـالى رب العـرش المجيد، أن ييسر لي هذا العمل بجوده وكرمه، وأن يجعله خالصا لوجهه، و أن يهـدي كاتبـه وقارئه ومصححه والمشرف عليه إلى سواء السبيل.

المبحث الأول.

على مستوى تنوع الحركات و وجوه لإعراب.

المطلب الأول: على مستوى تنوع الحركات

المسألة الأولى: الاختلاف في الضم و الفتح

المسألة الثانية: الاختلاف في الضم و الكسر

المسألة الثالثة: الاختلاف في الفتح و الكسر

المسألة الرابعة : في الحركات و السكون

المسألة الخامسة : الاختلاف في عدة حركات.

المطلب الثاني: على مستوى العلامات الإعرابية

المسألة الأولى:في الرفع و النصب

المسألة الثانية: في النصب و الجر

المبحث الأول: على مستوى تنوع الحركات و وجوه الإعراب

المطلب الأول: على مستوى تنوع الحركات

المسألة الأولى: الاختلاف في الضم والفتح[1].

النموذج الأول:

1. الآيـــــة:

قال الله جل وعز: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ)[2].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى أوّبي، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو الذي سأبينه:

- قرأ الجمهور أَوِّبي بفتح الهمزة وتشديد الواو من التأويب وهو الترجيع.

- وقرأ ابن عباس والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق أوبي بضم الهمزة وسكون الواو أمر من الأوب وهو الرجوع[3].

3. أقول المفسرين:

تكاد تتفق مناهج المفسرين في بيان معنى هذه الآية الكريمة وإن تنوعت ألفاظهم بذلك، ولعلمهم أن معنى الآية الكريمة يعتمد على القراءات الواردة فيها راحوا يفسرون معنى أوِّبي وأوبي، وفي ذلك يقول الإمام الطبري:" يقول تعالى ذكره ولقد أعطينا داود منا فضلا وقلنا للجبال أوّبي معه سبحي معه إذا سبح، والتأويب عند العرب الرجوع ومبيت الرجل في

---

[1] - سأقوم بتحليل نموذجين فقط، وذلك لكثرة المسائل التي تطرق لها الأزهري في هذا الباب، أذكر منها: الزَّبور والزُّبور في قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) سورة الأنبياء الآية: 105، وسُلُفا وسَلَفا في قوله تعالى: (فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِّلْآخِرِينَ) سورة الزخرف الآية: 56.

[2] - سورة سبأ - الآية: 10.

[3] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 15- ص:607. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 22- ص:46.أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 7- ص: 262. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:458. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات- ج: 7- ص:240.

مترله وأهله... وقد كان بعضهم يقرؤه أوبي معه من آب يؤوب بمعنى تصرفي معه وتلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة "[1]

فأوّبي معناها سبحي ومعنى أوبي من آب يؤوب رجع، كما أن الطبري لا يستجيز هذه القراءة لأنه لم يقرأها الحجة كما يقول، ونجد بعض المفسرين يجمعون بين المعنيين، يقول الزمخشري:" وقرئ أوّبي وأوبي من والتأويب والأوب؛ أي رجّعي معه التسبيح أو ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه"[2].

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة و لم يخرج عما ذكره المفسرون قال-رحمه الله-:" فمن قرأ أَوِّبي معه معناه رَجِّعي معه التَّسْبيح ومن قرأ أُوبي معه فمعناه عُودي معه في التَّسبيح كلّما عاد فيه"[3].

فقد ذكر الأزهري في هذه الآية معنى أوّبي بالهمزة المفتوحة وتشديد الواو رجعي مع تسبيح داود، ومعنى أوبي من الفعل آب إذا رجع.

ولعلنا نستطيع الجمع بين القراءتين إذا قلنا أن تسبيح الجبال مع داود فيه نوع من الترجيع والعودة معه في هذا التسبيح.

النموذج الثاني:

1. الآيـــــة:

قال الله جل وعز: ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾[4].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القراء في أوجه الأداء في قوله (ثَمرٌ) بالنسبة لمستوى الحركات على وجهين هما:

- قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي ثُمُر بضم الثاء والميم.

---

1 - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 22- ص:75.

2 - الزمخشري- الكشاف - ج: 3- ص:85.

3 - الأزهري- تهذيب اللغة- ج:15 - ص: 607.

4 - سورة الكهف: الآية: 34/33.

- وقرأ وعاصم ثَمَر بفتح الثاء والميم [1].

3. أقوال المفسرين:

اختلف أهل التفسير في معنى الآية على حسب وجوه قراءة ثمر:

فالطبري أتى بمعنى كل قراءة؛ فأما القراءة بضم الثاء والميم فمعناها المال، فقال:" كان له ذهب وفضة وقالوا- أي الصحابة- ذلك هو الثُمُر لأنها أموال مثمرة يعني مكثرة"[2].

وأما على القراءة الثانية:" وكان له ثَمَر، بفتح الثاء والميم، بمعنى جمع الثمرة كما تُجمع الخشبة خَشَبا والقصبة قَصَبا.[3]

ووافقه على هذا التفسير كل من القرطبي وأبي حيان الأندلسي وابن كثير.[4]

4. توجيه القراءات:

قال الأزهري:" ما كان في القُرآن من ثُمُرٍ فهو مال وما كان من ثَمَر فهو الثِّمَار"[5]

فلم يخرج الأزهري- رحمه الله- في معنى ثمر لضم الثاء والميم أو فتحهما؛ فبضم الثاء والميم جمع ثمار وهو المال المثمر؛ وبفتحهما معناه الثمار، وهو الأصل، يعني ثمار الجنة أو البستان.

---

[1]- ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 264. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 6 - ص: 125. القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج:10- ص:403. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:290.
ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 5 - ص: 206.

[2] - الطبري– جامع البيان في تأويل القرآن-ج:15– ص: 245.

[3] - المصدر نفسه- ج:15– ص: 246.

[4] - ينظر: القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج:10- ص: 403. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 6 - ص: 125. وابن كثير – تفسير القرآن العظيم- ج:3– ص: 84.

[5] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج:15 - ص:84.

المسألة الثانية: الاختلاف في الضم والكسر[1]

1. الآيــة:

قال الله جل وعز:(قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[2].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى فصرهن، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو الذي سأبينه:

- قرأ حمزة وأبو جعفر ورويس والأعمش فصِرْهُنَّ بكسر الصاد.
- وقرأ الباقون بالضم[3]

3. أقول المفسرين:

دارت أقوال أكثر المفسرين في تأويل هذه الآية الكريمة على بيان معنى كل قراءة من القراءات ، بفتح الصاد و وكسرها:

يقول الطبري:" فصُرهن إليك بضم الصاد من قول القائل صرت إلى هذا الأمر إذا ملت إليه أصور صورا... فمعنى قوله فصرهن إليك اضممهن إليك ووجههن نحوك كما يقال صر وجهك إلي أي أقبل به إلي"[4].

ولم يخرج القرطبي عما أورده الطبري في معنى القراءتين إلا أنه بيّن القراءات الأخرى غير التي ذكرناها والموجودة في غير القراءات السبع[5].

وذكر أبو حيان القراءات الواردة في هذه الآية الكريمة وبَيَّن وجه كل قراءة فقال أبو حيان:" وإذا تؤول فصرهنّ بمعنى القطع...وتقديره وقطعهنّ واجعلهنّ أجزاءً، وعلى تفسير

---

[1]- هناتك نماذج لم أتطرق لها بالتحليل، في هذا الباب، منها سُخريا وسِخريا بضم السين وكسرها في قوله تعالى: (فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي) سورة المؤمنون الآية: 110.

[2] - سورة البقرة : الآية: 260.

[3] - ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 190. الأزهري- تهذيب اللغة- ج:12 - ص: 227. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:200

[4] - الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 3 – ص: 52.

[5] - القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 3- ص: 301.

فصرهنّ بمعنى أملهنّ وضمهنّ إلى نفسك فإنما كان ذلك ليتأمل أشكالها وهيئاتها وجلاها لئلا يلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك[1].

فلا خلاف عند المفسرين في معنى الآية، فصُرهن بالضم معناه أملهن إليك ووجـــههن، و بكسر الصاد أي قطعهن ومزقهن.

4. توجيه القراءات:

ذكر الأزهري معنى كل قراءة بعدما استشهد بالآية، قال رحمه الله:" يَصيرُ يميل وكلّهم فسَّروا فُصُرْهُن أَمِلْهُنَّ، وأما فَصِرْهنَّ بالكسر فإنَّه فُسِّر بمعنى قَطِّعْهن"2

فلم يخرج الأزهري عما أتى به المفسرون ، فمعنى فصرهن بالضم الميل، ومنه قول الشاعر:

اللّهُ يَعلَمُ أنّا فـي تَلَفُّـــتِنا	***	يَومَ الفِراقِ إلى أحبابِنا صُوَرُ[3]

ومعنى الكسر القطع أي فقطعهن. وحاصل القراءتين أنهما قراءتان لا تضاد في معنييهما، وقد جمع بينهم السيوطي بقوله:" فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك بكسر الصاد وضمها أملهن إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن ثم اجعل على كل جبل من جبال أرضك منهن جزءا ثم ادعهن إليك يأتينك سعيا سريعا"[4].

---

[1] – أبو حيان الأندلسي– البحر المحيط–ج: 2– ص:311

[2] – ينظر: الأزهري– تهذيب اللغة– ج:12 – ص: 227.

[3] – البيت لإبراهيم بن هرمة. والصور بصاد مهملة: جمع أصور، وهو المائل من الشوق من صور يصور صوراً بالتحريك: مال. وأصاره فانصار: أماله فمال. ينظر: عبد القادر البغدادي– خزانة الأدب– ج:4 – ص: 205.

[4] – السيوطي – تفسير الجلالين– ج: 1 – ص: 58.

المسألة الثالثة: الاختلاف في الفتح والكسر[1]:

النموذج الأول:

1. الآيـــــة:

قال الله جل وعز:(وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ)[2].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى (أيمان)، على مستوى تنوع الحركات على وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو الذي سأبينه:

- قرأ ابن كثير ونافع وحمزة و الكسائي وأبو عمرو وعاصم أَيمان بفتح الهمزة.
- قرأ ابن عامر وحده لا إيمان لهم بكسر الهمزة[3].

3. أقوال المفسرين:

بيّن المفسرون معنى الآية على حسب القراءات الواردة فيها،واجتمعوا على أيمان بفتح الألف معناها العهود، وإيمان بكسر الألف معناها الأيمان مصدر آمن[4]، يقول القرطبي:" لا أَيمان لهم أي لا عهود لهم أي ليست عهودهم صادقة يوفون بها وقرأ بن عامر لا إيمان لهم بكسر

---

[1]- سأقوم بتحليل نموذجين فقط، وذلك لكثرة المسائل التي تطرق لها الأزهري في هذا الباب، أذكر منها: مستنفَرة ومستنفِرة بفتح الفاء وكسرها في قوله تعالى:(كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ) سورة المدثر الآية: 50، ومسوَّمين ومسوِّمين في قوله تعالى:(يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ) سورة آل عمران الآية: 125، ومنشآت ومنشئات بفتح الشين وكسرها في قوله تعالى:(وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ). سورة الرحمن الآية: 24، ومنسَكا ومنسِكا بفتح السين وكسرها من قوله تعالى: (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكاً لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) سورة الحج الآية:34. وبرَق وبرِق بفتح الراء وكسرها من قول الله تعالى:(فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ) القيامة7 سورة القيامة الآية: 7. وقَرن وقِرن في قوله تعالى:(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) سورة الأحزاب- الآية: 33. ومستقَر ومستقِر بالفتح والكسر في قوله تعالى:(فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) الأنعام سورة الأنعام- الآية: 98.

[2] - سورة التوبة : الآية: 12.

[3]- ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 312. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 15- ص:88. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 5- ص: 15. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:302. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 3- ص:351.

[4] - ينظر: الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 15- ص:87. والزمخشري- الكشاف- ج: 02- ص:238. وأبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 5- ص: 17.

الهمزة من الإيمان أي لا إسلام لهم ويحتمل أن يكون مصدر آمنته إيمانا من الأمن الذي ضده الخوف أي لا يؤمنون من آمنته إيمانا أي أجرته"[1].

لعلنا نستشف من قول القرطبي هذا أن أيمان معناها العهود والمواثيق وإيمان بالكسر، ذكر- رحمه الله- معنيين لها؛ فالمعنى الأول تعني الإسلام، والثاني مصدر آمنه إيمانا من الأمن ضد الخوف.

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة و لم يخرج عما ذكره المفسرون قال-رحمه الله-:" فمن قرأ بكسر الألف فمعناه إنهم إذا أجارُوا وآمَنُوا المُسلمين لم يَفُوا وغَدَروا والإيمان هاهنا الإجارة والأمانة "[2].

فقد ذكر الأزهري في هذه الآية معنى إيمان بالكسر وفسر الإيمان بالإجارة والأمـــــانة، وبذلك نجده يخالف بعض المفسرين في معنى هذه القراءة، إلا أن سياق الآية يحتمل ما ذكره المفسرون وما ذكره الأزهري، والخلاصة أن أيمان بالفتح العهود والمـــــــواثيق، وبالكسر تحتمل الإسلام أو الأمن ضد الخوف أو ما ذكره الأزهري وهو الإجارة.

النموذج الثاني:

1. الآية:

قال الله جل وعز ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾[3].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القراء في أوجه الأداء في قوله (مُبَيِّنَاتٍ) على مستوى العـــــلامات الإعرابية، على وجهين، وقد ذكرهما الأزهري في معجمه، وبينهما أهل الاختصاص، وهما كما يلي:

---

[1] - القرطبي – الجامع لأحكام القرآن- ج: 8- ص:75.

[2] - ينظر الأزهري- تهذيب اللغة- ج:11 - ص: 74.

[3] - سورة النور: الآية: 34.

- قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بن عاصم مبيَّنات بفتح الياء المشددة وافقهم ابن محيصن.

- وقرأه ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم وكذا أبو جعفر ويعقوب مبيِّنات بكسر الياء[1].

3. أقوال المفسرين:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنى هذه الآية الكريمة على بيان معنى كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها؛ فهذا الطبري أتى بمعنى كل قراءة وشرح كل وجه؛ فذكر أن:" مبينات بفتح الياء بمعنى مفصلات وأن الله فصلهن وبينهن لعباده فهن مفصلات مبينات، وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة مبينات بكسر الياء بمعنى أن الآيات هن تبين الحقَ والصواب للناسَ وتهديهم إلى الحق"[2].

ولم يخرج الشنقيطي عما ذكره الطبري، في معنى مبيِّنات بالفتح وبالكسر:" فعلى قراءة من قرأ بفتح الياء فلا إشكال في الآية لأن الله بينها وأوضحها وعلى قراءة من قرأ مبينات بكسر الياء بصيغة اسم الفاعل ففي معنى الآية وجهان معروفان؛ أحدهما أن قوله مبيِّنات اسم فاعل بين المتعدية وعليه فالمفعول محذوف أي مبينات الأحكام والحدود والثاني أن قوله مبينات وصف من بين اللازمة وهو صفة مشبهة وعليه فالمعنى آيات مبينات أي بينات واضحات"[3].

والملاحظ من تعريف الشنقيطي أن معنى الكسر أنها بينت هـــي الأحكام والحـــدود، جعل الفعل لها على المجاز، والمعنى الثاني من الفعل بيَّن بمعنى تبيّن.

4. توجيه القراءات:

قال الأزهري:" مُبَيِّنَاتٍ بكسر الياء وتشديدها بمعنى مُتَبَيِّنات ومن قرأ مُبَيَّنات بفتح الياء فالمعنى إن الله بَيَّنها"[4].

---

[1]- ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 230. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 18 – ص: 134. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج:6 – ص: 453. القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج:19- ص:89. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:224. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 6 – ص: 265.

[2] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 29 – ص: 105.

[3] - الشنقيطي – أضواء البيان- ج: 5 – ص: 536.

[4] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج:15 -ص:496.

واستشهد للقراءة الثانية بالمثل:" قد بيّن الصبح لذي عينين"[1].

وفسر ابن خلويه في كتابه حجة القراءات السبع الفتحَ بأنها مفسرات، والكسر بمعنى مفصلات[2].

وأشار ابن زنجله إلى أوجه القراءة الواردة في هذه الآية الكريمة، واحتج لكل وجه حيث قال:" مبيَّنات بفتح الياء أي لا لبس فيها وحجتهم قوله (قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ)[3] والفعل مسند إلى الله فهي الآن مبينات بدلالة ما في التنزيل على صحة وجه إخراجهن مفعولات...ومبيِّنات بالكسر المعنى بين لـــكم الحلال من الحرام فهن الفـــاعلات، فأسندوا التبيين إلى الآيات[4].

وخلاصة القراءتين أن بالكسر الآيات هي التي تبين الأحكام، فهي فاعل وبالفتح اسم مفعول أي أن الله هو الذي يبينها.

---

[1] – ينظر : المصدر نفسه الجزء والصفحة.

[2] – ينظر: ابن خلويه – حجة القراءات السبع– ص: 121.

[3] – سورة آل عمران: الآية: 118.

[4] – ابن زنجلن حجة االقراءات – ض: 498.

المسألة الرابعة: في الحركات والتسكين

النموذج الأول:

1. الآيــة:

قال الله جل وعز: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)[1].

2. القراءات الواردة:

تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالى(نشر) من حيث الحركات والسكون على وجهين بَيّنَهما أهل الاختصاص على النحو الآتي:

- قرأ نافعٌ وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب، نُشُرا، بضم النون والشين جمع ناشر.

- وقرأ عبد الله وابن عباس وابن وثاب والنخعي وطلحة بن مصرف والأعمش ومسروق وابن عامر بضم النون وإسكان الشين، نُشْرا[2].

3. أقول المفسرين:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنى هذه الآية الكريمة على بيان معنى كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها، ويظهر ذلك جليا في أقوالهم:

فهاهو ابن جرير الطبري يفسر ذلك بقوله:" والنَشْر، بفتح النون وسكون الشين، في كلام العرب من الريّاح الطيبة اللينة الهبوب التي تنشئ السحاب، وكذلك كل ريح طيبة عندهم فهي نَشْرٌ"[3].

---

[1] - سورة الفرقان : الآية: 48.

[2] - ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 465. الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 11- ص:338. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 8- ص:209. القرطبي – الجامع لأحكام القرآن- ج: 7- ص: 229. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 4- ص: 420/419. ابن الزجري – النشر في القراءات العشر- ج: 2- ص:270. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:418. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 6- ص:361.

[3] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 8- ص:209.

ونرى البغوي لا يخرج عن هذا المعنى يقول[1]:" وقرأ حمزة والكسائي نَشرا بالنون وفتحها وهي الريح الطيبة اللينة قال الله تعالى:(وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا)[2]".

ونجد القرطبي كذالك يفسر الآية على حسب القراءات المتعددة فيقول رحمه الله:" نُشُرا، بضم النون والشين، جمع ناشر على معنى النسب أي ذات نشر فهو مثل شاهد وشهد ويجوز أن يكون جمع نشور كرسول ورسل يقال ريح النشور إذا أتت من ها هنا وها هنا"[3].

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون التي ذكرناها من قبل، يقول-رحمه الله-:" من قرأ: نَشْراً فمعناه إحياء بنشر السِّحاب الذي فيه حياة كلّ شيء، ومن قرأ: نُشْراً ونُشُرًا، فهو جمع نَشور، مثل: رسول، ورُسُل ورُسْل "[4].

ومنه قول امرئ القيس[5]:

كأن المدامَ وصوبَ الغمام ••• وريح الخزامى ونَشر القطر

والخلاصة أن فتح النون وإسكان الشين في نشرا هو مصدر نشر بعد الطي أو من أنشر الله الميت، فنشر أي عاش ونصب على الحال أي ناشرة أو ذات نشر كما تقول جاء ركضا أي راكضا، وأما من قرأ نُشُرا فهو جمع نَشُور مثل رَسُول ورُسُل.

---

[1] - البغوي- تفسير البغوي- ج: 2- ص:167.

[2] - سورة المرسلات : الآية: 03.

[3] - القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 7- ص:229.

[4] - ينظر الأزهري- تهذيب اللغة- ج:11 - ص: 338.

[5] - امرئ القيس- الديوان- ص: 75.

النموذج الثاني:

1. الآيـــــــة:

قال الله جل وعز:(وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ)[1].

2. القراءات الواردة:

أظهر علماء القراءات وجهين للفظة (غلف) على النحو التالي:

- قرأ الجمهور غُلْفٌ بالتسكين.
- وقرأ ابن عباس والأعرج وابن هرمز وابن محيصن غُلُفٌ بضم اللام وهي مروية عن أبي عمرو[2].

3. أقوال المفسرين:

اختلف أهل التفسير في معنى الآية على حسب وجوه قراءة غلف، فهذا الطبري يفسرها على حسب قراءاتها:" وقرأه بعضهم وقالوا قلوبنا غلف مثقلة اللام مضمومة فأما الذين قرءوها بسكون اللام وتخفيفها فإنهم تأولوها أنهم قالوا قلوبنا في أكنة وأغطية وغلف والغلف على قراءة هؤلاء جمع أغلف وهو الذي في غلاف وغطاء كما يقال للرجل الذي لم يختتن أغلف والمرأة غلفاء"[3]

وفسر الزمخشري ذاك أن قلوبهم:" خلقة وجبلة مغشاة بأغطية لا يتوصل إليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه، وأن الله خلق قلوبنا في أكنة لا يتوصل إليها شيء من الذكر والموعظة "[4] وذلك بقراءة التسكين.

ولم يخرج ابن كثير عن تلك الدلالة إلا في العبارة بقوله في قراءة ضم اللام" وهو جمع غلاف أي قلوبنا أوعية لكل علم فلا نحتاج إلى علمك"[5].

---

[1] - سورة البقرة: الآية: 88.

[2] - ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 164. الطبري- الجامع لأحكام القرآن الكريم- ج:1- ص:406. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 1- ص:301. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:184.

[3] - الطبري- الجامع لأحكام القرآن الكريم- ج:1- ص:408/407.

[4] -ينظر: الزمخشري- الكشاف- ج:1 - ص:219/190.

[5] - ابن كثير- تفسير القرآن العظيم- ج:1 - ص: 124.

4. توجيه القراءات:

من قرأ: غُلف، بالضم، فهو جمع غلاف، أي قلوبنا أوعية للعلم، كما أن الغلاف وعاء لما يوعى فيه، وإذا سكنت اللام كان جمع أغلف، وهو الذي لا يعي شيئاً، وسيف أغلف: إذا كان في غلاف، وجمعه غلْف[1].

ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم من حديث حذيفة بن اليمان: « **القُلوبُ أربعة فقلْبٌ أغلفُ فذاك قلب الكافر...** »[2]

وقد اختار الطبري القراءة بتسكين اللام بقوله:" والقراءة التي لا يجوز غيرها في قوله قلوبنا غلف هي قراءة من قرأ غلف بتسكين اللام؛ بمعنى أنها في أغشية وأغطية لاجتماع الحجة من القراء وأهل التأويل على صحتها"[3].

ولعل المعنى الذي يجمع بين القراءتين أن القلب المغلّف الذي يشبه الغلاف، يكون ذات خلقة متصفة بالستر والإغلاق. فهناك علاقة بين الاسم وهو الغلاف وبين الصفة وهي الأغلف.

---

[1] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج:8- ص:135.

[2] - جلال الدين السيوطي- الدر المنثور- ج:1- ص:315.

[3] - الطبري- الجامع لأحكام القرآن الكريم- ج:1- ص:408.

المسألة الخامسة: الاختلاف في عدة حركات.

النموذج الأول:

1. الآيـــــة:

قال الله جل وعز: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى تكلمهم، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو الذي سأبينه:

- قرأ الجمهور(تُكَلِّمُهُمْ) بضم التاء وفتح الكاف وتشديد اللاّم.

-وقرأ ابن عباس ومجاهد وابن جبير والحسن والجحدري(تَكْلِمُهُمْ) بفتح التاء وسكون الكاف ولام مخففة[2].

3. أقوال المفسرين:

أتى المفسرون بمعنى كل قراءة حوتها الآية؛ فعن القراءة الأولى بالتشديد وفتح الكاف هي من الكلام، وهو الحديث، فالدابّة تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية بلسان ذلق، فتقول أي تخاطبهم مخاطبة أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِأَيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأنّ خروجها من الآيات[3].

وبالنسبة للقراءة الثانية تكلمهم، بفتح التاء وتسكين الكاف معناها تجرحهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم[4].

---

[1] - سورة النمل : الآية: 82.

[2]- ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 204. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج:7- ص: 97. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:173. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 6- ص:558.

[3] - الزمخشري- الكشاف- ج: 3- ص:319. وينظر: ابن كثير تفسير القرآن العظيم-ج: 3- ص:375.

[4] - الزمخشري- الكشاف- ج: 3- ص:319.

4. توجيه القراءات:

لم يخرج الأزهري المعنى الذي ذكره المفسرون بقوله:" قرأ بعضهم تَكْلِمُهُمْ وفُسِّر تجرحهم والكلام: الجراح، وكذلك إن شُدِّدَ تُكَلِّمُهُم فذلك المعنى تجرِّحهم، وفُسر فقيل: تسمهم في وجوههم، تسم المؤمنين بنقطة بيضاء، فيبيض وجهه وتسم الكافر بنقطة سوداء فيسودُّ وجهه"[1].

فمعنى القراءة الأولى تكلمهم بضم التاء وتشديد اللام تخبرهم وتحدثهم، ومعنى القراءة الثانية تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام بمعنى تسمهم وتجرحهم.والقراءة الأولى هي التي اختارها الطبري[2].

والملاحظ من قول الأزهري أنه فسّر القراءة الأولى بتشديد الكاف بمعنى الجراح كالقراءة الثانية؛ فتكلّمهم تحتمل المعنيين،الكلام وهو الحديث، أو الكلم وهو الجرح.

النموذج الثاني:

1. الآيـــــة:

قال الله جل وعز:(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا)[3].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القراء في أوجه الأداء في قوله قبلا على وجهين على النحو الذي سأبينه:

- قرأ قُبُلا، بضم القاف والباء، عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف.
- وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ونافع ومجاهد بكسر القاف وفتح الباء[4].

---

[1] - ينظر الأزهري- تهذيب اللغة- ج:10 - ص: 264.

[2] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 20- ص:16.

[3] - سورة الكهف: الآية: 55.

[4] - ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 263/262. والطبري – جامع البيان في تأويل القرآن-ج:26– ص: 173 . أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 6- ص: 193. القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج:17 - ص:154. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:392. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 5- ص: 246/245.

3. أقوال المفسرين:

اختلف أهل التفسير في معنى الآية على حسب وجوه القراءة الواردة فيها، فأما القراءة بضم القاف والباء فقد فسرها محمد الأمين الشنقيطي بالقراءتين،" فأما على القراءة بضمتين جمع قبيل أي أنواعاً مختلفة يتلو بعضها بعضاً وعلى قراءة من قرأ قِبَلاً كعنب فمعناه عياناً أي أو يأتيهم العذاب عياناً وقد يكون معناها فجأة[1].

4. توجيه القراءات:

لم تختلف الدلالة اللغوية والدلالة التفسيرية لهذه الآية الكريمة، وهذا ما بينه الأزهري بعدما ذكر الآية، بقوله:" فمن قال قُبُلاً فهو جمع قَبيل المعنى ويأتيهم العذاب ضُروباً ومَن قرأ قِبَلاً فالمعنى أو يأتيهم العذاب معَاينَة [2].

وانتصاب قبلاً على الحال على كلتا القراءتين؛ فبالضم يكون معناه حالة كون العذاب أزواها وضروب، وعلى كسر القاف وفتح الباء معناه حالة كونه معاينة أمامكم.

[1] - ينظر: محمد الأمين الشنقيطي- ج: 3- ص: 503

[2] - ينظر الأزهري- تهذيب اللغة- ج:9 - ص: 164.

المطلب الثاني: على مستوى العلامات الإعرابية

المسألة الأولى: في الرفع والنصب

1. الآيـــــة:

قال الله جل وعز: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى(خَالِصَةً) من حيث العلامات الإعرابية، على وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو التالي:

- قرأ ابن عباس ونافع وبعض قراء المدينة خالصةٌ برفعها بمعنى قل هي خالصة للذين آمنوا.

- وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وعاصم وسائر قراء الأمصار خالصةً بنصبها على الحال[2].

3. أقوال المفسرين:

يكاد المفسرون يجتمعون على أن زينة اللّه من الثياب وكل ما يُتجمّل به وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرّزْقِ المستلذات من المآكل والمشارب يشترك فيها المشرك والمؤمن" لأنّ المشركين شركاؤهم فيها خَالِصَة لهم يوم الْقِيَامَة لا يشركهم فيها أحد فإن قلت هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة وأن الكفرة تبع لهم"[3].

وقال السيوطي في تفسير هذه الآية:" المشركون يشاركون المؤمنين في زهرة الدنيا وهي خالصة يوم القيامة للمؤمنين دون المشركين[4].

---

[1] - سورة الأعراف: الآية: 32.

[2] - ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 280. والطبري – جامع البيان في تأويل القرآن-ج:8- ص: 122. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 4- ص: 291. القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 7- ص:199. ابن الزجري – النشر في القراءات العشر- ج: 2- ص: 291. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:223. د. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 3- ص: 35.

[3] - الزمخشري- الكشاف- ج:2 - ص:97. وينظر:الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج:8- ص: 164 .

[4] - جمال الدين السيوطي- الدر النثور- ج: 3- ص: 447.

4. توجيه القراءات:

أمَّا القراءة خالِصَةٌ بالضم فهو على أنها خبر بعد خبر، كما تقول: زَيْدٌ عاقل لبيب. والمعنى: قُلْ هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا، خالصةٌ يوم القيامة. وأما خالصةً بالفتح نصب على الحال على أنَّ العامل في قوله: في الحياة الدُّنيا في تأويل الحال، كأنك قلت: قل هي ثابتةٌ للمؤمنين، مستقرةً في الحياة الدنيا، خالصةً يوم القيامة[1].

وقال القرطبي في ذالك:"وقرأ الباقون بالنصب على الحال والقطع لأن الكلام قد تم دونه ولا يجوز الوقف على هذه القراءة على الدنيا لأن ما بعده متعلق بقول للذين آمنوا حال منه بتقدير قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها لهم يوم القيامة[2].

يقول ابن خلويه:" يقرأ بالرفع والنصب فالحجة لمن قرأه بالرفع أنه أراد قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيامة والحجة لمن نصب أنه لما تم الكلام دونها نصبها على الحال[3].

والقراءتان مقتربتان من حيث الدلالة والمعنى إلا أن الاختلاف يرجع أساسا في العلامة الإعرابية فحسب والتي لها أثرها الدلالي، وقد فضّل الطبري القراءة بالنصب لإيثار العرب النصب في الفعل إذا تأخر بعد الاسم والصفة، وإن كان الرفع جائزا غير أن ذلك أكثر في كلامهم[4].

---

[1] - ينظر الأزهري- تهذيب اللغة- ج:7 -ص: 37.

[2] - القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج7: - ص:199.

[3] - ابن خلويه - الحجة في القراءات السبع- ص: 154.

[4] -الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج:8- ص: 164

المسألة الثانية: في النصب والجر

1. الآيـــــة:

قال الله جل وعز:(وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)[1].

2. القراءات الواردة:

- قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم وحمزة (وأرجلِكم) خفضاً.
- وقرأ والأعشى وأبو بكر عن عاصم، ويعقوب الحضرمي والكسائي ونافع وابن عامر(وأرجلَكم) نصباً، وهي قراءة ابن العباس[2].

3. أقوال المفسرين:

تنوعت مذاهب المفسرين في محاولة الكشف عن معنى هذه الآية الكريمة، فمنهم من فسَّر ظاهر أوجه القراءات المتواترة الواردة فيها، ومنهم من حاول الكشف عن حقيقة الألفاظ المأمور بها مستشهدا بأقوال أئمة التفسير السابقين لعهده. ومن ذلك قول الإمام الطبري– رحمه الله– في معنى القراءة بالنصب:" اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه جماعة من قراء الحجاز والعراق وأرجلكم إلى الكعبين نصبا، فتأويله إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برءوسكم وإذا قرئ كذلك كان من المؤخر الذي معناه التقديم وتكون الأرجل منصوبة عطفا على الأيدي وتأول قارئو ذلك كذلك أن الله جل ثناؤه إنما أمر عباده بغسل الأرجل دون المسح بها"[3].

أما فيما يخص القراءة بالخفض فإن الطبري يقول:" وقرأ ذلك آخرون من قراء الحجاز والعراق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم بخفض الأرجل وتأول قارئو ذلك كذلك أن الله إنما أمر عباده بمسح الأرجل في الوضوء دون غسلها وجعلوا الأرجل عطفا على الرأس فخفضوها لذلك"[4]

---

[1] – سورة المائدة– الآية: 6.

2 – الأزهري– تهذيب اللغة– ج: 1– ص:210. الطبري– جامع البيان في تأويل القرآن–ج:6– ص: 126. أبو حيان الأندلسي– البحر المحيط–ج: 1– ص: 509. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي– إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر– ص:198.

[3] – الطبري– جامع البيان في تأويل القرآن–ج:6– ص: 126

[1] – الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن– ج: 6 – ص: 128.

يفهم من قول الطبري هذا أن القراءة بالنصب معناها إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برءوسكم، فتكون الأرجل منصوبة عطفا على الأيدي. وأما قراءة الخفض فإن الله إنما أمر عباده بمسح الأرجل في الوضوء دون غسلها[1].

وذكر أبو حيان الأندلسي أن الجر معناه النصب على الحوار، قال:"وأرجلكم بالجر على أنه من الخفض على الجوار وأن أصله النصب فخفض عطفاً على الجوار"[2].

4. توجيه القراءات:

بين الأزهري دلالة القراءتين بقوله:" قال الله تعالى(**وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**)[3] ... (وأرجلِكم) خفضاً والأعشى عن أبي بكر بالنصب مثل حفص وقرأ يعقوب الحضرميّ والكسائيّ ونافع وابن عامر وَأَرْجُلَكُمْ نصباً وهي قراءة ابن عباس يردُّه على قوله(فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ) وكان الشافعي يقرأ بالنصب"[4]

الملاحظ من نص الأزهري السابق أن القراءة بالنصب عطفاً على وجوهكم وهي تقتضى غسل الأرجل، لعطفها على مغسول وهى الوجوه، وأما قراءة وأرجِلكم بالجر عطفاً على رءوسكم وهذه القراءة تقتضى مسح الأرجل، لعطفها على ممسوح وهو الرءوس. وفى ذلك إقرار لحكم المسح على الخفين.

وذكر الأزهري في موضع آخر من معجمه أن القرآن نزل بالمسح والسُّنَّة بالغسْل[5].

وبذلك صارت القراءتان هنا بمنزلة الآيتين إحداهما أثبتت مشروعية غسل الرجلين وهى قراءة النصب، والأخرى - وهى قراءة الخفض- أثبتت مشروعية المسح على الخفين.

---

[1] - الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 6 – ص: 128.

[3]- أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 1- ص: 509.

[3] - سورة المائدة- الآية: 6.

[4]- الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 1- ص:220.

[5] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 4- ص:305.

المبحث الثاني

على مستوى اختلاف تصريف الأفعال.

الاختلاف في إسناد الضمائر

الاختلاف في البناء للمعلوم والبناء للمجهول

الاختلاف بين الماضي والأمر

المبحث الثاني: على مستوى اختلاف تصريف الأفعال.

المطلب الأول: بين إسناد الضمائر.

النموذج الأول:

1. الآيـــــة:

قال الله جل وعز: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّن بَأْسِكُمْ﴾[1].

2. القراءات الواردة:

تنوعت أوجه القراءة الواردة في هذه الآية الكريمة في قوله تعالى تحصنكم من حيث تنوع الإسناد إلى الضمائر على ثلاثة أوجه بيَّنها أهل القراءات على النحو الآتي:

- قرأ ابن عامر وحفص وأبو جعفر يزيد بن القعقاع وافقهم الحسن بالتاء على التأنيث والفاعل يعود على الصنعة أو اللبوس.

- وقرأ أبو بكر ورويس وشيبة بن نصاح بنون العظمة لمناسبة وعلمناه

- وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر وحمزة والكسائي والأعمش بالياء والفاعل يعود على الله تعالى أو داود عليه السلام أو التعليم أو اللبوس[2].

3. أقوال المفسرين:

لعلم أهل التفسير بما للقراءات القرآنية الكريمة من عميق أثر في الكشف عن معاني الآيات الكريمة فإنهم لا يكادون يدعون آية تنوعت أوجه أدائها إلا حاولوا بيان معاني هذه الأوجه والجمع بينها. وهذا أمر جلي في أقوالهم.

ومن ذلك ما أورده الإمام الطبري– رحمه الله – في تفسير هذه الآية حيث ذكر القراءات الثلاثة وبين معناها انطلاقا من أقول من سبقه من العلماء والصحابة– رضي الله

---

[1] – سورة الأنبياء: الآية: 40.

[2] – ابن مجاهد – السبعة في القراءات– ص:552. الطبري– جامع البيان في تأويل القرآن– ج: 17 – ص: 41. الأزهري– تهذيب اللغة – ج: 4 – ص: 244. أبو حيان الأندلسي– البحر المحيط–ج:6 – ص: 322. القرطبي– الجامع لأحكام القرآن– ج: 11– ص:321. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي– إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر– ص:393. ود. عبد اللطيف الخطيب– معجم القراءات–ج: 6 – ص: 41/40.

عنهم- يقول الطبري:" واختلفت القراء في قراءة قوله لتحصنكم، فقرأ ذلك أكثر قراء الأمصار ليحصنكم، بالياء بمعنى ليحصنكم اللّبوس من بأسكم، ذكروه لتذكير اللبوس، وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع لتحصنكم بالتاء بمعنى لتحصنكم الصنعة فأنث لتأنيث الصنعة، وقرأ شيبة بن نصاح وعاصم بن أبي النجود لنحصنكم بالنون بمعنى لنحصنكم نحن من بأسكم"[1].

ويظهر ذلك أيضا فيما أورده الإمام القرطبي– رحمه الله- الذي تابع الإمام الطبري في بعض أقواله حيث قال في تفسير هذه الآية:" قرأ الحسن وأبو جعفر وبن عامر وحفص وروح لتحصنكم بالتاء ردا على الصنعة، وقيل على اللبوس والمنعة التي هي الدروع وقرأ شيبة وأبو بكر والمفضل ورويس وبن أبي إسحاق لنحصنكم بالنون لقوله تعالى:(وَعَلَّمْنَاهُ)، وقرأ الباقون بالياء جعلوا الفعل للبأس، أو يكون المعنى ليحصنكم الله[2].

الملاحظ من تفسير الطبري والقرطبي أن دلالات هذه القراءات كان على حسب تقدير الضمير الذي أسند إليه في الفعل؛ فبالتاء فردا على الصنعة، والياء ردّا على البأس، والقراءة بالنون ضمير العظمة لله عز وجل.

4. توجيه القراءات:

قال الأزهري بعد استشهاده بالآية الكريمة:"فمن قرأ لِيُحْصِنَكُم فالتذكير لِلَّبُوسِ، ومن قرأ لتُحْصِنَكُم ذهب إلى الصّنْعَة، وإن شئْتَ جعلتَه للدِّرْع لأنها هي اللَّبُوس، وهي مُؤَنَّثَة، ومعنى لِيُحْصِنَكُم لِيَمْنَعكُم ويُحْرِزَكُم، ومن قرأ لنُحْصِنَكُم بالنون فمعناه لنُحصِنَكم نحن، والفِعْل لله عزّ وجلّ"[3]

ولعل ما ذكره الأزهري لم يخرج عما ذكره المفسرون في بيان معنى تحصنون بقراءاتها المختلفة.

ولم يخرج ابن زنجلة كذلك عما ذكر الأزهري من المعاني:" قرأ ابن عامر وحفص لتحصنكم بالتاء أرادوا الدرع، والدرع تؤنث وتذكر، وقرأ أبو بكر لنحصنكم بالنون الله

---

[1] – الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج:24 – ص: 111. وينظر: الزمخشري – الكشاف- ج:1– ص: 532. الشنقيطي- أضواء البيان- ج:1 – ص: 240.

[2] – القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 11- ص:321.

[3] – الأزهري- تهذيب اللغة – ج: 4 – ص: 244.

جل وعز يخبر عن نفسه وقرأ الباقون ليحصنكم بالياء أي ليحصنكم الله مثل النون ويجوز ليحصنكم هذا اللبوس"[1]

فالقراءات تظهر المعنى مكتملا دون نقص، ولا تنفصل إحداهما عن الأخرى؛ فهي تعتبر كآيات قرآنية، وقد جمع بينها الطبري- رحمه الله- بعدما رجح القراءة بالياء بقوله:" وإن كانت القراءات الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني؛ وذلك أن الصنعة هي اللبوس، واللبوس هي الصنعة والله هو المحصن به من البأس وهو المحصن بتصيير الله إياه كذلك"[2].

وبذلك تكون هذه الآية الكريمة بَيَّنَت معانيها قراءاتُها، وهذا الكشف عن المعنى من كل جوانبه إن دل على شيء فإنما يدل على كمال بيان القرآن الكريم الذي لا يدرك شأوه مخلوق.

النموذج الثاني

1. الآيـــــــة:

قال الله جل وعز﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[3].

2. القراءات الواردة:

تنوعت أوجه القراءة الواردة في هذه الآية الكريمة في قوله تعالى يوقد من حيث تنوع الإسناد إلى الضمائر على ثلاثة أوجه بيَّنها أهل القراءات على النحو الآتي:

- فنافع وابن عامر وحفص بياء مضمومة مع إسكان الواو وتخفيف الفاء ورفع الدال على التذكير مبنيا للمفعول من أوقد أي المصباح.

- وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف بتاء مضمومة وإسكان الواو وتخفيف القاف ورفع الدال على التأنيث مضارع أوقد مبني للمفعول ونائب الفاعل ضمير يعود زجاجة على حد أوقدت القنديل وافقهم الأعمش.

---

[1] - ابن زنجلة – حجة القراءات- ص: 469.

[2] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 17 – ص: 55.

[3] - سورة النور: الآية: 35.

- وقرأ ابن محيصن والحسن بتاء مفتوحة وضم الدال وفتح الواو والقاف مشددة تَوَقَّدُ، والأصل تتوقد بتاءين حذفت إحداهما كتذكر والزجاجة القنديل والمصباح السراج والمشكاة الطاقة غير النافذة أي الأنبوبة في القنديل[1].

3. أقوال المفسرين:

تكاد تتفق مناهج المفسرين في بيان معنى هذه الآية الكريمة وإن تنوعت ألفاظهم بذلك، ولعلمهم أن معنى الآية الكريمة يعتمد على القراءات الواردة فيها راحوا يفسرون معنى توقد ويوقد باختلاف في الضمير المستتر؛ وفي ذلك يقول الإمام الطبري:" توقد من شجرة بالتاء، وكأنهم وجّهوا معنى ذلك إلى توقد المصباح من شجرة مباركة وقرأه بعض عامة قراء المدنيين يوقد بالياء وتخفيف القاف ورفع الدال بمعنى يوقد المصباح موقده من شجرة ثم لم يسم فاعله[2].

ويظهر ذلك أيضا فيما أورده الإمام القرطبي– رحمه الله- الذي تابع الإمام الطبري في بعض أقواله حيث قال في تفسير هذه الآية:" وهاتان القراءتان متقاربتان- يُوقَدُ ويَوَقَّد- لأنهما جميعا للمصباح وهو أشبه بهذا الوصف لأنه هو الذي ينير ويضيء وإنما الزجاجة وعاء له، وتوقد فعل ماض من توقد يتوقد ويوقد فعل مستقبل من أوقد يوقد وقرأ نصر بن عاصم تَوَقَّدُ؛ والأصل على قراءته تتوقد حذف إحدى التاءين لأن الأخرى تدل عليها، وقرا الكوفيون توقد بالتاء يعنون الزجاجة[3].

الملاحظ من تفسير الطبري والقرطبي أن دلالات هذه القراءات كان على حسب تقدير الضمير الذي أسند إليه في الفعل؛ فبالتاء للزجاجة، والياء ردّا على المصباح.

ولعل ما يوضح ذلك قول أبي حيان الأندلسي: تُوقد بضم التاء أي الزُّجَاجَةُ، مضارع أوقدت مبيناً للمفعول، ونافع وابن عامر وحفص كذلك إلاّ أنه بالياء أي الْمِصْبَاحُ"[4].

---

[1]- ابن مجاهد – السبعة في القراءات- ص:456. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 18 – ص: 109. الأزهري- تهذيب اللغة – ج: 4 – ص: 244. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج:6 – ص: 456. القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 12- ص:262. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:324. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 6 – ص: .271.

[2] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج:18 – ص: 141. وينظر: الزمخشري – الكشاف- ج:1– ص: 532. الشنقيطي- أضواء البيان- ج:1 – ص: 240.

[3] - القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 11- ص:321.

[4] - أبو حيان الأندلسي – البحر المحيط- ج: 6- ص: 450.

4. توجيه القراءات:

قال الأزهري بعد استشهاده بالآية الكريمة:" قرئ تَوَقّدُ و تُوقدُ ويُوقَدُ، قال الفراء مَن قرأ تَوقَّدَ ذَهب إلى المصباح ومَن قرأ تُوقَد ذَهب إلى الزُّجاجة وكذلك مَن قرأ تَوَقَّدُ، ومن قرأ يُوقَد بالياء ذهب إلى المصباح"[1].

والملاحظ أن الأزهري لم يخرج عما ذكره المفسرون في بيان معنى قراءات الثلاثة، ففي القراءة بالياء فالضمير العائد على المصباح. والقراءة بالتاء عاد على الزجاجة، أما تَوَّقَدُ فأصلها تتوقد والفاعل يعود على الزجاجة.

وفسر ابن منظور القراءة بالياء على تذكير النور أو على الكوكب، أو المصباح، و فسّر توقد بالتاء عَلَى معنى النار لأنها توقد مِن شجرة[2]

و لم يخرج ابن زنجلة عما ذُكر من المعاني:" وفاعل توقد المصباح، ويكون المعنى المصباح في زجاجة توقد المصباح، ويجوز أن يكون التوقد للكوكب؛ لأن الكوكب يوصف كثيرا بالتوقد لما يعرض فيها من الحركات التي تشبه توقد النيران... ويوقد، مضمومة الياء والدال، ومن قرأ هذا كمن قرأ توقد في أنه جعل فاعل يوقد المصباح أو الكوكب... وتوقد بالتاء جعلوا الإيقاد للزجاجة لأنه جاء في سياق وصفها وقرب منها، فجعلوا الخبر عنها لقربها منه وبعده من المصباح"[3].

فالقراءات تظهر المعنى جليا واضحا، ولا نفضل إحداها عن الأخرى؛ فهي تعتبر كآيات قرآنية، بل أضفت على الآية نوعا من الجمال والإعجاز.

---

[1] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 7 - ص: 595.

[2] - الخليل بن أحمد الفراهيدي- العين - ج: 5- ص: 197.

[3] - ابن زنجلة – حجة القراءات- ص: 500.

النموذج الثالث:

المسألة الثالثة : قال الله جل وعز(أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ)[1].

1. الآيـــــة:

2. القراءات الواردة:

تنوعت أوجه القراءة الواردة في هذه الآية الكريمة في قوله تعالى يثنون من حيث تنوع الإسناد إلى الضمائر على وجهين بيَّنهما أهل القراءات على النحو الآتي:

- قرأ الجمهور يثنون بالياء.
- قرأ ابن عباس قرأ ألا إنهم تَثْنَوْنِي صدورُهم بالتاء ورفع الراء من صدور[2].

3. أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في معنى هذه الآية طبقا للقراءات المتواجدة فيها؛ فالقرطبي-رحمه الله- يقول:" يثنون صدورهم أي يطوونها على عداوة المسلمين ففيه هذا الحذف قال بن عباس يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة ويظهرون خلافه نزلت في الأخنس بن شريق، وكان رجلا حلو الكلام حلو المنطق يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي له بقلبه على ما يسوء"[3].

وفسر الزمخشري يثنون بـــ" يزورون عن الحق وينحرفون عنه؛ لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن أزور عنه وانحرف، ثنى عنه صدره، وطوى عنه كشحه"[4].

---

[1] - سورة هود: الآية: 5.

[2] - ابن مجاهد – السبعة في القراءات- ص:56. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 18 – ص: 109. الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 15 - ص: 133. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج:5 - ص: 212. القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 9- ص:5. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:324. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 6 - ص: .271.

[3] - القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 9- ص:5.

[4] - الزمخشري – الكشاف- ج:1– ص: 532. وينظر: الشنقيطي- أضواء البيان- ج:1 – ص: 240.

وبهذا فسّره الزمخشري في الكشاف معنى يثنون، وهذا المعنى معروف في كلام العرب فهم يعبرون باعوجاج الصدر عن العدول عن الشيء والميل عنه ويعبرون بإقامة الصدر عن القصد إلى الشيء وعدم الميل عنه"[1]

4. توجيه القراءات:

قال الأزهري :" نزَلت في بعض مَن جاء يَلْقَى النبيَّ صلى الله عليه وسلم بما يُحب ويَنطوي له على العداوة والبُغض فذلك هو الثَّنْيُ الإخفاء فيَثْنُونَ صُدورهم؛ أي يُكنون ويَطوون ما فيها ويسترونه استخفاء بذلك من الله ورُوي عن ابن عباس أنه قرأ (**ألا إنهم تثنَوْني صدورهم**) وهو في العربيّة بمترلة تَنْثَني وهو من الفِعل افْعَوْعلت وأصله من ثَنَيْت الشَّيء إذا حَنَيْته وعَطَفته وطَوَيْته"[2].

وخلاصة القراءتين أنه بالياء الضمير يرجع على هؤلاء الكفار المنافقين الذين أضمروا العداوة وأظهروا خلافها، وبالتاء قراءة ابن عباس الفاعل هو صدورهم.

النموذج الرابع:

1. الآيـــة:

قال الله جل وعز:(وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ)[3].

2. القراءات الواردة:

تنوعت أوجه القراءة الواردة في هذه الآية الكريمة في قوله تعالى ليربوا من حيث تنوع الإسناد إلى الضمائر على وجهين بيَّنهما، هما:

- قرأ الجمهور ليربوَ بالياء مفتوحة الواو.
- وقرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب لتربوا بضم التاء ساكنة الواو[4].

---

[1] - المصدر نفسه الجزء والصفحة.

[2] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 15 - ص: 97.

[3] - سورة الروم الآية: 39.

[4] - ابن مجاهد – السبعة في القراءات- ص:507. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 14 – ص: 31. الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 15 - ص: 272. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج:7 - ص: 174. القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 14 - ص:39. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:348. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 7 - ص: 163..

3. أقوال المفسرين:

اختلف المفسرون في معنى هذه الآية طبقا للقراءات المتواجدة فيها؛ فهذا الطبري-رحمه الله- يقول في تفسير هذه الآية:" يقول تعالى ذكره وما أعطيتم أيها الناس بعضكم بعضا من عطية لتزداد في أموال الناس برجوع ثوابها إليه ممن أعطاه ذلك فلا يربو عند الله؛ يقول فلا يزداد ذلك عند الله لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيا به وجهه... واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض أهل مكة ليربو بفتح الياء من يربو بمعنى وما آتيتم من ربا ليربو ذلك الربا في أموال الناس وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة لتربوا بالتاء من تربوا وضمها بمعنى وما آتيتم من ربا لتربوا أنتم في أموال الناس"[1].

فقد فسّر الطبري ليربو بالزيادة والفاعل فيه المال. وأما القراءة بالتاء المضمومة فيكون الفاعل هو الضمير أنتم.

ولم يخرج القرطبي عما ذكره الطبري، فقد قال:" ليربو بالياء وإسناد الفعل إلى الـــــربا، وقرأ نافع وحده بضم التاء والواو ساكنة على المخاطبة بمعنى تكونوا ذوي زيادات"[2] يزورون عن الحق وينحرفون عنه؛ لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن أزور عنه وانحرف، ثنى عنه صدره، وطوى عنه كشحه[3].

4. توجيه القراءات:

قال الأزهري:" فمن قرأ لِتُربوا فالفِعل للقوم الذين خُوطبوا دلّ على نَصبها سُقوط النُّون، ومن قرأ لِيَرْبُوَ مَعناه لِيَربُو ما أعطَيْتم من شيء لتأخذوا أكثر منه فذلك، رُبُوّه وليس ذلك زاكياً عند الله"[4].

والملاحظ أن الأزهري تابع المفسرين في بيان معنى القراءات، فلتربوا بالتاء وضمها وسكون الواو على الخطاب أي لتربوا أنتم وتصيروا ذوي زيادة من أموال الناس، والقراءة بالياء وفتحها ونصب الواو جعلوا الفعل للربا.

---

[1] - القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 9- ص:5.

[2] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 14 – ص: 39.

[3] - الزمخشري – الكشاف- ج:1– ص: 532. وينظر: الشنقيطي- أضواء البيان- ج:1 – ص: 240.

[4] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 15 - ص: 272.

ولعل ما ذكر صاحب الإتحاف يبرز كذلك دلالة كل قراءة بقوله:" بالتاء وضمها وسكون الواو على إسناده لضمير المخاطبين وهو مضارع أربى معدى بالهمزة فمضارعه مضموم حذفت منه نون الرفع لنصبه بأن مقدرة بعد لام كي... والباقون بياء الغيب وفتحها وفتح الواو لإسناد الفعل إلى ضمير يربو وهو مضارع ربا زاد فواوه لام الكلمة وفتحت علامة للنصب لأنها حرف الإعراب"[1].

ولعل ما أضافه الدمياطي في هذه القضية أنه ذكر الاختلاف في القراءتين يرجع إلى اختلاف الفعل كذلك، فالقراءة بالتاء من الفعل أربى والقراءة بالياء من الفعل الثلاثي ربا.

[1] - شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:348.

المطلب الثاني: بين البناء للمعلوم والبناء للمجهول[1].

النموذج الأول:

1. الآية:

قال الله جل وعز: (فَإِن يَصْبِرُواْ فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ)[2].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القراء في أوجه الأداء في قوله يستعتبوا على وجهين، بينها أهـــل الاختصاص، وقد ذكرهما الأزهري في معجمه، وهما كما يلي:

- قرأ الجمهور يَسْتَعْتِبُوا بفتح الياء وكسر التاء الثانية على بناء الفعل للمعلوم
- وقرأ عبيد بن عمير وأبو العالية وإن يستعتبوا بفتح التاء الثانية وضم الياء على الفعل المجهول[3].

3. أقوال المفسرين:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنى هذه الآية الكريمة على بيان معنى كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها:

أما بالنسبة للقراءة الأولى فتكاد تجتمع أقوال المفسرون فيها، وسأقتصر على قول الطبري في معناها بقوله:" وإن يسألوا العتبى وهي الرجعة لهم إلى الذي يحبون بتخفيف العذاب

---

[1] - سأقوم بتحليل نموذجين فقط، وذلك لكثرة المسائل التي تطرق لها الأزهري في هذا الباب، أذكر منها: يلحَدون ويلحِدون البناء للمعلوم والمجهول في قوله تعالى:(لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ) سورة النحل الآية: 103، وسَقَطَ وسُقِط فس قوله تعالى:(ولَما سُقِطَ في أيْديهم) سورة الأعراف الآية: 149، وتوقَد وتوقِد في قوله تعالى:(كوكب دُرّىَ تَوَقَّدَ من شجرة مباركة). سورة النورالآية: 35، وتُرى وتَرى بفح التاء وضمها من قوله تعالى: (وتُرى الناس سُكارَى) سورة الحج الآية:02.

2 - سورة فصلت: الآية: 24.

[3] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 24 – ص: 110. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج:7 - ص: 494/493. القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج:15- ص:354. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:460. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 8 - ص: 279.

عنهم فما هم من المعتبين يقول فليسوا بالقوم الذين يرجع بهم إلى الجنة فيخفف عنهم ما هم فيه من العذاب"[1].

وأما على قراءة من قرأ وَإِن يُسْتَعْتَبُواْ، بالبناء للمفعول، فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ بصيغة اسم الفاعل، فالمعنى أنهم لو طُلِبَتْ منهم العتبى وردوا إلى الدنيا ليعملوا بطاعة الله وطاعة رسله، فما هم من المعتبين؛ أي الراجعين إلى ما يرضي ربهم، بل يرجعون إلى كفرهم الذي كانوا عليه أولاً[2].

وهذه القراءة كقوله تعالى: (وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)[3]

4. توجيه القراءات:

بّين الأزهري معنى القراءتين، فأما القراءة بالبناء للمجهول فـــ:" معناه إنْ أقالهم الله وردّهم إلى الدنيا لم يُعتبوا يقول لم يعملوا بطاعة الله لِمَا سبق لهم في علم الله من الشقاء"[4].

واستشهد بآية الأنعام الأنفة الذكر، ثم بيّن معنى القراءة الثانية بقوله:" ومَن قرأ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فمعناه إن يستقيلوا ربهم لم يُقِلْهُم"[5]

ومعنى العتاب قبول الصلح، ومنه قول النابغة[6]:

فإن أك مظلوما فعبد ظلمته ***وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب

أي مثلك من قبل الصلح والمراجعة

لم يخرج الأزهري في بيان معنى كل قراءة عما ذكره المفسرون، فأما القراءة بالبناء للمعلوم فمعناها فإن يَستعتِبوا الله أي يسألوه إزالة ما هم فيه فما هم مـــــن المجابين إلى إزالته، وأما القراءة للبناء للمجهول فإن طُلِبَ منهم ذلك لم يفعلوا.

النموذج الثاني:

---

[1] - الأزهري- تهذيب اللغة ج:2 – ص: 277. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج:24 – ص: 111. وينظر: أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج:7 – ص: 173. الزمخشري – الكشاف- ج:3 – ص: 494. الشنقيطي- أضواء البيان- ج:2 – ص: 432.

[2] - الشنقيطي- أضواء البيان- ج:2 – ص: 423.

[3] - سورة الأنعام: الآية: 24.

[4] -

[5] -المصدر السابق الجزء والصفحة.

[6] - النابغة الذبياني- الديوان – مصر – القاهرة- مطبعة الجمابية - ط:1-1328هـ/1910م- ص: 75.

1. الآيـــــــة:

قال الله جل وعز: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القراء في أوجه الأداء في قوله أحصن على وجهين، بينها أهـــــل الاختصاص، وقد ذكرهما الأزهري في معجمه، وهما كما يلي:

- قرأ ابن عباس ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم أُحْصِنَّ مبنياً للمجهول أَحْصَنَّ بفتح الألف وفتح الصاد مبنيا للمعلوم.

- وقرأ ابن مسعود وعاصم حمزة والكسائي أَحْصَنَّ بفتح الألف وفتح الصاد مبنيا للمعلوم[2].

3. أقوال المفسرين:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنى هذه الآية الكريمة على بيان معنى كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها:

فالطبري مثلا ذكر المعنيين:" اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم فإذا أحصن بفتح الألف بمعنى إذا أسلمن فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالإسلام وقرأه آخرون فإذا أحصن بمعنى فإذا تزوجن فصرن ممنوعات الفروج من الحرام بالزواج"[3].

فعلى القراءة الأولى، كما قال الطبري، فمعنى أُحصِن أسلمن، ومعنى أَحصَن بالبناء للمعلوم تزوجن، وذهب أبو حيان الأندلسي إلى أن القراءتين بمعنى واحد[4].

4. توجيه القراءات:

---

[1] - سورة النساء: الآية: 25.

[2] - ابن مجاهد – السبعة في القراءات- ص:321. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 5 – ص: 14. الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 4 - ص: 245. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج:3 - ص: 224. القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 5- ص:143. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:189. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 2 - ص: 32.

[3] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج:24 – ص: 111. وينظر: الزمخشري – الكشاف- ج:1– ص: 532. الشنقيطي- أضواء البيان- ج:1 – ص: 240.

[4] . ينظر: أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج:3 - ص: 115

قال الأزهري:" فإن ابن مسعود قرأ فإذا أَحْصَنَّ وقال إحْصَانُ الأَمَةِ إسْلامُها وكان ابن عباس يقرؤها فَإِذَا أُحْصِنَّ على ما لم يُسَمّ فاعله ويفسره فإذا أُحْصِنّ بِزَوْج"[1].

والملاحظ أن الأزهري لم يخرج عما ذكره المفسرون في بيان معنى أحصن للمعلوم وللمجهول.

وجمع بين المعنيين ابن زنجلة في حجة القراءات بقوله:" الزوجُ يحصن المرأةَ والإسلامُ وكذلك، فإذا أحصن أي أحصنهن الأزواج والإسلام... فتأويل المحصنات أزواجهن أعفوهن أو إسلامهن أحصنهن فهن محصنات بذلك.[2]

وذكر شهاب الدين الدمياطي في الإتحاف أن معنى أَحصَن، بفتح الهمزة والصاد، مبنيا للفاعل أي أَحصَن فروجهن وأزواجهن، وأُحصِن، بضم الهمزة وكسر الصاد، على البناء للمفعول على أن المحصن لهن الزوج[3].

فالقراءتان على ما ذكر الدمياطي بمعنى واحد، على خلاف ما ذكره الأزهري والمفسرون.

---

[1] - الأزهري- تهذيب اللغة - ج: 4 - ص: 245.

[2] - ابن زنجلة – حجة القراءات- ص: 197.

[3] - شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:189

المطلب الثالث: الاختلاف بين الماضي والأمر

النموذج الأول:

1. الآيـــــــة:

قال الله جل وعز : (فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا) [1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القراء في أوجه الأداء في قوله باعد من حيث إسناد الفعل إلى الماضي والأمر على وجوه، بيّنها أهل الاختصاص، وقد ذكرها الأزهري في معجمه، وهي كما يلي:

- قرأ نافع وعاصم والكسائي وحمزة وابن عامر باعِد بالألف وكسر العين على الدُعَاء.

- قرأ أبو عمرو وابن كثير بَعِّدْ بغير ألفٍ.

- وقرأ يعقوب الحضرميّ رَبُّنَا باعَدَ بالفتح على الخبر.

- وقرأ يحيى بن يعمر وعيسى بن عمر وتروى عن ابن عباس رَبُنا بَعَّدَ بين أسفارنا على الخبر[2].

- وقرأ سعيد بن أبي الحسن وهو أخو الحسن البصري فقالوا رُبَّنَا بَعُدَ بَيْنُ أسفارِنا وبينَ أسفارنا ببناء المجهول وضم النون وفتحها[3].

---

[1] - سورة سبأ: الآية: 19.

[2]- ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 529. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 22 – ص: 58. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج:7 - ص: 72. القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج:14- ص:291/290. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:460. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 7 - ص: 360. أما القراءة بضم النون في بَيْنُ فلم يذكرها المفسرون وبين معناها الأزهري بقوله:" فالمعنى بَعُدَ ما يتصل بسفرنا ومن قرأ بَعُدَ بَيْنَ أسفارنا فالمعنى بَعُدَ ما بين أسفارنا وبَعُدَ سَيْرنا بين أسفارنا" الأزهري- تهذيب اللغة- ج:2 -ص:246.

[3]-هذه القراءة لم يذكرها المفسرون وبين معناها الأزهري بقوله:" فالمعنى بَعُدَ ما يتصل بسفرنا ومن قرأ بَعُدَ بَيْنَ أسفارنا فالمعنى بَعُدَ ما بين أسفارنا وبَعُدَ سَيْرنا بين أسفارنا" الأزهري- تهذيب اللغة- ج:2 -ص:246.

3. أقوال المفسرين:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنى هذه الآية الكريمة على بيان معنى كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها:

أما القراءتين الأوليتين فقد ذكر العلماء أنهما بمعنى واحد، يقول الطبري في معنييهما:" لما بطروا وطغوا وسئموا الراحة و لم يصبروا على العافية تمنوا طول الأسفار والكدح في المعيشة... وباعَد وبعَّد واحد في المعنى"[1].

ووافقه على هذا المعنى بهذه القراءة الزمخشري:" على الدعاء بطروا النعمة وبشموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المنّ والسلوى"[2]

وأما القراءتين الثانية والثالثة فهي كذلك بمعنى واحد وهو إخبار منهم عما حصل لهم، يقول القرطبي:" باعد بفتح العين والدال على الخبر، تقديره لقد باعد ربنا بين أسفارنا، كأن الله تعالى يقول قربنا لهم أسفارهم فقالوا أشرا وبطرا لقد بوعدت علينا أسفارنا، واختار هذه القراءة أبو حاتم قال لأنهم ما طلبوا التبعيد إنما طلبوا أقرب من ذلك القرب بطرا وعجبا مع كفرهم"[3].

واختار الطبري القراءتين الأوليتين لأنهما القراءتان المعروفتان في قراءة الأمصار، وما عداهما فغير معروف فيهم على أن التأويل من أهل التأويل أيضا يحقق قراءة من قرأه على وجه الدعاء والمسألة[4].

4. توجيه القراءات:

يقول الأزهري:" رَبُّنَا باعَدَ بالنصب على الخبر وقرأ نافع وعاصم والكسائي وحمزة باعِد بالألف على الدُعَاء"[5].

---

[1] - القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج:14- ص:290.

[2] - الزمخشري- الكشاف-ج:3 – ص:587.

[3] - القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج:14- ص:291.

[4] - ينظر: الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج:22 – ص: 75.

[5] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج:2 -ص:246.

لم يخرج الأزهري في بيان معنى كل قراءة عما ذكره المفسرون، فأما القراءة بفتح الباء وفتح العين ربَّنا باعَد، فعلى الدعاء؛ أي أنهم دعوا ربهم بالتبعيد، وعلى القراءة بالضم الباء الإخبار بأن الله باعد بينهم.

النموذج الثاني:

1. الآيـــــة:

قال الله جل وعز: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى (فنقبوا) من حيث زيادة إسناد الفعل بين الماضي والأمر على وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو التالي:

- قرأ الجمهور فَنَقَّبُوا بفتح القاف على الخبر.

- وقرأ أبو عمرو وقنبل وابن ذكوان ويعقوب ويحي بن يعمر والحسن فنقِّبوا بكسر القاف أمرا لأهل مكة بذلك[2].

3. أقوال المفسرين:

أورد الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة قولا شافيا في بيان معاني القراءات الكريمة الواردة فيها حيث قال:" وقرأت القراء قوله فنقَّبوا بالتشديد وفتح القاف، على وجه الخبر عنهم، وذكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ ذلك فنقبوا بكسر القاف على وجه التهديد والوعيد أي طوفوا في البلاد وترددوا فيها فإنكم لن تفوتونا بأنفسكم"[3].

وذكر الزمخشري المعنى نفسه حين فسر الآية بقوله[4]:" التنقيب التنقير عن الأمر والبحث والطلب...فنقب أهل مكة في أسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل رأوا لهم

---

[1] - سورة ق- الآية:36.

[2] - ابن مجاهد- ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 607. الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 9- ص:197. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 26- ص:176. القرطبي – الجامع لأحطام القرآن- ج: 17- ص: 22. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 8- ص: 129. ابن الزجري – النشر في القراءات العشر- ج: 2- ص:225. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:398. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 9- ص:115/114.

[3] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 26- ص:176.

[4] - الزمخشري- الكشاف - ج: 4- ص:394.

محيصاً حتى يؤملوا مثله لأنفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ (فنقبوا) على الأمر كقوله تعالى:"(فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ)[1].

يظهر من تفسير الطبري والزمخشري للآية أن القراءة بفتح القاف على الخبر أي أن الله أخبر نبيه عن بحث أهل مكة وطلبهم، والقراءة الثانية أمر على وجه التهديد.

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة و لم يخرج عما ذكره المفسرون قال رحمه الله:" قرأ القُرّاء (فنقَّبوا) مشدداً يقول خَرَقوا البلادَ فساروا فيها فهل كان لهم مَحيصٌ من الموت، ومن قرأ (فنَقُبُوا) بكسر القاف فإنه كالوعيد أي اذهبوا في البلاد وجيئوا"[2].

وذكر العكبري أن معناهما مختلف و لم يفصح عن هذا الاختلاف، يقول:" فنقبوا وفيها قراءات ظاهرة المعنى"[3].

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة على وجه من القراءة دون غيره ؛ حيث دلّت القراءة الأولى (فنقَّبُوا) على أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن أهل مكة نقبوا في البلاد وبحثوا، ودلت القراءة الثانية (فنقّبوا) على أن الله سبحانه وتعالى هدّد أهل مكة وحذرهم، من مغبة تكذيبهم وكفرهم.

---

[1] - سورة التوبة - الآية:2.

2 - الأزهري- تهذيب اللغة- ج:9 - ص: 179.

3 - العكبري-إملاء من به الرحمن- ص:242.

المبحث الثالث: على مستوى الزيادة والنقصان

المطلب الأول: زيادة الهمزة[1]

النموذج الأول:

1. الآيـــــــة:

قال الله جل وعز:(فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ)[2].

2. القراءات الواردة:

تنوعت أوجه القراءة في قوله تعالى (فأجمعوا) من حيث زيادة الهمزة على وجهين وهذا ما أظهره أهل هذا الشأن كما يلي:

- قرأ أبو عمرو وابن عامر وابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي ونافع فأجمعوا كيدكم بهمز الألف وكسر الميم.
- وقرأ الزهري والأعمش ويعقوب بألف الوصل.[3]

3. أقوال المفسرين:

تنوعت مذاهب المفسرين في محاولة الكشف عن معنى هذه الآية الكريم بقراءاتها المختلفة:

فمعنى القراءة الأولى فاجتمعوا أنتم وشركاؤكم الذين تدعون من دون الله من صنم ووثن و أجمعوا وأعدوا أمركم واعزموا عما تريدون من إهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وإنما قال ذلك إظهاراً لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من عصمته إياه وأنهم

---

[1] - سأقوم بتحليل بعض النماذج فقط ، وذلك لكثرة الشواهد التي استعملها الأزهري في هذا الباب، أذكر منها: سال، وسأل بالهمز في قوله تعالى:(سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) سورة المعارج- الآية:1. ويَخْسِرُون، ويُخْسِرُون من خسر، وأخسر في قوله تعالى:(وإذا كالُوهُمْ أو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرون)) سورة المطففين- الآية:3. وريا ورئيا بزيادة الهمزة في قوله تعالى:(هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً) سورة مريم- الآية:74. ومتكا ومتكئا بزيادة الهمزة في قوله تعالى:(أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً) سورة يوسف- الآية:31.

[2] - سورة يونس- الآية: 71.

[3] - أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 5- ص: 179. الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 1- ص:254.و ابن خلويه- الحجة في القراءات- ص:182 . وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:316. ابن جني – المحتسب- ج:1- ص:214.

لن يجدوا إليه سبيلاً، يقول الطبري في هذه الآية:" فأجمعوا أمركم يقول فأعدوا أمركم واعزموا على ما تقدمون عليه في أمري يقال منه أجمعت على كذا بمعنى عزمت عليه[1].

وأما القراءة الثانية (فاجمِعوا) بهمزة الوصل من الجمع أي اجمعوا كل كيد لكم وكل حيلة، فلا تدعوا من كيدكم شيئا إلا جئتم به2.

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة و لم يخرج عما ذكره المفسرون قال:" قوله جلّ وعزّ **(فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ)**[3].قال الإجماع الإحكام والعزيمة على الشيء تقول أجمعتُ الخروجَ وأجمعتُ على الخروج،ومن قرأ فاجمعوا كيدكم فمعناه لا تدَعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به"[4]

فالقراءة بهمزة القطع وكسر الميم من أجمع أمره إذا أحكم وعزم عليه، من الفعل الرباعي أجمع، والإجماع على حسب قول الأزهري، معناها الإعداد والعزيمة.و القراءة بهمزة وصل من الفعل الثلاثي جمع، أي ضَمّ الشّيْءَ بتَقريبِ بعضه مِن بَعْضٍ، والأمر منه اجمَع واجمعوا في الجمع[5].

وقد استشهد الأزهري على صحة دلالة القراءة الأولى بقول الشاعر:

يا ليت شعري والمُنى لا تنفعُ ***هل أغدُوَنْ يوماً وأمري مُجمَعُ[6]

والملاحظ أن هناك تقاربا بين المعنى التفسيري للآية الكريمة وبين المعنى اللغوي، الذي أتى به الأزهري؛ وذلك أن من أجمع على أمر وعزم عليه لا بد أن يجمع شتاته وأموره، فلا تضاد بين القراءتين.

---

[1] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج:11- ص:142.

[2] - القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج 8: - ص: 362.

[3] - سورة يونس- الآية: 71.

[4] - الأزهري- تهذيب الغة - ج: 1- ص:140.

[5] - أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 6- ص: 379.و الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 1- ص:140. و ينظر: شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:316.

[6] - ينظر: الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 1- ص: 253.

النموذج الثاني:

1. الآيـــــة:

قال الله جل وعز: (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا)[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى (انظُرُونَا) من حيث زيادة الهمزة، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو التالي:

- قرأ الجمهور غير حمزة (انظُرُونَا) موصولة الألف مضمومة الظاء.

- قرأ زيد بن علي وابن وثاب والأعمش وطلحة وحمزة والمطوعي(أنظِرُونَا) بقطع الهمزة المفتوحة وكسر الظاء[2].

3. أقوال المفسرين:

تكاد تتفق مناهج المفسرين في بيان معنى هذه الآية الكريمة وإن تنوعت ألفاظهم بذلك، ولعلمهم أن معنى الآية الكريمة يعتمد على القراءات الواردة فيها راحوا يفسرون معنى انظرونا وأنظرونا، وفي ذلك يقول الإمام الطبري:" انظرونا موصولة بمعنى انتظرونا وقرأته عامة قراء الكوفة أنظرونا مقطوعة الألف من أنظرت بمعنى أخرونا وذكر الفراء أن العرب تقول أنظرني وهم يريدون انتظرني قليلا"[3].

---

[1] - سورة الحديد- الآية:13.

[2] - ابن مجاهد – السبعة في القراءات- ص:625/626. الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 14- ص:369. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج: 27- ص:129. القرطبي– الجامع لأحطام القرآن- ج: 17- ص: 245. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 8- ص: 221. ابن الزجري– النشر في القراءات العشر- ج: 2- ص:384. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:420. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 9 ص:334.

[3] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج: 27- ص:129

وقد قرئ أنظرونا بقطع الألف، فمن قرأ ذلك كذلك أراد أخّرنا كما قال الله جل ثناؤه:(قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[1] أي أخرني...وقراءة من وصل الألف من قوله انظرنا و لم يقطعها بمعنى انتظرنا"[2].

وزاد الزمخشري الآية وضوحا عندما قال:" انظُرُونَا انتظرونا لأنهم يسرع بهم إلى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم، وهؤلاء مشاة، وانظروا إلينا، لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم، والنور بين أيديهم فيستضيئون به وقرى ء (أنظرونا) من النظرة وهي الإمهال جعل اتئادهم في المضي إلى أن يلحقوا بهم أنظاراً"[3]

و لم يخرج القرطبي على تلك الدلالة التفسيرية للآية حيث قال:" قراءة العامة بوصل الألف مضمومة الظاء من نظر، والنظر الانتظار أي انتظرونا، وقرأ الأعمش وحمزة ويحيى بن وثاب (أنظرونا) بقطع الألف وكسر الظاء من الإنظار أي أمهلونا وأخرونا"[4].

يظهر من تفسير الطبري الكشاف والقرطبي للآية أن القراءات القرآنية أضفت على اللآية نوعا من الشرح والتبيين فيما يخص زيادة الهمز لأن الفعل فيهما مختلف فاختلف المعنى تبعا لذلك.

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة، فال رحمه الله:" وقوله تعالى (لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا)[5]. قرى ء (انظرونا) و(أنظرونا) بقطع الألف فمن قرأ انظُرونا، بضم الألف، فمعناه انْتظِرونا، ومن قرأ (أَنظِرونا) فمعناه أَخِّرُونا"[6].

والملاحظ أن هناك تجاوبا بين ما ذكره الأزهري وما ذكره المفسرون، فالقراءة بوصل الألف من قوله انظرنا من الفعل نظر الثلاثي، وأما القراءة بالهمز في من الفعل الرباعي أنظر

---

[1] - سورة الحجر- الآية: 36.

[2] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج: 27- ص:129.

[3] - الكشاف – الزمخشري - ج: 4- ص:474/473.

[4] - القرطبي – الجامع لأحكام القرآن- ج: 17- ص:225.

[5] - سورة الحديد- الآية:13.

[6] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج:14 - ص: 369.

بمعنى أمهل، وأخّر،كما قال الله جل ثناؤه:(قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[1]أي أخرني...وقراءة من وصل الألف من قوله انظرنا و لم يقطعها بمعنى انتظرنا"[2]. ومنه قول عمرو بن كلثوم:

أبـــا هِنْدٍ فـــلَا تَعْجَلْ عَلَينا	≅	وَانـــظِرنا نُـــخَبِّرْكَ اليَقينا[3]

[1] – سورة الحجر– الآية: 36.

[2] – الطبري– جامع البيان في تأويل القرآن–ج: 27– ص:129.

[3] – أبو عبد الله الحسين بن احمد الزوزني– شرح المعلقات السبع – تحقيق :لجنه التحقيق في الدار العالمية– دار العالمية– د.ط– 1993م– ص: 117. أحمد الأمين الشنقيطي– المعلقات العشر وأخبار شعرائها– دار النصر للطباعة والنشر– ط:1–د.ت– ص:111

المطلب الثاني: زيادة الألف[1]

النموذج الأول:

1. الآية:

قال الله جل وعز:(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[2].

2. القراءات الواردة:

تنوعت أوجه القراءة في قوله تعالى (مالك) من حيث زيادة الألف على وجهين، وقد ذكرهما الأزهري، وهذا ما أظهره أهل هذا الشأن كما يلي:

- قرأ ابن كثير ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة مَلِك يَوْمِ الدِّينِ بدون ألف
- وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) بألفٍ.[3]

وقد ذكر الأزهري قراءة ثالثة عن عبد الوارث عن أبي عمرو: (مَلْكِ يَوم الدِّينِ) بفتح وتسكين[4]

3. أقوال المفسرين:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنى هذه الآية الكريمة على بيان معنى كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها، وبيان أي القراءتين أمدح في حق الله سبحانه وتعالى، ويظهر ذلك جليا في أقوالهم؛ فهاهو ابن جرير الطبري- رحمه الله- يقول:" أن لله الملك يوم الدين خالصا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكا جبابرة ينازعونه الملك و يدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية، فأيقنوا بلقاء الله يوم الدين أنهم الصَّغرة الأذلة،

---

[1] - سأقوم بتحليل بعض النماذج فقط ، وذلك لكثرة الشواهد التي استعملها الأزهري في هذا الباب، أذكر منها: حذرون وحاذرون في قوله تعالى:(وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ) سورة الشعراء - الآية: 56. ونخرة وناخرة، في قوله تعالى:(أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَاخِرَةً) سورة النازعة - الآية: 11.و خلفك وخلافك في قوله تعالى: (وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا) سورة الإسراء – الآية: 76. وفكهين وفاكهين في قوله تعالى:(فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ)) سورة الطور– الآية: 19.

[2] - سورة الفاتحة- الآية: 40. وفرهين وفارهين في قوله تعالى: (وَتَنْحِتُونَ من الجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِين) سورة الشعراء-الآية: .149. ومصر ومصرا في قوله تعالى:(اهْبِطُوا مِصراً فإنّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ). سورة البقرة- الآية:61.

[3] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 10- ص:268. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 1- ص: 20. و ابن خلويه- 104 . وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:122.

[4] - الأزهري- ج: 10- ص: 268.

وأن له دونهم ودون غيرهم الملك والكبرياء والعزة والبهاء، فأخبر تعالى أنه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا الذين صاروا يوم الدين من ملكهم إلى ذلة وصغار، ومن دنياهم في المعاد إلى خسار"[1].

وأما قراءة من قرأ ملك يوم الدين بمعنى المُلك؛ لأن في الإقرار له بالانفراد بالمُلك إيجابا لانفراده بالمِلك، وفضيلة زيادة الملك على المالك إذ كان معلوما أن لا ملك إلا وهو مالك وقد يكون المالك لا ملكا[2].

ثم رجح القراءة بدون ألف، وقال:" وأولى التأويلين بالآية وأصح القراءتين في التلاوة عندي التأويل الأول وهي قراءة من قرأ ملك بمعنى المُلك؛ لأن في الإقرار له بالانفراد بالمُلك إيجابا لانفراده بالمِلك، وفضيلة زيادة الملك على المالك إذ كان معلوما أن لا ملك إلا وهو مالك وقد يكون المالك لا ملكا"[3].

وحاول بعض أهل التفسير الجمع بين القراءتين، نحو ما فعل الشوكاني حيث يقول:" اختلف العلماء أيّهما أبلغ ... والحق أن لكل واحد من الوصفين نوع أخصية لا يوجد في الآخر؛ فالمالك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعتق ونحوها، والملك يقدر على ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية فالمالك أقوى من الملك في بعض الأمور والملك أقوى من المالك في بعض الأمور والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته والمالك صفة لفعله4.

4. توجيه القراءات:

حجة من قرأ مالك قوله تعالى:(**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ**)[5]، ولم يقل ملك الملك. ومالك أمدح من ملك لأنه يجمع الاسم والفعل، و مَلِك تَجْمَع مَالِكا ومَالِك لا يَجْمَع ملكا؛

---

[1] – الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 1 – ص: 65.

[2] – المصدر نفسه الجزء والصفحة.

[3] – المصدر نفسه- الجزء والصفحة.

[4] – محمد علي الشوكاني- فتح القدير- ج: 1– ص: 22.

[5] – سورة آل عمران: الآية 26.

إذ كل من يملك فهو مالك لأنه بتأويل الفعل مالك الدراهم، ومالك الثوب، ومالك يوم الدين يملك إقامة يوم الدين[1].

وحجة من قرأ ملك قوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾[2]، وقوله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [3] فعلى هذه الآية والتي قبلها قاس العلماء القراءة بدون ألف[4].

وحقيقة الأمر إن المعنى القرآني لا يكتمل إلَّا بالجمع بين القراءتين ولبيان ذلك أقول؛ فمعلوم مما تقدم أن المَلِك هو الحاكم النافذُ أمرُه والذي له الأمر المطلق دون غيره، وأن المَالِك هو الذي ترجع له مِلكيَّة الأعيان، ويكون له حق التصرف فيها. وهذا الأمر هو لله سبحانه وتعالى في الدارين على الحقيقة، فالله سبحانه وتعالى هو الملك الحق في الدارين. وهو سبحانه مالك كل شيء يستخلف في مِلكه من يشاء من عباده.

النموذج الثاني:

1. الآية:

قال الله في سورة: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾[5].

2. القراءات الواردة:

تنوعت أوجه القراءة في قوله تعالى معاجزين من حيث زيادة الألف على وجهين، وهذا ما أظهره أهل هذا الشأن:

- فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والجحدري، وابن محيصن معجزين بغير ألف.
- وقرأ عاصم ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي معاجزين بالألف.[6]

---

[1] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 10- ص:268

[2] - سورة الناس: الآية 2.

[3] - سورة الحشر: الآية 23.

[4] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 10- ص:268. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 6- ص: 379. ابن خالويه – الحجة في القراءات- ص: 62. وأبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة – حجة القراءات- ص: 98/97.و ينظر: شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:122.

[5] - سورة الحج : الآية:51.

[6] - ابن مجاهد- السبعة في القراءات- ص: 439.

3. أقوال المفسرين:

تنوعت مذاهب المفسرين في محاولة الكشف عن معنى هذه الآية الكريم فمنهم من فسر معاجزين بمغالبين أو مشاقين، أو معاندين، أو مثبطين عن الإسلام وكل هذه الأقوال لا تخرج عن مقصد الآية الكريمة، قال الطبري في معنى الآية:" مشاقين وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم"[1].

وقال الشنقيطي في ذلك:" واعلم أن في هذا الحرف قراءتين سبعيتين قرأه الجمهور معاجزين بألف بين العين والجيم بصيغة المفاعلة اسم فاعل عاجزه وقرأه ابن كثير وأبو عمرو معجزين بلا ألف مع تشديد الجيم المكسورة على صيغة اسم الفاعل من عجزه"[2]

ولم يخرج السيوطي عما ذكره سابقيه من المفسرين، فقال رحمه الله:" والذين سعوا في آياتنا القرآن بإبطالها معجزين من اتبع النبي؛ أي ينسبونهم إلى العجز، ويثبطونهم عن الإيمان، أو مقدرين عجزنا عنهم، وفي قراءة معاجزين مسابقين لنا أي يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث"[3].

4. توجيه القراءات:

قال الأزهري عن القراءة الأولى بالألف:" تفسيره معاندين وقال بعضهم مسابقين، وهو قول الزجاج، ومن قرأ معجِّزين فالمعنى مثبِّطين عن الإيمان بها من العجز وهو نقيض الحَزْم"[4].

فالأزهري يذكر أن القراءة بالألف معناها معاندين أو معناها مسابقين، وقراءة من قرأ معجِّزين فالمعنى مثبِّطين عن الإيمان بها من العجز وهو نقيض الحَزْم.

فالقراءة بغير الألف أي ينسبون من تبع النبي صلى الله عليه إلى العجز وهذا كقولهم جهلته نسبته إلى الجهل و فسقته نسبته إلى الفسق، ومن قرأ معاجزين بالألف؛ أي ظانين أنهم يعجزوننا، لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون وأنه لا جنة ولا نار[5].

---

[1] – الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 17 – ص: 185.وينظر: القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج 12 – ص: 78.

[2] – الشنقيطي- أضواء البيان- ج:5 – ص: 282.

[3] – السيوطي – تفسير الجلالين- ج:1 – ص: 440

[4] – الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 1-ص: 140.

[5] – أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 6- ص: 379. و ينظر: شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:316.

والملاحظ أن هناك تجاوبا بين المعنى التفسيري للآية والكريمة وبين المعنى اللغوي، إلا أن القراءة الثانية وضحت القراءة الأولى وشرحتها، والقراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى وذلك أن من عجز عن آيات الله فقد عاجز الله ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله والعمل بمعاصيه وخلاف أمره.

النموذج الثالث:

1. الآية:

قال الله جل وعز:(وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى (واعدنا) من حيث زيادة الألف على وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو الذي سأبينه:

- قرأ ابن كثير و وابن عامر وحمزة ونافع والكسائي واعدنا بالألف.
- وقرأ أبو عمرو وابن محيصن ويعقوب وعدنا دون ألف[2].

3. أقوال المفسرين:

أورد الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة قولا شافيا في بيان معاني القراءات الكريمة الواردة فيها حيث قال:" قرأ بعضهم (واعدنا) بمعنى أن الله تعالى واعد موسى ملاقاة الطور لمناجاته، فكانت المواعدة من الله لموسى ومن موسى لربه،... وقرأ بعضهم (وعدنا) بمعنى أن الله الواعد موسى والمنفرد بالوعد دونه، وكان من حجتهم في اختيارهم ذلك أن قالوا إنما تكون المواعدة بين البشر، فأما الله جل ثناؤه فإنه المنفرد بالوعد والوعيد في كل خير وشر"[3].

---

[1] - سورة البقرة : الآية:51.

[2] - ابن مجاهد- ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 155. الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 3. ص:134. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 1- ص:221. القرطبي – الجامع لأحطام القرآن- ج: 1- ص: 394. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 1- ص: 199. ابن الزجري – النشر في القراءات العشر- ج: 2- ص:212. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:69. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 1- ص:98.

[3] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 1- ص:221.

وذكر البغوي أن واعدنا من" المفاعلة التي تكون من الواحد كقولهم عافاك الله، وعاقبت اللص، وطارقت النعل، ثم نقل قول الزجاج ومفاده أنه كان من الله الأمر ومن موسى القبول، فلذلك ذكر بلفظ المواعدة، وقرأ أبو عمرو وأهل البصرة وإذ وعدنا من الوعد"[1]

و لم يخرج أبو حيان الأندلسي على هذا المعنى إلا أنه جعل القراءتين بمعنى واحد، فقال رحمه الله:" ويحتمل واعدنا أن يكون بمعنى وعدنا ويكون صدَر من واحد، ويحتمل أن يكون من اثنين على أصل المفاعلة، فيكون الله قد وعد موسى الوحي، ويكون موسى وعد الله المجيء للميقات، أو يكون الوعد من الله وقبوله كان من موسى، وقبول الوعد يشبه الوعد"[2].

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة و لم يخرج عما ذكره المفسرون قال:" قرأ أبو عمرو (وعدنا) بغير ألف وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائيّ واعدنا بالألف وقال أبو مُعَاذ النحويّ واعدتَ زيداً إذا وعدك ووعدته ووعدت زيداً إذا كان الوعد منك خاصّة"[3].

ولعل ما ذكره ابن زنجلة في دلالة القراءتين وافق المفسرين واللغويين بقوله:" قرأ أبو عمرو (وعدنا موسى) بغير ألف ...وحجته أن المواعدة إنما تكون بين الآدميين وأما الله جل وعز فإنه المنفرد بالوعد والوعيد، ويقوي هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾[4] وقرأ الباقون وإذ واعدنا بالألف وحجتهم أن المواعدة كانت من الله ومن موسى، فكانت من الله أنه واعد موسى لقاءه على الطور ليكلمه ويكرمه بمناجاته، وواعد موسى ربه المصير إلى الطور لما أمره به، ويجوز أن يكون المعنى على إسناد الوعد إلى الله نظير ما تقول طارقت نعلي وسافرت والفعل من واحد على ما تكلمت به العرب "[5].

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة على وجه من القراءة دون غيره ؛ حيث دلّت القراءة

---

[1] - البغوي- تفسير البغوي- ج: 22- ص:75.

[2] - أبوحيان الأندلسي- البحر المحيط- ج:1 - ص: 356.

[3] - ينظر الأزهري- تهذيب اللغة- ج:11 - ص: 74.

[4] - سورة إبراهيم : الآية:22.

[5] - ابن زنجلة- حجة القراءات - ص: 96.

الأولى (وعدنا) على أن الله سبحانه وتعالى صاحب الأمر المطلق وهو الآمر وحده، وهو الذي أكرم سيدنا موسى بهذا الوعد. ودلّت القراءة الثانية (واعدنا) على أن الله سبحانه وتعالى هو صاحب الوعد ، وقد أكرم سيدنا موسى عليه السلام بأن أشركه في المواعدة التي هي من جانبه امتثال لأمر الله سبحانه وتعالى، ومن هذا الوجه تكون هذه الآية الكريمة ظاهرة في الثناء على سيدنا موسى عليه السلام بأنه استجاب وامتثل لأمر الله سبحانه وتعالى في كل ما أمره به.

ويمكن القول أنهما قراءتان قد جاءت بهما الأمة وقرأت بهما القراء وليس في القراءة بإحداهما إبطال معنى الأخرى، وإن كان في إحداهما زيادة معنى على الأخرى من جهة الظاهر والتلاوة، فأما من جهة المفهوم بهما فهما متفقتان؛ وذلك أن من أخبر عن شخص أنه وعد غيره اللقاء بموضع من المواضع، فمعلوم أن الموعود ذلك واعد صاحبه من لقائه بذلك المكان مثل الذي وعده من ذلك صاحبه "[1].

ويمكن الاستخلاص أن معنى واعد بالألف يحتمل معنيين؛ الأول دلالة المشاركة بينهما والمفاعلة، والثاني معنى وعد، ومعنى وعد، الوعد من الله، أي لا دلالة للمشاركة في هذا المعنى.

1 - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 1- ص:221.

المطلب الثالث: الزيادة بالتضعيف[1]

النموذج الأول:

1. الآية:

قال الله جل وعز:(وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)[2].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله كفلها، من حيث التخفيف والتضعيف على وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو الذي سأبينه:

- قرأ عاصم وحمزة والكسائي وكذا خلف وافقهم الأعمش كفَّلها بتشديد الفاء.

- وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب واليزيدي وابن محيصن كفلها بتخفيف الفاء[3].

3. أقوال المفسرين:

أتى المفسرون بمعنى كل قراءة حوتها الآية؛ فبتشديد الفاء ونصب زكريّا على المفعولية أي جعله كافلا لها وذلك أنها كانت يتيمة.

قال الطبري:" اختلفت القراء في قراءة قوله وكفلها فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة وكفلها مخففة الفاء بمعنى ضمها زكريا إليه اعتبارا بقول الله عز وجل يلقون

---

[1] - سأقتصر بتحليل بعض النماذج فقط ، وذلك لكثرة الشواهد التي استعملها الأزهري في هذا الباب، أذكر منها: فرضناها وفرَّضناها بالتشديد في قوله تعالى:(سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا) سورة النور - الآية: 1. والتناد والتنادّ بالتشديد في قوله تعالى:(يَوْمَ التَّنادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ) سورة غافر - الآية: 33/32.وأمَرْنَا وأَمَّرْنَا في قوله تعالى: (إذا أرَدْنا أن نُهلك قَرْيةً أمَرنا مُتر فيها ففسَقوا فيها) سورة الإسراء – الآية: 16. وإيَاهم وإيَّاهم بالتشديد في قوله تعالى:(أن إلينا إيَابَهم)) سورة الغاشية– الآية: 25. وعرف وعرّفَ بالتشديد في قوله تعالى: :(فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ)) سورة التحريم– الآية: 3.

[1] - سورة الفاتحة- الآية: 40. وفرهين وفارهين في قوله تعالى: (وَتَنْحِتُونَ من الجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِين) سورة الشعراء-الآية: .149. ومصر ومصرا في قوله تعالى:(اهْبِطُوا مِصراً فإنّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ). سورة البقرة- الآية:61.

[2] - سورة آل عمران : الآية: 37.

[3]- ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 204. و أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 2- ص: 442.. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:173. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 1- ص:482.

أقلامهم أيهم يكفل مريم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وكفلها زكريا بمعنى وكفلها الله زكريا[1].

ولم يخرج القرطبي على ذلك بل ذكر قصة تبين المعنى والدلالة، مفادها أنه:" حملت امرأة عمران بعد ما أسنت فنذرت ما في بطنها محررا، فقال لها عمران ويحك ما صنعت أرأيت إن كانت أنثى، فاغتما لذلك جميعا فهلك عمران وحنة حامل فولدت أنثى فتقبلها الله بقبول حسن وكان لا يحرّر إلاّ الغلمان، فتساهم عليها الأحبار بالأقلام التي يكتبون بها الوحي على ما يأتي فكفلها زكريا وأخذ لها موضعا"[2].

وذكر ابن كثير أن بني إسرائيل أصابتهم سنة جدب فكفل زكريا مريم لذلك[3].

4. توجيه القراءات:

لم يختلف المفسرون في هذه الآية عن المعنى اللغوي الذي أتى به الأزهري الذي قال:" أي وكفَّلَها الله أي ضمَّنه إياها حتى تكفل بحضانتها، ومن قرأ وكفَلَها زكريّاءُ؛ فالفعل لزكرياء أي ضمن القيام بأمرها"[4].

ولا منافاة بين القولين في القراءتين، والله أعلم، وإنما قدر الله كون زكريا كفلها لسعادتها لتقتبس منه علما جما نافعا وعملا صالحا[5]. فإنما ضمها زكريا إلى نفسه بضم الله إياها إليه.

وذكر القرطبي- رحمه الله- أن القراءتين متداخلتان لأن الله تعالى إذا كفلها زكريّا كفلها بأمر الله ولآن زكريّا إذا كفلها فعن مشيئة الله وقدرته[6].

والخلاصة أن كفَّلها بالتشديد يتعدى إلى مفعولين والتقدير وكفلها ربُها زكريّا أي ألزمه كفالتها وقدر ذلك عليه ويسره له. وأما كفلها، بالتخفيف على إسناد الفعل إلى زكريّا.

---

[1] - الطبري – جامع البيان في تأويل القرآن-ج:3- ص: 242.

[2] - القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج:4 - ص:70.

[3] - ابن كثير – تفسير القرآن العظيم- ج: 1- ص:361.

[4] - ينظر الأزهري- تهذيب اللغة- ج:10 - ص: 235.

[5] - ابن كثير – تفسير القرآن العظيم- ج: 1- ص:361

[6] - القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج:4 - ص:70.

النموذج الثاني:

1. الآيــة:

قال الله جل وعز:(**الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ**)[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى **(فعدلك)** من حيث التشديد أو التضعيف ، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو الذي سأبينه:

- قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف وافقهم الحسن والأعمش بتخفيف الدال.
- وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بتشديد الدال[2].

3. أقول المفسرين:

تكاد تتفق مناهج المفسرين في بيان معنى هذه الآية الكريمة وإن تنوعت ألفاظهم بذلك، ولعلمهم أن معنى الآية الكريمة يعتمد على القراءات الواردة فيها راحوا يفسرون معنى عدل بالتخفيف والتشديد، وفي ذلك يقول الإمام الطبري:" وكأن من قرأ ذلك بالتشديد وجّه معنى الكلام إلى أنه جعلك معتدلا معدل الخلق مقوما، وكأن الذين قرؤوه بالتخفيف وجهوا معنى الكلام إلى صرفك وأمالك إلى أي صورة شاء؛ إما إلى صورة حسنة وإما إلى صورة قبيحة أو إلى صورة بعض قراباته"[3].

يفهم من قول الطبري أن معنى التشديد عدّلك ركبك تركيبا قويما معتدلا في أحسن الأشكال وأجمل الهيئات وألطف السمات، ومتناسب الأعضاء، ليست يد أو رجل أطول من الأخرى. ومعنى القراءة بالتخفيف. الإمالة أي فصرفك وأمالك إلى أي صورة شاء حسنا وقبيحا وطويلا وقصيرا.

---

[1] - سورة الإنفطار : الآية: 7.

[2]- ابن مجاهد- ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 674. الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 2. ص:211. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 22- ص:55. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 8- ص: 428. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:434. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 10- ص:337/336.

3 - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 22- ص:75.

ولم يخرج أبو حيان الأندلسي على هذا المعنى إلا أنه زاد أن القراءة بالتخفيف لها معنى التشديد فقال رحمه الله:" وقراءة التخفيف إما أن تكون كقراءة التشديد أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت وإما أن يكون معناه فصرفك يقال عدله عن الطريق أي عدلك عن خلقة غيرك إلى خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق أو فعدلك إلى بعض الأشكال والهيئات والظاهر"[1].

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون قال، ونقل الكلام عن الفراء،:" قال الفراء من خفّف فوجهه والله أعلم فصرفك إلى أيّ صورة شاء إما حَسَن وإما قبيح وإما طويل وإما قصير، ومن قرأ فَعَدَّلك، فشدد وهو أعجب الوجهين إلى الفراء وأجودهما في العربية، ومعناه جعلك مُعْتَدِلاً مُعْدَّلَ الخَلْق"[2].

ولعل ابن خلويه في الحجة في القراءات السبع وافق المفسرين والأزهري في دلالة القراءتين بقوله:" فوجه التشديد فيه قومك وساوى بين ما ازدوج من أعضائك ووجه التخفيف انه صرفك إلى أي صورة شاء من طويل وقصير وحسن وقبيح"[3].

يمكن الاستخلاص أن معنى عدّلك بالتشديد وهو التقويم، وبالتخفيف بمعنى صرفك. كما يمكن الجمع بين القراءتين؛ فعدلك، بالتخفيف، أي صرفك ومال بك إلى الصورة الجميلة كأنه عدّلك وقوّمك.

النموذج الثالث:

1. الآية:

قال الله جل وعز: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾[4].

---

[1] - أبوحيان الأندلسي- البحر المحيط- ج:8 - ص: 428.

[2] - ينظر الأزهري- تهذيب اللغة- ج:11 - ص: 74.

[3] - ابن خلويه- الحجة في القراءات السبع- ص: 364.

[4] - سورة الإسراء- الآية:106.

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى (فنقبوا) من حيث زيادة إسناد الفعل بين الناضي والأمر على وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو التالي:

- قرأ الجمهور فَرَقناه بتخفيف الراء.

- وقرأ أبيّ وعبد الله وعليّ وابن عباس وأبو رجاء وقتادة والشعبي وحميد وعمرو بن قائد وزيد بن عليّ وعمرو بن ذر وعكرمة والحسن بخلاف عنه فرَّقناه بتشديد الراء [1].

3. أقوال المفسرين:

أورد الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة قولا شافيا في بيان معاني القراءات الكريمة الواردة فيها، ورجح القراءة بالتخفيف لإجماع الجمهور القراءة بها، حيث قال:" وقرآنا فرقناه لتقرأه اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار فرقناه بتخفيف الراء من فرقناه بمعنى أحكمناه وفصلناه وبيناه وذكر عن بن عباس أنه كان يقرؤه بتشديد الراء فرقناه بمعنى نزلناه شيئا بعد شيء آية بعد آية وقصة بعد قصة، وأولى القراءتين بالصواب عندنا القراءة الأولى لأنها القراءة التي عليها الحجة مجمعة ولا يجوز خلافها"[2].

ولم يخرج القرطبي على تلك الدلالة التفسيرية للآية حيث قال:" وقرأ جمهور الناس فرقناه بتخفيف الراء ومعناه بيناه وأوضحناه وفرقنا فيه بين الحق والباطل...وفرّقناه بالتشديد أي أنزلناه شيئا بعد شيء لا جملة واحدة"[3]

يظهر من تفسير الطبري القرطبي للآية أن القراءة بالتخفيف غير القراءة بالتشديد، وذالك أن معنى التخفيف كون القرآن الكريم جاء موضحا للأحكام ومبينا لها، والقراءة بالتشديد من التفريق أي التقسيم.

---

[1] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 9- ص:105. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 15- ص:187. القرطبي – الجامع لأحطام القرآن- ج: 10- ص: 339. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 6- ص: 87. ابن الزجري- النشر في القراءات العشر- ج: 2- ص:225. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:287. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 5- ص:133.

[2] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج: 15- ص:187.

[3] - القرطبي – الجامع لأحكام القرآن- ج: 10- ص:339.

وزاد أبو حيان الأندلسي دلالة جديدة للقراءة بالتشديد وهي :" فرقنا آياته بين أمر ونهي وحكم وأحكام ومواعظ وأمثال وقصص وأخبار مغيبات أتت وتأتي"[1].

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة ولم يخرج عما ذكره المفسرون قال رحمه الله:" وقرى ء(فَرَّقْناه) أنزَل الله جلّ وعزّ القرآن جملةً إلى سَماء الدُّنيا، ثم نَزَل على النبي صلى الله وعليه وسلم في عشرين سنة فرَّقه الله في التنزيل ليَفهمَه الناس، و(فَرَقناه) معناه أحكمناه"[2].

واستشهد على دلالة القراءة بالتخفيف بقوله تعالى:﴿مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[3].

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة على وجه من القراءة دون غيره ؛ حيث دلّت القراءة الأولى بالتخفيف (فرقناه) على أن الله سبحانه وتعالى بيَّن حلاله وحرامه وفرق عز وجل فيه بين الحق والباطل وأحكمه وفصله، ودلّت القراءة الثانية (فرّقناه) بالتشديد على أن الله سبحانه أنزل القرآن منجما، نجماً بعد نجم، بحسب الأحداث والمناسبات.

1 - أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 6- ص: 84.

2 - الأزهري- تهذيب اللغة- ج:9 - ص: 105.

3 - سورة الدخان- الآية:4.

المطلب الرابع: زيادة النون

1. الآية:

قال الله جل وعز: (وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ)[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى (صَوَافّ) من حيث زيادة النون على وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو التالي:

- قرأ الجمهور (صَوَافّ) بدون نون.

- وقرأ عبد الله بن مسعود وابن عمر وابن عباس وقتادة ومجاهد وعطاء والضحاك والكلبي والأعمش (صَوَافِن) بالنون جمع صافنة 2.

3. أقوال المفسرين:

تكاد تتفق مناهج المفسرين في بيان معنى هذه الآية الكريمة وإن تنوعت ألفاظهم بذلك، ولعلمهم أن معنى الآية الكريمة يعتمد على القراءات الواردة فيها راحوا يفسرون معنى صواف وصوافن بالنون، وفي ذلك يقول الإمام الطبري:" صواف بمعنى مصطفة واحدها صافة وقد صفت بين أيديها وروي عن بن مسعود أنه قرأه صوافن بمعنى معقولة "[3].

ولم يخرج القرطبي على تلك الدلالة التفسيرية للآية حيث قال:" وصواف قراءة الجمهور بفتح الفاء وشدها من صف يصف وواحد صواف صافة وواحد صوافي صافية...صوافن بالنون جمع صافنة...والصافنة هي التي قد رفعت إحدى يديها بالعقل لئلا تضطرب"[4].

---

[1] - سورة الحج- الآية:36.

[2]- الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 12- ص:206. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج: 17- ص:163. القرطبي- الجامع لأحطام القرآن- ج: 12- ص: 62. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 6- ص: 369. ابن الزجري- النشر في القراءات العشر- ج: 2- ص:225. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:287. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 6 ص:117/115.

[3] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج: 17-ص:163/163.

[4] - القرطبي – الجامع لأحكام القرآن- ج: 12ص:62.

ووضح أبو حيان الأندلسي دلالة للقراءة بالنون بقوله وهي :" صوافن بالنون والصافنة من البدن ما اعتمدت على طرف رجل بعد تمكنها بثلاث قوائم وأكثر ما يستعمل في الخيل"[1].

يظهر من تفسير الطبري والقرطبي وأبي حيان للآية أن القراءة دون نون يختلف معناها عن القراءة بها، حيث ذكروا أن معنى (صوافن) معقولة، ومعنى (صواف) أي يصف بين يديها.

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة، وبيّن حجة كل من قرأ بالنون، فال رحمه الله:" كان ابنُ مسعود وابنُ عباس يقرآن قولَ الله جلّ وعزّ (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافِنَ)[2]بالنون فأمَّا ابن عباس ففسَّرها مَعقولةً إحدى يدَيْها على ثلاثِ قوائم، وأما ابن مسعود فقال يعني قياما"[3]، ومنه قول عمرو بن كلثوم:

تَـــرَكْنا الخَيلَ عـــاكِفَةً عَلَيهِ	≅	مُـــقَلَّدَةً أَعِـــنَّتَها صُـــفونا[4]

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة على وجه من القراءة دون غيره ؛ حيث دلّت القراءة الأولى (صواف) على أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده عند ذبح الشاة بذكر الله حال كونها صواف، أي قائمات قد صففن أيديهن وأرجلهن فهو جمع صافة، ودلت القراءة الثاني بالنون(صوافن) بالنون جمع صافنة وهو إما من صفن الرجل إذا صف قدميه فيكون بمعنى صواف، أو من صفن الفرس إذا قام على ثلاث.

---

1 - أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 6- ص: 84.

2 - سورة الحج- الآية:36.

3 - الأزهري- تهذيب اللغة- ج:12 - ص: 145.

4 - الصفون جمع صافن وقد صفن الفرس يصفن صفونا إذا قام على ثلاث قوائم وثنى سنبكه الرابع. ينظر: أبو عبد الله الحسين بن احمد الزوزني- شرح المعلقات السبع – تحقيق :لجنه التحقيق في الدار العالمية- دار العالمية- د.ط- 1993م- أحمد الأمين الشنقيطي- المعلقات العشر وأخبار شعرائها- دار النصر للطباعة والنشر- ط:1-د.ت- ص:110

المبحث الرابع

على مستوى إبدال الحروف من كلمة واحدة

إبدال العين غينا

إبدال الراء زايا

إبدال الضاد ظاء

إبدال الحاء خاء

إبدال الدال ذالا

إبدال القاف كافا

إبدال الضاد صادا

المبحث الرابع: على مستوى إبدال الحروف من كلمة واحدة

المطلب الأول: إبدال العين غينا

1. الآيـــــة:

قال الله جل وعز: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1].

2. القراءات الواردة في هذه الآية الكريمة:

تنوعت أوجه الأداء في قوله تعالى:(قَدْ شَغَفَهَا) على وجهين بَيّنَهما أهل الاختصاص على النحو الآتي:

- قرأ الجمهور (قد شغفها) بالغين.

وقرأ أبو جعفر محمد، وابن محيصن، والحسن، وأبو رجاء، والشعبي (قد شعفها) بالعين غير المعجمة.[2]

3. أقوال المفسرين في الآية الكريمة:

دارت أكثر أقوال المفسرين في بيانهم لمعنى هذه الآية الكريمة على بيان معنى كل وجه من أوجه القراءة الواردة فيها:

فأما القراءة الأولى فقد قال فيها الطبري في تفسيره لهذه الآية:" قد وصل حبُّ يوسف إلى شَغَاف قلبها فدخل تحته، حتى غلب على قلبها"[3]. والشغاف هو غِلافُ القَلْب وهو جلدة دُونَه كالحجاب يقال لها لسان القلب يقول دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب[4].

وإلى المعنى نفسه أشار الزمخشري بقوله:" شَغَفَهَا خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد والشغاف حجاب القلب"[1]

---

[1] - سورة يوسف ، الآية: 30

[2] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 1- ص:438. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 16- ص: 68. القرطبي – الجامع لأحكام القرآن- ج: 9- ص: 176. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 5- ص: 301. البغوي- معالم التنزيل- ج: 4- ص:236. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:231. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 4- ص:238.176..

[3]- الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 12 - ص: 63. و القرطبي – الجامع لأحكام القرآن-ج: 6 - ص: 129.

[4]- ابن منظور – لسان العرب-ج: 9 - ص: 178.

أما القراءة الثانية بالعين فمعناه قد ذهب بها يوسف كل مذهب، لأن شعاف الجبال أعاليها كما ذكر ذلك الزبيدي في تاج العروس[2].

وبين معناها الزمخشري قائلا:" وقرئ (شعفها) بالعين من شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران"[3].

و لم يخرج القرطبي في معنى القراءة بالعين عما ذكره سابقوه وهو أحرق حبه قلبها[4].

وذكر الطبري الشعف في البغض والشغف في الحب[5].

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري تباين معنييهما بعدما استشهد بالقراءتين وأعطى لكل قراءة دلالتها بقوله:" من قرأها(شَعَفَهَا حُبًّا) فمعناه تيمها ومن قرأها(شَغَفَهَا) قال: أصاب شغَافَها... شَعَفه الحبُّ إذا بلغ منه، وفلانٌ مشعوفٌ بفلانة، وقد شعفَه حبُّها، ويقال شَعَفَ الهِناءُ البعير إذا بلغ منه ألمه"[6].

والملاحظ من نص الأزهري هذا أنه لم يخرج عن أقول المفسرين في دلالة أوجه القراءة بالعين والغين. وهي التتيم بالنسبة للقراءة الأولى، وإصابة القلب بالنسبة للقراءة الثانية.

وذكر صاحب الإتحاف المعنى نفسه على القراءتين:" شعفها بالعين المهملة قيل الشعف الجنون وقيل من شعف البعير إذا حناه بالقطران فأحرقه والجمهور بالغين المعجمة أي حرق شغاف قلبها"[7]

إلا أن هذا التباين ليس فيه تضاد؛ فالقراءة الثانية وضّحت وكمّلت معنى القراءة الأولى، فكأن حبها له وصل إلى سويداء قلبها وتمكن منه حتى بلغ منها كل مبلغ.

---

[1]- الزمخشري- الكشاف- ج: 2 - ص: 436.

[2] - ينظر : الزبيدي – تاج العروس- ج: 4 - ص: 140.

[3]-- الزمخشري- الكشاف- ج: 2 - ص: 436.

[4]-ينظر- القرطبي – الجامع لأحكام القرآن-ج: 6 - ص: 129.

[5]- ينظر - الطبري - جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 12 - ص: 63.

[6] - الأزهري – تهذيب اللغة ج: 1 - ص: 438.

[7]- شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:231.

المطلب الثاني: إبدال الراء زايا

1. الآيـــة:

قال الله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى(نُنشِزُهَا) من حيث الإبدال على وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو التالي:

- قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ننشرها بالراء.
- قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي نشزها بالزاي[2].

3. أقوال المفسرين:

أورد الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة قولا شافيا في بيان معاني القراءات الكريمة الواردة فيها، حيث قال عن القراءة الأولى بالزاي:" ننشزها بضم النون وبالزاي وذلك قراءة عامة قراءة الكوفيين بمعنى وانظر كيف نركب بعضها على بعض وننقل ذلك إلى مواضع من الجسم وأصل النشز الارتفاع... كيف نرفعها من أماكنها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسم"[3].

وأما القراءة بالراء فإن الطبري ذكر معناها بقوله:" ننشرها- بالراء- بضم النون قالوا من قول القائل أنشر الله الموتى فهو ينشرهم إنشارا، وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة بمعنى وانظر إلى العظام كيف نحييها ثم نكسوها لحما"[4]

---

[1]- سورة البقرة : الآية: 259.

[2]- ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 180. الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 1- ص:438. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 3- ص:30. القرطبي – الجامع لأحكام القرآن- ج: 3- ص: 295. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 2- ص: 305. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:164. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 1- ص:372.

[3] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 3- ص:43.

[4] - المصدر نفسه- ج: 3- ص:44.

يظهر من تفسير الطبري للآية أن المعنى انظر إلى عظامك كيف ننشزها بعد بلاها ثم نكسوها لحما فنحييها بحياتك فتعلم كيف يحيي الله القرى وأهلها بعد مماتها؛ فكيف ننشزها أي كيف نرفعها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد، وأما ننشرها من أنشر الله تعالى الموتى أحياها ثم نكسوها لحما أي نسترها به كما نستر الجسد باللباس. وانظر إليها مركبة مكسورة وكيفية إنشازها وبسط اللحم عليها.

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة و لم يخرج عما ذكره المفسرون قال رحمه الله:" والإِنْشَازُ نَقْلُها إلى مَوْضِعها قال وبالزَّاي قرأَها الكوفيون"[1].

وبعدما أتى بأقوال بعض العلماء في هذا المعنى تحدث عن القراءة بالراء وقال:" من قرأها (كيف نُنشْرُها) بضم النون فإنشارها إحْياؤُها... فكأنه يَذْهَب إلى النشرِ والطّيّ، والوجه أن يقال أنشرَ اللّهُ الموْتى فنَشروا هم، إذا حَيُوا"2.

واستشهد بقول الأعشى:

حتى يَقولَ النّاس ما رَأَوْا	≅	يا عَجَباً لِلمَيّتِ النّاشِرِ

وزاد ابن خلويه المعنى إيضاحا وتابعه أبو حيان الأندلسي حين ذكرا أن معنى قراءة ننشرها أي: إحياؤها وبعثها بعد موتها، وأما قراءة ننشزها فمعناها نرفعها والإنشاز نقلها إلى موضعها برفع بعضها إلى بعض وتركبه على حالته الأولى، فترفع العظام وتركب للإحياء، ومنه نشوز المرأة وهو ارتفاعها على زوجها..3.

وقد جمع بين القراءتين ابن مجاهد بعدما بين دلالة كل قراءة بقواه:" بالراء وبالزاي لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هي العظام وذلك أن الله تعالى أنشرها أي أحياها وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت، فأخبر سبحانه أنه جمع لها هذين الأمرين من إحيائها بعد

---

[1]- الأزهري- تهذيب اللغة- ج:11 - ص: 200.

[2]- المصدر نفسه - ج:11 - ص: 232.

[3]- الحسين بن أحمد بن خلويه - الحجة في القراءات السبع- ص:321. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج:1- ص:296.

الممات، ورفع بعضها إلى بعض لتلتئم، فضمن تعالى المعنيين في القراءتين تنبيها على عظيم قدرته"[1]

فحاصل ما قال الأزهري وابن مجاهد وابن خلويه أن الله بين كـــــــيفية إحياء الموتى، وذلك بإحياء العظام وبعثها من موتها التي كانت فيها كما دلت عليه القراءة بالـــــراء، وبينت القراءة بالزاي كيفية إحياء العظام، وذلك برفع بعضها إلى بعض حتى التأمت فضمن الله تعالى المعنيين في القراءتين، فأخبر سبحانه أنه جمع لها هذين الأمرين من إحيائها بعد الممات ورفع بعضها إلى بعض لتجتمع بعد تفرق فضمن تعالى المعنيين- كما قال ابن مجاهد- في القراءتين تنبيهاً على عظيم قدرته فدل بالقراءتين على عظيم قدرته سبحانه في البعث والإحياء والتركيب من غير تناقضٍ أو تباينٍ أو تضادٍ فيهما.

[1]- ابن مجاهد- السبعة في القراءات- ص:49.

المطلب الثالث: إبدال الضاد ظاء

1. الآيـــــة

قال الله تعالى: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ)[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى(بِضَنِينٍ) من حيث الإبدال واختلاف الحروف على وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو التالي:

- قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بِضنين بالضاد.
- وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس بظنين بالظاء[2].

3. أقوال المفسرين:

تدور أقوال المفسرين في الآية المباركة بشرح معنى كل قراءة من القراءتين، فهذا الطبري بين دلالة القراءتين بقوله:" بضنين بالضاد بمعنى أنه غير بخيل عليهم بتعليمهم ما علمه الله وأنزل إليه من كتابه...وبظنين بالظاء بمعنى أنه غير متهم فيما يخبرهم عن الله من الأنباء"[3].

ووافقه القرطبي على ذلك، فقال:" بالظاء قراءة بن كثير وأبي عمرو والكسائي أي بمتهم والظنة التهمة... وقرأ الباقون بضنين بالضاد أي ببخيل"[4].

وحاصل ما قال الطبري والقرطبي أن بضنين بالضاد، معناه ببخيل، أي ليس بخيل بالوحي بما أنزل الله من القرآن فلا يكتمه أحداً، تقول العرب: ضننت بالشيء أضن به: إذا بخلت به و لم يشذ عن هذه المعاني جمهور المفسرين وأصحاب كتب علل القراءات[5].

---

[1]- سورة التكوير : الآية: 24.

[2]- ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 673. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 8- ص:423/422. ابن الزجري – النشر في القراءات العشر- ج: 2- ص:398. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:574. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج:10- ص:330.

[3]- الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج: 30- ص:81.

[4]- القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 19 - ص:242.

[5]- ينظر: الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج: 80 ص: 44. و القرطبي- الجامع لأحكام القرآن-ج: 19 - ص: 242.

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة و لم يخرج عما ذكره المفسرون، قال رحمه الله:" الظَّنِينُ المعادِي والظَّنِينُ المتَّهم الذي تُظَن به التهمة ومصدرُه الظِّنَّة بالتشديد، والظَّنون الرجلُ السيئ الظَّنِّ بكل أحد والظَّنُون الرجلُ القليل الخيرِ... وقول الله جلّ وعزّ(وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ)[1] معناه ما هو على ما ينبئُ عن الله من علم الغيب بمُتَّهمٍ"[2].

وقد جمع بين المعنيين ابن مجاهد حين تحدث عن أوجه اختلاف القراءات بقوله:" بالظاء وبالضاد؛ لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هو النبي ε وذلك أنه كان غير ظنين على الغيب أي غير متهم فيما أخبر به عن الله تعالى وغير ضنين به أي غير بخيل بتعليم ما علمه الله وأنزله إليه فقد انتفى عنه الأمران جميعا فأخبر الله تعالى عنه بهما في القراءتين

وبهذا يتحصل أن القراءتين وإن اختلف لفظهما فلم يتناقض أو يتضاد معناهما، بل تصدق بعضهما بعضاً، وكل قراءة تزيد معنى جديداً تكمل به القراءة الأخرى، وذلك أنه صلى اله عليه وسلم كان غير متهم فيما أخبر به عن الله عز وجل، وغير بخيل بتعليم ما علمه الله وأنزله إليه فقد انتفى عنه الأمران جميعاً، فأخبر الله تعالى عنه بهما في القراءتين.

والمفيد في الكتب التي اختصت بالحديث عن الظاء والضاد في القراءة والأداء هو انفرادها برواية النظائر بشيء من التوسع والشمول والاعتماد على ما قرره علماء اللغة في معجماتهم، كما أنها أصبحت مضان الدارسين في هذا الباب، لأنها عالجت ما أصاب بعض المتأخرين من الخلط بين الحرفين في النطق مع أن معناهما مختلف في بناء الكلمة، مثلما رأينا في دلالة القراءتين، فوضعت هذه الكتب الضوابط للتفريق بين الحرفين مع ذكر المعاني التي تدل عليها هذه الألفاظ.

---

[1]- سورة التكوير : الآية: 24.

[2]- الأزهري – تهذيب اللغة – ج: 14- ص:260.

المطلب الرابع: إبدال الحاء خاء

1. الآيـــــة:

قال الله جل وعز: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى (سَبْحاً) من حيث الإبدال على وجهين بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو التالي:

- قرأ الجمهور غير حمزة (سبحا) بالحاء.
- وقرأ ابن يعمر وعكرمة وابن أبي عبلة سبخاً بالخاء[2].

3. أقوال المفسرين:

تكاد تتفق مناهج المفسرين في بيان معنى هذه الآية الكريمة وإن تنوعت ألفاظهم بذلك، ولعلمهم أن معنى الآية الكريمة يعتمد على القراءات الواردة فيها راحوا يفسرون معنى سبحا وسبخا

فهذا الزمخشري يبن دلالة القراءتين في الآية الكريمة بقوله:" سَبْحاً تصرفاً وتقلباً في مهماتك وشواغلك ولا تفرغ إلا بالليل، فعليك بمناجاة الله التي تقتض فراغ البال وانتفاء الشواغل، وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه لانتشار الهم وتفرّق القلب بالشواغل"

ولم يخرج القرطبي عما ذكره الزمخشري إلا أنه أضفى على الآية نوعا من الدلالات التفسيرية لكل قراءة، فقال:" قراءة العامة بالحاء غير معجمة أي تصرفا في حوائجك وإقبالا وإدبارا وذهابا ومجيئا والسبح الجري والدوران، ومنه السابح في الماء لتقلبه بيديه ورجليه، وفرس سابح شديد الجري ...وقيل السبح الفراغ؛ أي إن لك فراغا للحاجات بالنهار وقيل إن لك

---

[1] - سورة المزمل- الآية:7.

[2] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 4- ص:337. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج: 29- ص:84. القرطبي- الجامع لأحطام القرآن- ج: 19- ص: 43. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 8- ص: 363. ابن الزجري- النشر في القراءات العشر- ج: 2- ص:384. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:420. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 9 ص:334.

في النهار سبحا أي نوما، والتسبح التمدد، وقرأ يحيى بن يعمر وأبو وائل سبخا بالخاء المعجمة ومعناه النوم روى ذلك عن القارئين بهذه القراءة وقيل معناه الخفة والسعة والاستراحة "[1].

يمكن الاستنتاج من قول الزمخشري والقرطبي أن للفظة سبحا دلالات تفسيرية عديدة، منها: التصرف والجري والدوران والفراغ، ومن معاني لفظة سبخا عنده النوم أو الخفة أو السعة أو الاستراحة.

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة، واستشهد على ذلك بالعديد من الشواهد القرآنية والحديثية وغيرهما، وذكر أقوال من أخذ عنهم بنصهم، يقول في ذلك:" قال الليث معناه فراغاً للنوم ويكون السَّبْحُ أيضاً فراغاً بالليل، وقال الفرَّاء يقول لك في النهار ما تقضي حوائجك وقال أبو إسحاق سَبْحاً طويلاً قال فَرَاغاً وتَصَرُّفاً، ومن قرأ سَبْخاً فهو قَرِيبٌ من السَّبْح، وقال ابن الأعرابي من قرأ سَبْحاً فمعناه اضطراباً ومعاشاً، ومن قرأ سَبْخاً أراد راحـــة وتخفيفاً للأبدان، وقال ابن الفَرَج سمعتُ أبا الجهم الجَعْفَري يقول سَبَحْتُ في الأرض وسَبَخْتُ فيها إذا تباعدت فيها... سَبْحاً طويلاً أي مُنْقَلَباً طويلا "[2].

والملاحظ من هذا النص أن الأزهري لم يظهر رأيه في دلالة أوجه القراءة، وإنما أتى بأقوال العلماء في معاني القراءتين، وأن هناك تجاوبا بين ما ذكره هو وما ذكره المفسرون؛ فالقراءة بالحاء معناها يختلف عن معنى القراءة بالخاء كما بين إلا أنه بين أن معناهما قريب على حسب قول أبي إسحاق الذي ذكره في نصه السابق.

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة على وجه من القراءة دون غيره؛ حيث دلّت القراءة الأولى بالحاء على أن الله سبحانه وتعالى قال لمحمد صلى الله عليه وسلّم بأن لك في النهار تصرفا في أمورك وحوائجك، ودلّت القراءة الثانية بالخاء على أن الله سبحانه وتعالى قال لمحمد صلى الله عليه وسلّم بأن لك راحة ونوما بالنهار، وكأن القراءة بالحاء تدل على أن محمد صلى الله عليه وسلم سيستريح ليلا من مشاغل النهار، وأما القراءة بالخاء تنبئ بأن محمد صلى الله عليه وسلم ينام ويستريح بالنهار ليستعدّ لقيام الليل.

---

[1] - الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج: 27- ص:129

[2] - الأزهري- تهذيب اللغة- ج:14 - ص: 369.

المطلب الخامس: إبدال الدال ذالا

1. الآيـــــة:

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى(حَاذِرُونَ) من حيث الإبدال واختلاف الحروف على وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو التالي:

– قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش وزيد بن علي ابن ذكوان وهشام من طريق الداجوني حَاذِرُونَ بالذال.

– وقرأ ابن مسعود وأبو عماد سميط بن عجلان وابن أبي عمار وابن السميفع حادرون بالدال المهملة[2].

3. أقوال المفسرين:

تدور أقوال المفسرين في الآية المباركة بشرح معنى كل قراءة من القراءتين، فهذا الطبري بين دلالة القراءة بالدال بقوله:" وإنا لجميع حاذرون بمعنى أنهم معدون مؤدون ذوو أداة وقوة وسلاح"[3].

إلا أن الطبري لم يشر في كتابه إلى القراءة بالدال.

بين الزمخشري تغاير معنييهما وأشار إلى كل معنى منهما بقوله:" والحاذر الذي يجدّد حذره وقيل المؤدي في السلاح وإنما يفعل ذلك حذراً واحتياطاً لنفسه والحادر السمين القوي أراد أنهم أقوياء أشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة في أجسامهم"[4].

وأما القرطبي فإنه ذكر معنى القراءتين بقوله:"ومعنى حاذرون متأهبون...أما(حَادِرُونَ) بالدال فمشتق من قولهم عين حدرة أي ممتلئة أي نحن ممتلئون غيظا عليهم"[1].

---

[1]– سورة الشعراء : الآية: 56.

[2]– ابن مجاهد– السبعة في القراءات – ص: 471. الأزهري – تهذيب اللغة – ج: 4– ص:409. أبو حيان الأندلسي– البحر المحيط–ج: 7– ص:18. ابن الزجري – النشر في القراءات العشر– ج: 2– ص:335. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي– إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر– ص:332. ود. عبد اللطيف الخطيب– معجم القراءات–ج:6– ص:421.

[3]– الطبري– جامع البيان في تأويل القرآن–ج: 19– ص:77.

[4]– الزمخشري – الكشاف– ج: 3– ص:321.

وحاصل ما قال الطبري والزمخشري والقرطبي أن حاذر بالألف اسم فاعل يفيد التجدد والحدوث، والحاذر التام السلاح بمعنى صاحب حذر، وأما القراءة بالدال حادرون فهي من قولهم عين حدرة والمعنى ممتلئون غيظا وأنفة أو أنهم أقوياء أشداء.

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة، حيث بدأ ذلك الاستشهاد على القراءة بالدال، قال رحمه الله،:"وروي عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ قول الله جلّ وعزّ:(**وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ**)[2].بالدال وقال مُؤدون بالكُرَاع* والسِّلاح... والقراءة بالذال حاذِرون لا غير والدَّال شاذَّةٌ لا يجوز عندي القراءة بها"[3].

والملاحظ من قول الأزهري أنه بين دلالة القراءة بالدال، وردّها لكونها شاذة.

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة على وجه من القراءة دون غيره؛ حيث دلّت القراءة الأولى بالذال (حاذرون) على أنهم مستعدون لأي هجوم، ودلت القراءة الثاني بالدال (حادرون) على أنهم أقوياء وأشداء، أو أنهم ممتلئون غيظا.

---

[1]- القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 13 - ص:111.

[2]- سورة الشعراء : الآية: 56.

*- الكراع من الإنسان ما دون الركبة إلى الكعب ومن الدواب ما دون الكعب. ابن منظور- لسان العرب-ج: 8 - ص:306.

[3]- الأزهري – تهذيب اللغة - ج: 4- ص:409.

المطلب السادس: إبدال القاف كافا

1. الآيـــــة:

قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى(تَقْهَرْ) من حيث الإبدال واختلاف الحروف على وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو التالي:

- قرأ الجمهور بالقاف تقهر.
- وقرأ عبد الله ابن مسعود وإبراهيم التيمي والنخعي والشعبي والأشهب العقيلي تكهر بالكاف[2].

3. أقوال المفسرين:

لعلم أهل التفسير بما للقراءات القرآنية الكريمة من عميق أثر في الكشف عن معاني الآيات الكريمة فإنهم لا يكادون يدعون آية تنوعت أوجه أدائها إلا حاولوا بيان معاني هذه الأوجه والجمع بينها. وهذا أمر جلي في أقوالهم ، ومن ذلك ما أورده الإمام القرطبي(﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾[3]. أي لا تسلط عليه بالظلم أدفع إليه حقه وأذكر يتمك قاله الأخفش وقيل هما لغتان بمعنى، وعن مجاهد فلا تقهر فلا تحتقر، وقرأ النخعي والأشهب العقيلي تـــكهر بالكـــاف، وكذلك هو في مصحف ابن مسعود فعلى هذا يحتمل أن يكون نهيا عن قهره بظلمه وأخذ ماله"4.

---

[1]- سورة الضحى : الآية: 9.

[2]- ابن مجاهد- السبعة في القراءات – ص: 673. الأزهري – تهذيب اللغة - ج: 6 - ص:11. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 8- ص:423/422. ابن الزجري – النشر في القراءات العشر- ج: 2- ص:398. شهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص:574. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج:10- ص:330.

[3]- سورة الضحى : الآية: 9.

[4]- القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 20 - ص:100.

وزاد الزمخشري المعنى وضوحا بقوله:" فَلاَ تَقْهَرْ فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود (فَلَا تَكْهَرْ)وهو أن يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه "[1].

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة القراءة بالكاف ورجح كون معنييهما واحد، وهذا خلاف لما ذكره المفسرون، قال رحمه الله،:"الكَهْر الانتهارُ، يقال منه كَهَرْتُ الرجلَ، وأنا أكهَرُهُ كَهْراً وهي في قراءة عبد الله (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)[2].قلت معناه لا تَقْهَرْه على ماله... الكَهْر القـــهر، والكَهْرُ عبوس الوجه، والكَهْرُ الشَّتْمُ، والكَهْرُ المصاهرةُ"[3].

والملاحظ من قول الأزهري أنه جعل دلالة القهر نفسها دلالة الكهر ثم ذكر بعض المعاني منها القهر والشتم عبوس الوجه .واستشهد على هذا المعنى بحديث معاويةَ بنِ الحكمِ السُّلَمِيِّ أنه قال: « **ما رأيت معلّماً أحسن تعليماً من النبي صلى الله عليه وسلم والله ما كَهَرني ولا شتمني**»[4].

إن تنوع القراءات القرآنية الكريمة في هذه الآية الكريمة يظهر العديد من المعاني التي لم تكن لتظهر لو اقتصرت الآية الكريمة على وجه من القراءة دون غيره؛ حيث دلّت القراءة الأولى بالقاف (تقهر) على أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله وعليه وسلم أن لا يقهر اليتيم ولا تأخذ ماله وتظلمه، ودلت القراءة الثاني بالكاف (تكهر) على أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله وعليه وسلم أن لا يشتم اليتيم ولا تجعل وجهك عبوسا. ولا تضـــاد في القـــــراءتين، وذلك أنه مطلوب من المرء أن لا يظلم اليتيم بل أكثر من ذلك أن لا يشتمه ولا يدير عنه وجهه.

---

[1]- الزمخشري – الكشاف- ج: 3- ص:321.

[2]- سورة الضحى : الآية: 9.

[3]- الأزهري – تهذيب اللغة - ج: 6- ص:11.

[4]- مسلم بن الحجاج النيسابوري- صحيح مسلم- ج: 1- ص:381.

المطلب السابع: إبدال الضاد صادا

1. الآيـــــة

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾[1].

2. القراءات الواردة:

اختلفت القرّاء في أوجه الأداء في قوله تعالى(ضَلَلْنَا) من حيث الإبدال واختلاف الحروف على وجهين، بيَّنهما أهل الاختصاص على النحو التالي:

- قرأ الجمهور ضللنا بالضاد .

- وقرأ علي وابن عباس والحسن والأعمش وأبان بن سعيد بن العاص وقتادة صللنا بالصاد الراء[2].

3. أقوال المفسرين:

تدور أقوال المفسرين في الآية المباركة بشرح معنى كل قراءة من القراءتين، فهذا الطبري بين دلالة القراءتين بقوله:" يقول تعالى ذكره وقال المشركون بالله المكذبون بالبعث أئذا ضللنا في الأرض أي صارت لحومنا وعظامنا ترابا في الأرض... وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ أئذا صللنا بالصاد بمعنى أنتنا من قولهم صل اللحم وأصل إذا أنتن وإنما عنى هؤلاء المشركون بقولهم أئذا ضللنا في الأرض أي إذا هلكت أجسادنا في الأرض لأن كل شيء غلب عليه غيره حتى خفي فيما غلب فإنه قد ضل فيه"[3].

ووافقه القرطبي على ذلك، فقال:" هذا قول منكري البعث أي هلكنا وبطلنا وصرنا ترابا وأصله من قول العرب ضل الماء في اللبن إذا ذهب... وقرأ الأعمش والحسن صللنا بالصاد أي أنتنا وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه "[4].

---

[1]- سورة السجدة- الآية: 10.

[2]- الأزهري- تهذيب اللغة- ج: 11 ص:113. الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- ج: 21- ص:61. القرطبي – الجامع لأحكام القرآن- ج: 14- ص: 91. أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 7- ص: 200. وشهاب الدين أحمد بن محمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- ص: 450. ود. عبد اللطيف الخطيب- معجم القراءات-ج: 7- ص:225/224.

[3]- الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن-ج: 21- ص:96.

[4]- القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- ج: 14 - ص:92.

وحاصل ما قال الطبري والقرطبي وغيرهما من المفسرين[1]، أن ضللنا بالضاد الهلاك والبطلان، وبالصاد صللنا أي أنتنّا.

4. توجيه القراءات:

بيّن الأزهري دلالة كل قراءة و لم يخرج عما ذكره المفسرون.

أما بالنسبة للقراءة بالضاد ضللنا، فأنه قال:" وقوله عزّ وجلّ ﴿وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾[2].معناه أئذا مِتْنَا وصِرْنا تُراباً وعِظاماً فضللنا في الأرض فلم يتبيَّن شيءٌ من خَلْقِنا "[3].

أما بالنسبة للقراءة بالصاد فقد استشهد بهذا الوجه وبين دلالته بقوله:"مَنْ قرأ﴿أَئِذَا صَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾[4] بالصاد فهو على ضربين أحدهما أَنْتَنَّا وتغيَّرْنا وتغيرت صوَرُنا يقال صلَّ اللحمُ وأَصلَّ إذا أنتَن وتغيَّر، والضربُ الثاني (صلَلْنا) يَبِسنا من الصلَّة وهي الأرضُ اليابسة"[5]

فبين رحمه الله أن القراءة بالصاد تحتمل معنيين؛ الأول أنتنا وتغيرنا، والثاني يبسنا.

وبهذا يتحصل أن القراءتين وإن اختلف لفظهما فلم يتناقض أو يتضاد معناهما، بل تعد القراءة الثانية بمثابة آية ثانية، فكل قراءة تزيد معنى جديداً تكمل به القراءة الأخرى، أو توضحه، حيث دلّت القراءة الأولى (ضللنا) على أن المكذبين بالبعث قالوا أئذا متنا وذهبنا في الأرض هل من عودة وحياة بعد ذلك، ودلت القراءة الثانية بالصاد (صللنا) على أن المنكرين للبعث تعجبوا في رجوعهم وبعثهم بعدما تنتن أجسامهم، إلا أنه يمكن الجمع بينهما لأن الميت والمهلك لابد أن ينتن جسمه ويدخل الأرض

---

[1]- ينظر: الزمخشري- الكشاف- ج: 3 - ص:516.و أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط-ج: 7- ص: 195.

[2]- سورة السجدة- الآية: 10.

[3]- الأزهري – تهذيب اللغة - ج: 11- ص:319.

[4]- سورة السجدة- الآية: 10.

[5]- الأزهري – تهذيب اللغة - ج: 12- ص:80.

الخـــــاتمة

الخاتمة

بعد التطواف بمباحث هذه المذكرة يجمع الباحث أنفاسه ليقيد نتائج الجولة كما يلي:

أولا: إنَّ موضوع القراءات القرآنية من الموضوعات المهمّة في الـــدّرس اللغوي العربي، لأنَّ دراسة هذا الموضوع يكشف الكثير من القضايا اللغوية المهمة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) ويلقي الضوء على الكثير من الخصائص اللهجية التي اتسمت بها بعض القبائل العربي، ولهذا تعدّ مادة القراءات القرآنية وما يتعلق بها رافداً مهماً من روافد الدرس اللغوي والأدبي العربي لا يمكن تجاهله أو التقصير فيه، ولاسيما دارس العربية.

ثانيا: تبين من خلال البحث أن علماء المسلمين أجمعوا على أن الاختلاف في القراءات إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض، ودللنا على ذلك بجملة من أقوال علماء المسلمين والتي تثبت ذلك وتوضح بشكل قاطع جهل بعض الجهّال من المسلمين وبعض المستشرقين في هذا الموضوع ، وهم يصفون الاختلاف في القراءات القرآنية بالاضطراب.

ثالثا: اتضح من خلال عرض بعض الاختلاف في القراءات القرآنية أثر القراءات في تعدد المعاني واتساعها وإن الإكثار من المعاني في الآية الواحدة هو مقصد من مقاصد الاختلاف في القراءات القرآنية، وهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق وكل قراءة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية ، يجب الإيمان بها كلها وإتباع ما تضمنته من المعاني علماً وعملاً.

رابعا: اعتمد الكثير من المؤلفين القدامى في تحليلهم لمادتهم على القرآن الكريم بقـــراءاته المختلفة، كالمعاجم والتفاسير وكتب النحو والبلاغة وغيرهما .

خامسا: للقراءات الشاذة دور في الدراسات اللغوية لأنها تزيد من المعاني الجليلة والدلالات التي لا توجد في القراءة المتواترة.

سادسا: اعتمد الأزهري في استشهاداته على القراءات القرآنية المتواترة منها والشاذة لأنه كان يهتم بإدراج المعاني اللغوية التي تستقى من القراءات.

وهذا الموضوع لم يغفل عنه علماء المسلمين. فكتب المعاجم التفسير وتوجيه القراءات احتوت على جوانب كثيرة من هذا الموضوع إلاَّ أنها لم تدرس هذا الموضوع بالشكل الذي عرضناه

دراسة استقصائية، وإنما كانت توضح حجة أو علة كل قراءة وتورد بعض الأقوال مبثوثة هنا أو هناك كأنها ترجح قراءة على أخرى أو تبين العلة من القراءة لهذه اللفظة متجاهلة في الأعم الأغلب الفوائد واللطائف التي تتحقق من خلال الاختلاف في القراءات القرآنية ، لذا أرى من المفيد جمع كل ما يتعلق بهاذ الموضوع وإفراده بتصنيف يبين المعاني والفوائد واللطائف التي تضمنتها القراءات ويبرز جانب الإعجاز في النص القرآني بكونه غير قابل للتناقض والتباين والاضطراب على الرغم من تعدّد القراءات وتنوعها.

و أخيرا كانت هذه مجمل ما توصلت إليه من نتائج و ملاحظات.

تـــمّ الكـــــلامُ وربّـــنا المحمـــــود ولـــه العلا والمكارم والجـــــــود

ثـمّ الصّـــلاة والسّـــلام عـــلى محمّـــد ما نـاح قمري وأورق عـــــود

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وبالله وحده التوفيق

الفـــــهارس

فهرس الآيات

فهرس الآيات

الآيات	رقمها	سورتها	الصفحة
(مَالك يَوْمِ الدّين)	2	الفاتحة	174
(يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبصَارَهُمْ)	20	البقرة	122
(وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)	51	"	178
(كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)	60	"	92
(وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ)	88	"	140
(لا تَقُـولُوا راعِـــونا)	104	"	100
(بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)	117	"	120
(فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْه)	185	"	18
(كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ)	216	"	115
(إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِه)	249	"	201
(وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً)	259	"	192
(قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ)	260	"	132
(وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)	37	آل عمران	181
(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ)	70	"	21
(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)	92	"	37
(وآتوا النساء صَدُقاتهنَّ نِحْلَةً)	04	النساء	92
(وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيمَانُكُمْ)	23	"	114

(فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ)	25	"	-101 162
(أن تَعْدلوا وإن تَلْوُوا)	135	"	-115 123
(وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)	6	المائدة	-109 -123 147
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ)	106	"	21
(لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)	7	الأنعام	37
(وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)	24		161
(وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر)	74	"	122
(تِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ(83) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(84)وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ 85)	-48-83 85	"	37
(انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ)	99	"	120
(كَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ)	138	"	88
(قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)	162	"	88
(وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ)	10	الأعراف	121
(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ	32	"	-122 145

هي للَّذين آمنوا في الحياة الدُّنيا خالصةً يوْم القيامة)			
(علِمَ أَنَّ فيكُمْ ضعْفًا)	66	الأنفال	103
(فسيحُوا في الأَرْض)	02	التوبة	167
(وجاءَ الْمعذورُونَ منَ الْأَعْراب ليُؤْذَنَ لَهُمْ)	90	"	-104 105
(فأَجْمعُوا أَمْركُمْ وشُركَاءَكُمْ)	71	يونس	-169 170
(أَلَا بُعْدًا لمَدْيَنَ كَما بَعدَتْ ثَمُودُ)	95	"	13
(أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا منْهُ)	05	هود	155
(كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فيهَا أَلا بُعْداً لمَدْيَنَ كَما بَعدَتْ ثَمُودُ)	95	"	112
(وشَهدَ شَاهدٌ منْ أَهْلهَا)	26	يوسف	18
(وقَالَ نسْوَةٌ في الْمدينَة امْرَأَةُ الْعَزيز تُرَاودُ فَتَاهَا عَن نَّفْسه قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا)	30	"	-118 189
(فيه يُغَاثُ النَّاسُ وَفيه يَعْصرُونَ)	49	"	124
(وَأْتُوني بأَهْلكُمْ أَجْمَعينَ)	93	"	90
(وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذبُوا)	110	"	47
(وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لتَزُولَ منْهُ الْجبَالُ)	46	إبراهيم	47
(قَالَ ربِّ فَأَنظرْني إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)	36	الحجر	172
(أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّف فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحيمٌ)	47	النحل	60
(يوْمَ ظَعْنكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتكُمْ)	80	"	118
(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاس عَلَى مُكْث وَنَزَّلْنَاهُ تَنزيلاً)	106	الإسراء	89- 184
(فَلَعَلَّكَ بَاخعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارهمْ إِنْ لَمْ يُؤْمنُوا بهَذَا الْحَديث	6	الكهف	51

أَسَفاً)			
(وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا)	51	"	118
(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً)	55	"	143
(حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ)	90	"	117-33
(آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ)	96	"	90
(فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ)	97		121
(فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً)	98		124
(إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)	12	طه	108
(إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى)	15	"	78
(فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ)	96	"	114
(مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ)	02	الأنبياء	51
(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ)	40	"	150
(فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ)	58	"	108
(يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)	02	الحج	94
(فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ)	15	"	116
(وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ)	36	"	-187 188

(وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ)	51	"	177
(وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ)	34	النور	135
(وهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ نُشُراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)	48	الفرقان	138
(وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ)	56	الشعراء	-199-79 200
(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ)	82	النمل	142
(وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً)	34	القصص	33
(ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخرة)	20	العنكبوت	107
(وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ)	39	الروم	157
(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)	41	"	37
(الله الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ)	54	"	104
(وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ)	10	سبأ	129
(فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)	19	"	-113 -119 164
(وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ)	52	"	108
(إن كانت إلا صيحة واحدة)	29	يس	112
((وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ)	72	"	95
(بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ)	12	الصافات	104-94
(قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ)	54	"	94
(فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ)	94	"	-108 113

(إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ)	05	ص	94
(قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ)	84	"	112
(اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ)	23	الزمر	51
(فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ)	24	فصلت	160
(لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ)	44	"	115
(مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ)	04	الدخان	186
(وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ)	36	ق	166
(لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ)	58	النجم	35
(مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ)	76	الرحمن	112
(يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً)	13	الحديد	171
(وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ)	11	الممتحنة	-101 119
(إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)	15	التغابن	38
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا)	08	التحريم	96
(إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً)	07	المزمل	197
(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)	18-17	القيامة	40-31
(وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ)	11	المرسلات	116
(كَأَنَّه جِمَالاتٌ صُفْرٌ)	33	"	97

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى)	15	النازعات	51
(وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ)	24	التكوير	-195
(الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)	07	الانفطار	-96 183
(وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ)	03	البروج	22
(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)	01	الغاشية	51
(فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)	09	الضحى	201
(سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)	05	القدر	-104 118

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

الحديث ..... الصفحة

الْغسْلُ يَوْمُ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِ مُحتَلِمٍ..... 23

القُلوبُ أربعة فقلْبٌ أغلفُ فذاك قلب الكافر..... 142

أَجَدْتَ لاَ يُفْضَضَ اللهُ فَاكَ 63

إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكماً..... 58

جُرْحُ الْعَجْمَاءِ جُبَارٌ..... 77

ستكون فتن كقطع الليل المظلم..... 36

كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم 36

ما رأيت معلّماً أحسن تعليماً من النبي صلى الله عليه وسلم..... 204

مَنْ أَتَى الْجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ..... 23

يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار..... 56

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

أ- الكتب المطبوعة:

1. ابن أبي شيبة الكوفي- المصنف في الأحاديث والآثار- ضبط وتعليق : سعيد اللحام- لبنان - بيروت- دار الفكر - د.ط- د.ت.

2. ابن الأثير الكاتب- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- تحقيق: د. أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة- مصر- القاهرة — دار نهضة مصر للطباعة والنشر-ط:1- د.ت.

3. ابن الجزري:

* شرح طيبة النشر في القراءات العشر- ضبط وتعليق: أنس مهرة - لبنان - بيروت- دار الكتب العلمية- ط:2- 1420هـ/2000 م.

4. * منجد المقرئين ومرشد الطالبين- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية— د.ط- د.ت.

5. * النشر س القراءات العشر- لبنان- بيروت— دار الكتب العلمية— د.ط- د.ت.

6. ابن القواس الموصلي- شرح ألفية ابن معطي- تحقيق: د.علي موسى الشمولي- المملكة العربية السعودية- الرياض- مكتبة الخريجين- ط:1-1405هـ/1984م.

7. ابن القيم:

*- زاد المعاد في هدي خير العباد- تحقيق : محمد حامد الفقي- بيروت — لبنان- دار الكتاب العربي-د.ط- 1392هـ /1972م.

8. * - زاد المعاد في هدي خير العباد- تحقيق: شعيب الأرؤوط وعبد القادر والأرنئوط- لبنان- بيروت- مؤسسة الرسالة- ط:**16**-1408هـ/1988م.

9. * - كتاب الفوائد المشوق على علوم القرآن وعلم البيان- تحقيق: محمد بدر الدين النعساني — ط: 1 1327هـ/ 1908م.

10. * — مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - تحقيق : محمد حامد الفقي - دار الكتاب العربي - بيروت- لبنان - د.ط-د.ت.

11. ابن الكثير- الكامل في التاريخ- تحقيق: عبد الله القاضي-لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية-ط: 2- 1415هـ/1994م.

12. ابن تيمية:

*- الإيمان الأوسط (شرح حديث جبريل عليه السلام في الإسلام والإيمان والإحسان)-لجزائر- الشركة الجزائرية اللبنانية- ط:1- 1427هـ/2006م.

13. * مجموعة الفتاوى الكبرى- جمع: عبد الرحمن بن قاسم - سوريا- مطبعة الرسالة - ط1-1398هـ/1977م.

14. ابن جني

*- الخصائص- تحقيق محمد علي النجار- لبنان- بيروت- عالم الكتب- ط3- 1403هـ/1982م.

15. *- المحتسب - تحقيق: علي النجدي ناصف و د. عبد الحليم النجار و د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي- مصر- القاهرة- مطابع الأهرام- ط:1- 1415هـ/1994م.

16. ابن حجر العسقلاني- فتح الباري - تحقيق: محب الدين الخطيب - لبنان - بيروت – دار المعرفة- د. ط- د ت.

17. ابن حجة الحموي- شرح قصيدة كعب بن زهير بانت سعاد – تحقيق:د.علي حسين بواب- المملكة العربية السعودية – رياض- مكتبة المعارف- ط:1- 1406هـ/ 1985م.

18. ابن خلدون- المقدمة- لبنان- بيروت- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- ط:1- 1424هـ/2004م.

19. ابن خلكان – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- تحقيق: د. إحسان عباس- لبنان- بيروت – دار صادر-ط:1-1390هـ/1971- د.ت.

20. ابن خلويه – الحجة في القراءات السبع- تحقيق:د. عبد العال سلام مكرم - لبنان- بيروت- دار الشروق - ط:4 - 1401هـ/1980م.

21. ابن دريد - جمهرة اللغة - تحقيق : رمزي منير بعلبكي- لبنان - بيروت – دار العلم للملايين- ط:1- 1408 هـ/ 1987م.

22. ابن رشيق القيرواني- العمدة في محاسن الشعر وآدابه- لبنان – بيروت- دار جيل للطباعة والنشر- ط:5- 1401هـ/1981م.

23. ابن سنان الخفاجي- سر الفصاحة- لبنان – بيروت- دار الكتب العلمية- ط:1- 1402هـ/1982م.

24. ابن عبد ربه الأندلسي- العقد الفريد – تحقيق: مفيد محمد قميحة – لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط:1- 1404هـ/1985م.

25. ابن قتيبة الدينوري- الشعر والشعراء- تحقيق : أحمد محمد شاكر- مصر - القاهرة – دار المعارف- ط:2- 1377 هـ/ 1988م.

26. ابن كثير:

*- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث- شرح وتعليق: أحمد محمد شاكر- لبنان – بيروت- دار الكتاب العربي - د.ط- د.ت.

27. *– البداية و النهاية- لبنان- بيروت– دار المعارف- ط:2- 1426هـ1995م.

28. *- تفسير القرآن العظيم- تحقيق: حسان الجبالي- المملكة العربية السعودية- الرياض- بيت الأفكار الدولية – ط:1-1420هـ/ 1999م.

29. ابن مالك – شرح التسهيل – تحقيق: د. عبد الرحمن السيد و د. محمد بدوي المختون- مصر- هجر للنشر والتوزيع والإعلان- ط: 1- 1410هـ/1990م

30. ابن منظور- لسان العرب- لبنان - بيروت – دار إحياء التراث العربي– ط:1- 1408هـ /1988م.

31. أبو الفضل بن محمد الميداني- مجمع الأمثال- تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد- لبنان - بيروت – دار المعرفة- د.ط- د.ت .

32. أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني- إعجاز القرآن- تحقيق: السيد أحمد صقر – مصر- القاهرة- دار المعارف - ط: 3-1374هـ/ 1954م.

33. أبو جعفر أحمد بن خلف الأنصاري - الإقناع في القراءات السبع- تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي - دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط:1 - 1419هـ/1999م.

34. أبو حامد الغزالي- إحياء علو الدين- - لبنان - بيروت- دار الفكر - ط:1- 1415هـ/1995م.

35. أبو حيان التوحيدي- الإمتاع والمؤانسة - تصحيح وضبط وشرح : أحمد أمين و أحمد الزين- المكتبة العصرية - بيروت- لبنان- د .ط- 1373هـ/1935م.

36. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي – شرح النووي على صحيح مسلم- لبنان - بيروت – دار إحياء التراث العربي - ط:2- 1392 هـ/ 1972م.

37. أبو سعيد السمعاني- أدب الإملاء والاستملاء - لبنان - بيروت- دار الهلال - ط:1- 1409هـ/1989م.

38. أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي-الأمالي في لغة العرب- لبنان - بيروت — دار الكتب العلمية- ط:1- 1398 هـ/ 1978م.

39. أبو علي الحسن الفارسي- الحجة في القراء السبعة- تحقيق: بدر الدين قهواجي وبشير حويجاتي- دار المأمون للتراث- دمشق- سوريا-ط:1- 1407هـ/1987م.

40. أبو عمر الداني - الأحرف السبعة للقراءات - تحقيق : عبد المهيمن طحان- المملكة العربية السعودية-جدة- دار المنارة للنشر والتوزيع- ط:1- 1418هـ/1997م.

41. أبو عمر عثمان بن الصلاح — مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث- تحقيق:د. عبد الحميد هنداوي- لبنان — بيروت- المكتبة العصرية - ط:1- 1424هـ/2003م.

42. أبو عمر يوسف ابن عبد البر - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- تحقيق: محمد الفلاح - ط:1- 1400هـ/1980م.

43. أبو هلال العسكري:

* — الصناعتين- تحقيق : علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم- لبنان - بيروت- المكتبة العصرية - ط:1- 1406هـ/1986م.

44. * - جمهرة الأمثال - لبنان - بيروت- دار الفكر - ط:1- 1408هـ/1988م.

45. أحمد الدمياطي- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر- تحقيق: أنس مهرة- دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان- ط/1 -1419هـ/1999م.

46. أحمد النقشبندي الخالدي- معجم الكلمات الصوفية- تحقيق: أديب نصر الدين— لبنان- بيروت- مؤسسة الانتشار العربي- ط:1-1418هـ/1997م.

47. أحمد بن فارس- معجم مقاييس اللغة- تحقيق و ضبط:عبد السَّلام محمد هَارُون — لبنان- بيروت - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- ط: 1- 1399/1979م.

48. أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحسيان- القول السديد في مقدمات علم القراءات وفن التجويد- مصر- القاهرة- دار البيان العربي- ط:1-1425هـ/ 2004م.

49. الأزهري- تهذيب اللغة - تحقيق: د. أحمد عبد الرحمن مخيمر- لبنان- بيروت— دار الكتب العلمية— ط:1- 1425هـ /2005م.

50. الأزهري- تهذيب اللغة - تحقيق: عبد السلام هارون و محمد علي النجار- مصر- القاهرة- المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر- ط:1- 1384هـ /1964م.

51. الجاحظ - البيان والتبيين- لبنان- بيروت- دار إحياء التراث العربي- د.ط- 1388هـ/ 1968م.

52. الجاحظ – كتاب الحيوان- تحقيق: عبد السلام محمد هارون- مصر- مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- ط:2- 1386هـ/1967م.

53. الجرجاني –التعريفات- تحقيق : إبراهيم الأبياري – لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط:1 - 1405هـ/1985م.

54. الخطيب القزويني- الإيضاح في علوم البلاغة- تحقيق : بهيج الغزاوي- لبنان- بيروت- دار إحياء العلوم- ط:4- 1419هـ/1998م.

55. الخليل بن أحمد الفراهيدي- العين- تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي- لبنان - بيروت – مؤسسة الإعلامي للمطبوعات- ط:1- 1408/1988م.

56. الراغب الأصفهاني- المفردات في غريب القرآن – لبنان- بيروت - دار المعرفة- ط: 1- 1418هـ/ 1998م.

57. الرماني- الخطابي- عبد القاهر الجرجاني- ثلاث رسائل في الإعجاز- تحقيق: محمد خلف الله أحمد ود.محمد زغلول سلام - مصر- القاهرة- دار المعرف- ط: 3- 1397هـ/ 1976م.

58. السيوطي:

* – المزهر في علوم اللغة وأنواعها- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و محمد أحمد جاد المولى بك و علي محمد البجاوي- - مصر- القاهرة – مكتبة دار التراث- ط: 3 – 1428هـ/2008م.

59. *- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- لبنان- بيروت- المكتبة العصرية- د.ط- د.ت.

60. *- تدريب الراوي في شرح تقريب النووي- تحقيق وتعليق: د. أحمد عمر هاشم- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- د. ط 1419هـ/1999م.

61. *- تفسير الجلالين- مصر- القاهرة- دار الحديث- ط:1- د.ت.

62. *– شرح الكوكب الساطع نظم جمع الجوامع – تحقيق: أ.د. محمد إبراهيم الحفناوي- مصر- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – ط:1 – 1426هـ/2005م.

63. الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير والتنوير- تونس – الدرة التونسية للنشر –ط:1 – 1405هـ/1984م.

64. العسقلاني- بلوغ المرام من أدلة الأحكام – تحقيق : محمد رضوان محمد- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي – د.ط – د ت.

65. القرطبي- الجامع لأحكام القرآن- لبنان – بيروت – دار إحياء التراث العربي– ط:1- 1405 هـ/ 1985م.

66. النابغة الذبياني- الديوان- مصر – مطبعة الهلال- د.ط- 1331هـ/1911م.

67. تاج الدين عبد الوهاب السبكي- طبقات الشافعية الكبرى- تحقيق: محمود الطناحى وعبد الفتاح الحلو- مصر- القاهرة- مطبعة عيسى البابي الحلبي- ط:1- 1384هـ/1965م.

68. جرجي زيدان – تاريخ آداب اللغة العربية- مصر- القاهرة- مؤسسة دار الهلال- ط:1 –د.ت.

69. جميل بن عبد الله بن معمر- الديوان- لبنان- بيروت- دار صادر- د.ط- د.ت.

70. حفني ناصف وسلطان محمد ومحمد دياب ومصطفى طموم دروس البلاغة- شرح: محمد بن صالح العثيمين- مصر- مكتبة الهدي المحمدي- ط:1- 1426هـ/2005م.

71. خليل بن إسحاق المالكي- مختصر العلامة خليل- تصحيح وتعليق: أحمد نصر- الجزائر – دار الشهاب- د.ط- د.ت.

72. د. خير الدين سيب- القراءات القرآنية- نشأتها- أقسامها- حجيتها – الجزائر- دار الخلدونية للنشر والتوزيع- ط:1- 1425هـ/ 2005م.

73. رضي الدين الأستراباذي- شرح الرضي على الكافية – تحقيق : صحيح وتعليق د. يوسف حسن عمر- ليبيا- جامعة قار يونس- د.ط- 1398هـ/ 1978م.

74. زهير بن أبي سلمى- الديوان- لبنان – بيروت- دار المعرفة- ط:3- 1426هـ/2005م.

75. سيد سابق- فقه السنة – لبنان- بيروت- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – ط:1-1424هـ/2003م.

76. سيد قطب:

* – التصوير الفني في القرآن الكريم- لبنان – بيروت – دار الشروق- د.ط- د.ت.

* - في ظلال القرآن الكريم- لبنان- بيروت- دار الشروق - ط: 10 - 1402هـ/1982م.

77. شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي- سير أعلام النبلاء- لبنان- بيروت – مؤسسة الرسالة - ط:2- 1405هـ/1985م.

78. شهاب الدين القسطلاني- لطائف الإشارات لفنون القراءات- تحقيق: عامر السيد - مصر- القاهرة - لجنة إحياء التراث - د .ط- 1392هـ/1971م.

79. عبد الحي بن أحمد الحنبلي- شذرات الذهب- تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط و محمد الأرنؤوط - سوريا – دمشق- دار بن كثير- ط:1-1406هـ/1985م.

80. عبد الرحمن البرقوقي- شرح ديوان المتنبي-- لبنان - بيروت – دار الكتاب العربي- ط:2- 1407 هـ/ 1986م.

81. عبد الرحمن الجزيري- كتاب الفقه على المذاهب الأربعة– لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية – ط:2 - 1424هـ/2004م.

82. عبد الرحمن النحلاوي- التربية بضرب الأمثال - سوريا- دمشق- دار الفكر المعاصر - ط: 1- 1419 هـ 1998م.

83. عبد الرحمن بن خلدون- المقدمة- لبنان- بيروت- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- د.ط - 1424هـ/2004م.

84. عبد الفتاح القاضي- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدري- المملكة العربية السعودية- الرياض- مكتبة أنس بن مالك- ط1- 1423هـ/2002م.

85. عبد القادر البغدادي - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب- تحقيق: عبد السلام هرون- مصر- الهيئة المصرية العامة للكتاب- د.ط- 1399هـ/1979م.

86. عبد الله بن عقيل- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك- مصر- القاهرة – دار مصر للطباعة- ط: 20 – 1400هـ/1980م.

87. عبد الله بن عقيل- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك- مصر- القاهرة — دار مصر للطباعة- ط: 20 – 1400هـ/1980م.

88. د. عبد الله عبد الناصر جبري- لهجات العرب في القرآن الكريم- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط:1-1428هـ/2007م.

89. د. عبد المحمود مطلوب — مباحث في علوم القرآن والحديث- مصر- القاهرة- مؤسسة المختار للنشر والتوزيع- ط: 1- 1425هـ/ 2004م.

90. علي الجارم ومصطفى أمين - البلاغة الواضحة- - مصر- القاهرة - دار المعارف – ط: 1- 1419 /1999م.

91. عنترة بن شداد- الديوان- لبنان — بيروت- مطبعة الآداب المكتبة الجامعة- د.ط - د.ت.

92. د. عوض حمد القوزي- المصطلح النحوي: نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري- الجزائر- ديوان المطبوعات الجامعية-ط:1- 1401هـ/1981م.

93. د. محمد أبو القاسم حاج حمد - جدلية الغيب والإنسان والطبيعة العالمية الإسلامية الثانية- بيروت — لبنان- دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع- ط:1-1425هـ/2004م.

94. محمد الأمين بن المختار الشنقيطي- أضواء البيان - بيروت— لبنان- دار الفكر للطباعة والنشر- ط:1- 1415هـ /1995م

95. محمد الحسن الآمدي - المسح في وضوء الرسول (صلى الله عليه وآله) دراسات مقارنة بين المذاهب الإسلامية- دار المصطفى (صلى الله عليه وآله) لأحياء التراث - ط: 1 1420هـ/1999م

96. محمد الرازي- مختار الصحاح- لبنان - بيروت- دائرة المعارف في مكتبة لبنان- د.ط- 1985م.

97. د. محمد العلمي- المدرسة البغدادية المذهب المالكي - دار البحوث للدراسات الإسلامية و إحياء التراث- ط : 1- 1424هـ/ 2003م.

98. محمد بن إدريس الشافعي- الأم - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- لبنان ط:2 1403هـ/1983م.

99. محمد بن إسماعيل البخاري- صحيح البخاري- تحقيق : مصطفى ديب البغا- لبنان - بيروت – دار ابن كثير– ط:3- 1407 هـ/ 1987م.

100. محمد بن جرير الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن- تحقيق: أحمد محمد شاكر- لبنان- بيروت – مؤسسة الرسالة– ط:1- 1420 هـ/ 2000م.

101. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي- القاموس المحيط- لبنان - بيروت – مؤسسة الرسالة– د.ط- د.ت.

102. د. محمد سامي النبراوي - أحكام تشريعات الحدود - مصر - القاهرة- دار غريب للطباعة- ط:1 - 1976م.

103. د. محمد شعبان صلاح- مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري – مصر- القاهرة – دار غريب للطباعة والتوزيع والنشر- ط:1 1425هت/2005م.

104. محمد عبد الرؤوف المناوي - التوقيف على مهمات التعاريف- تحقيق : محمد رضوان الداية - لبنان- بيروت- دار الفكر المعاصر– ط:1- 1410هـ/1990م.

105. محمد عبد العظيم الزرقاني- مناهل العرفان في علوم القرآن- لبنان- بيروت- دار الكتاب العربي- ط:1- 1415هـ/1995م.

106. د. محمد عجل - الوجيز في علوم الحديث ونصوصه- الجزائر- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية- د.ط - 1989م.

107. محمد علي الصابوني– التبيان في علوم القرآن- لبنان- بيروت- دار عالم الكتب- ط:1 - 1406هـ/1985م.

108. د. محمد فجال - الحديث النبوي في النحو العربي- المملكة العربية السعودية- الرياض- دار أضواء السلف- ط:2-1418هـ/1997م.

109. محمد لخضر حسين- القياس في اللغة العربية- الجزائر– المؤسسة الوطنية للكتاب- ط:1-1406هـ/1986م.

110. محمد مرتضى الحسيني الزبيدي- تاج العروس من جواهر القاموس- - لبنان - بيروت – دار صادر- ط:1- 1306هـ1885م.

111. محمد مسلم - مباحث في إعجاز القرآن الكريم- المملة العربية السعودية- الرياض - دار المسلم للتوزيع والنشر- ط: 2- 1416هـ/1996م.
112. محمود عبد الرزاق – المعجم الصوفي، دراسة علمية في الأصول القرآنية للمصطلح الصوفي- المملكة العربية السعودية- جدة- دار ماجد عسيري- ط:1- 1425هـ/2004م.
113. مسلم بن الحجاج النيسابوري- صحيح مسلم- لبنان - بيروت – دار الكتب العلمية- د. ط: د .ت.
114. مصطفى صادق الرافعي- تاريخ آداب العرب- لبنان- بيروت- دار الكتب العلمية- ط:1- 1420هـ/2000م.
115. مهدي المخزومي- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو - دار الرائد العربي- بيروت- لبنان- ط3- 1986م.
116. ياقوت الحموي- معجم البلدان – لبنان- بيروت – دار صادر- ط:2- 1316هـ1895م.

ب- الرسائل الجامعية:

1- الفروق الصرفية والنحوية بين القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الأحكام. رسالة ماجستير. إعداد الطالب: خير الدين سيب . إشراف: أ. د محمد عباس. نوقشت في: ديسمبر 1979 بقسم اللغة العربية جامعة تلمسان.

2- الشـــواهد الشعرية ومناسباتها في تفسير التـــــــــــــــحرير والتنوير- رسالة ماجستير.إعداد الطالبة: فوزية هاشمية. إشراف: أ.د محمد طول. نوقشت في: 2007 بقسم اللغة العربية جامعة تلمسان.

فـــهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء

الشكر والتقدير

المقدمة..... أ- ز

المدخل: الأزهري وكتابه التهذيب.....1- 14

المبحث الأول: الأزهري 1

المطلب الأول: اسمه وكنيته ونسبه.....1

المطلب الثاني: حياته..... 3

المطلب الثالث: علمه.....5

المطلب الرابع: شيوخه وتلامذته.....6

أولا:شيوخه.....6

ثانيا:تلامذته.....7

المطلب الرابع: مؤلفاته..... 8

المطلب الخامس: وفاته.....9

المبحث الثاني: تهذيب اللغة.....10

المطلب الأول: سبب التسمية..... 10

المطلب الثانية: سبب التأليف..... 11

المطلب الثالث: أهمية التهذيب..... 12

المطلب الرابع: الأئمة الذين اعتمد عليهم في التهذيب.....13

الفصل الأول: الشواهد وأنواعها.....16 - 74

المبحث الأول: تعريف الشواهد.....16

المطلب الأول: الشواهد في اللغة.....16

المسألة الأولى: مشتقات لفظة الشواهد.....16

المسألة الثانية: الأصل اللغوي للكلمة.....17

المسألة الثالثة: الدلالات المعجمية.....17

الإقرار والاعتراف.....17

الشهادة بمعنى الحكم: كما قال الله في سورة يوسف.....18

الحضور ضد الغياب.....18

الشاهد بمعنى المراقب للحدث.....20

الشاهد الدليل والبرهان.....21

الشاهد بمعنى اللّسان أو المَلَك.....22

الشاهد الماء الذي يخرج على رأس الصبيّ إذا وُلد.....22

الشاهد العالم بالحق.....

المطلب الثاني: الشواهد في الاصطلاح.....22

المسألة الأولى : الشواهد في اصطلاح المحدّثين.....23

مثال الشاهد في اصطلاح المحدّثين.....24

المسألة الثانية: الشواهد في اصطلاح الفقهاء.....24

المسألة الثالثة: الشواهد في اصطلاح الصوفية.....25

مثال الشاهد عند الصوفية.....27

المسألة الرابعة: الشواهد في اللغة.....28

القراءة الشاذة..... 43
مفهوم الشاذ.....43
ثالثا: القراءات القرآنية والمعنى.....45
أحدها: اختلاف اللفظ والمعنى الواحد.....47
الثاني: اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد.....48
الثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد بل يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد.....48
رابعا: الاستشهاد بالقراءات القرآنية.....49
المطلب الثاني: شاهد الحديث النبوي الشريف.....51
أولا: تعريف الحديث.....51
لغة..... 51
اصطلاحا..... 52
ثانيا: منزلة الاستشهاد بالحديث.....53
المطلب الثالث: الشاهد من كلام العرب..... 57
المسألة الأولى: الشعر..... 58
أولا: تعريف الشعر.....59
ثانيا: منزلة الاستشهاد بالشعر.....60
المسألة الثانية: المثل.....64
أولا: تعريف المثل.....65
لغة 65
اصطلاحا.....65

ثانيا: الاستشهاد بالأمثال.....66
المبحث الثالث: فوائد الشواهد.....68
المبحث الرابع:لشواهد وعصور الاحتجاج والمدارس اللغوية والنحوية..... 69
المطلب الأول: الشواهد وعصور الاحتجاج.....69
المسألة الأولى: الحد ود الزمنية.....69
المسألة الثانية: الحد ود المكانية.....69
المطلب الثاني: الشواهد و المدارس اللغوية والنحوية.....72
المسألة الأولى: المدرسة البصرية.....72
المسألة الثانية: المدرسة الكوفية.....73
المسألة الثالثة: المدرسة البغدادية.....73
الفصل الثاني شاهد القراءات القرآنية في معجم تهذيب اللغة..... 76-126
تمهيد.....76
المبحث الأول: شاهد القراءات القرآنية في المعاجم.....78
المطلب الأول:تعريف المعجم و ذكر مناهجه.....78
لغة..... 78
اصطلاحا.....89
مناهج المعاجم.....80
المنهج الأول.....81
المنهج الثاني..... 82
المطلب الثاني:أهمية المعاجم.....82
المطلب الثالث: أهمية القراءات القرآنية في المعاجم.....85
أولا: الناحية اللغوية.....86
ثانيا: الناحية المعنوية.....90

المطلب الرابع: أهمية القراءات القرآنية الواردة في كتاب الأزهري.....92
المبحث الثاني: منهج الأزهري في الاستشهاد بالآيات القرآنية والقراءات.....96
المطلب الأول: المنهج العام في عرض القراءات.....99
المطلب الثاني: طريقة إسناد القراءات لأصحابها.....104
النوع الأول: قراءات منسوبة إلى أصحابها.....106
الطريقة الأولى.....106
الطريقة الثانية.....106
أ-ذكره لصاحب القراءة صراحة.....108
من الصحابة رضي الله عنهم..... 108
من القراء السبع..... 109
من الثلاثة المكملة للعشرة.....110
من غير القراء الأربعة عشر.....112
ب - ذكره لصاحب القراءة كناية.....112
ج - ذكره لأصحاب القراءة إبهاما.....113
النوع الثانية: قراءات غير منسوبة لأصحابها.....117
المطلب الثالث: منهجه في الاستشهاد بالقراءات وذكره الدلالات..... 117
الفصل الثالث دلالات شواهد القراءات القرآنية في التهذيب..128- 209
تمهيد.....209
المبحث الأول: على مستوى تنوع الحركات و وجوه الإعراب..... 131
المطلب الأول: على مستوى تنوع الحركات..... 132
المسألة الأولى: الاختلاف في الضم والفتح..... 133
النموذج الأول..... 134
النموذج الثاني.....137
المسألة الثانية: الاختلاف في الضم والكسر 135
المسألة الثالثة: الاختلاف في الفتح والكسر.....137

النموذج الأول.....173
النموذج الثاني..... 175
المطلب الثاني: زيادة الألف 177
النموذج الأول.....177
النموذج الثاني..... 179
النموذج الثالث.....181
المطلب الثالث: الزيادة بالتضعيف 183
النموذج الأول..... 183
النموذج الثاني..... 185
المطلب الرابع: زيادة النون.....187
المبحث الرابع:على مستوى إبدال الحروف من كلمة واحدة 189
المطلب الأول: إبدال العين غينا..... 192
المطلب الثاني: إبدال الراء زايا 195
المطلب الثالث: إبدال الضاد ظاء 201
المطلب الرابع: إبدال الحاء خاء..... 203
المطلب الخامس: إبدال الدال ذالا 206
المطلب السابع: إبدال الضاد صادا..... 208
الخاتمة.....211-213
فهرس الآيات.....216-222
فهرس الأحاديث.....224
قائمة المصادر والمراجع.....226
فهرس الموضوعات.....239

Résumée de la thèse

Titre : *Les arguments de lectures coraniques dans le lexique « **TAHDIB EL LOGHA** » d'El **AZHARI** - étude indicative –*

Cette thèse consiste d'une introduction et de trois chapitres, dans l'introduction on a présenté l'outo-biographie d' EL AZHARI , dans le premier chapitre on a définie l'argument, ses différent types et son importance, dans le deuxième chapitre on a abordé la méthodologie d'El AZHARI dans l'argumentation et le troisième chapitre est une étude sémantique. Dans la conclusion on a présenté les résultats importants de cette recherche.

Mots-clés: *Arguments - Azhari - TAHDIB EL LOGHA - les lectures Coraniques - sémantiques.*

Summary of thèse

Title: *The arguments of Quranic readings of the TAHDIB EL LOGHA by El Azhari - indicative study -*

This Thèse consists of an introduction and three chapters, The intoduction deals with the auto biography of El AZHARI, The first chapter deals with the definition of the arguments, its different types an dits importance, The second chapter deals with the methodology of El ZHARI in arguming and The third chapter is a semantic study, in the conclusion we started the results of this researche.

Key words: *Argument – El AZHARI - TAHDIB EL LOGHA - Quranic readings - semantic.*

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: شواهد القراءات القرآنية في معجم تهذيب اللغة للأزهري- دراسة دلالية-

تضمنت هذه الرسالة مدخل وثلاث فصول، تناولت في المدخل ترجمة للأزهري وعرفت كتابه، ثم تناولت في الفصل الأول تعريف الشاهد وأنواعه وأهميته ثم تناولت في الفصل الثاني منهج الأزهري في الاستشهاد، ثم جاء الفصل الثالث في الدراسة الدلالية. وأخيرا بينت في الخاتمة أهم نتائج البحث

الكلمات المفتاحية: الشواهد- الأزهري- تهذيب اللغة- القراءات القرآنية- الدلالة.